إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ٦٣١٨ / ١١٣

اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب ٢٧٧ - هاتف ٢٤٣٢٤٥ - بيروت - ص.ب ٥٤٨٨ / ١١٣

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ
محيي الدين الدرويش

المجلد السابع

الجزء التاسع عشر — الجزء العشرون — الجزء الحادي والعشرون

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ
ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا
خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) أصحاب مبتدأ والجنة مضاف ويومئذ ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بخير وخير خبر أصحاب وهو اسم تفضيل ، أو لمجرد الوصف ومستقراً تمييز وأحسن مقيلاً عطف على خير مستقراً ، والمستقر المكان الذين يقضون فيه معظم أوقاتهم والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وسيأتي في باب البلاغة مزيد من بحث هذه الآية • (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) الظرف منصوب بتقدير اذكر وجملة تشقق في محل جر باضافة الظرف إليها وأصل تشقق تتشقق فحذف بعض القراء التاء وأدغمها بعضهم ، والسماء فاعل ، وبالغمام : في هذه الباء وجوه أولها أنها للسببية بمعنى

أنها تتشقق بسبب طلوعه منها فيتعلق الجـار والمجـرور بتشقق ، وثانيها أنهـا للملابسة فيكـون الجار والمجرور في موضـع نصب على الحال ، والثالث أنها بمعنى عن أي عن الغمام كقوله : « يوم تشقق الأرض عنهم » فتتعلق بتتشقق أيضاً ونزل الملائكـة فعل ماض مبني للمجهول والملائكة نائب فاعل وتنزيلاً مفعول مطلق .

(الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً عـلى الكافرين عسيراً) الملك مبتدأ والظرف متعلق به والحق صفة للملك وللرحمن خبر الملك وأجاز بعض المعربين أن يكون الظرف هو الخبر وآخرون أجازوا أن يكون الحق ، وما ذكرناه أولى . وكان الواو استئنافية وكان فعـل ماضٍ ناقصٍ واسمها ضمير مستتر تقديره وكان اليوم ، ويوماً خبرها وعلى الكافرين متعلق بعسيراً وعسيراً صفة ليوماً . (ويوم يعض الظالم على يديه) الظرف منصوب باذكر مقدراً وهو معطوف عـلى قوله يوم يرون الملائكة وكذا قولـه السابق يوم تشقق السماء ، وجملة يعض مجرورة باضافة الظرف اليها والظالـم فاعل يعض وعلى يديه متعلقان بيعض وسيأتي معنى هـذا الكلام في باب البلاغـة . (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) الجملة نصب على الحال من فاعل يعض أي قائلاً ، وياليتني : يا حرف نداء والمنادى محذوف أو هي لمجـرد التنبيه ، وليتني ليت واسمها وجملة اتخذت خبرها ومع الرسول ظرف مكان في موضع المفعول الثاني لاتخذت وسبيلاً مفعول اتخذت الأول تمنى أن لو صاحب الرسول وسلك سبيل الحق . (يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يا حرف نداء وويلتا منادى مضاف الى ياء المتكلم المنقلبة الفاء وأصله ياويلتي، وقد تقدم بحث المنادى المضاف الى ياء المتكلم، ينادي ويلته أي هلكته . وليتني ليت واسمها وجملة لم أتخذ خبرها

وفلاناً مفعول به أول وخليلاً مفعول به ثان . (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خـذولاً) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأضلـني فعل وفاعـل مستتر وعن الذكر متعلقان بأضلني والجملة تعليلية لتمنيه المذكور ونداءه هلكته وبعـد ظرف أضيف إلى مثله وهو متعلق بمحذوف حال وجملة جاءني مجرورة باضافة الظرف اليها والواو حالية وكان الشيطان كان واسمها وللإنسان متعلقان بخذولاً وخذولاً خبر كان .

البلاغـة :

الكناية في قوله « مستقر » و « مقيـل » فأما المستقر فهو اسم مكـان من الاستقرار وهو المجلس الدائم لأهـل الجنة يستقرون فيه ويقضون معظم أوقاتهم متقابلين يتحادثون ويتسامرون ، وكنى به عن أحاديث العشايا والبكر التي يتبادلونها ، وهي أحاديث كانت في الدنيا تدور بين المترفين وأصحاب النعيم واليسار ، وكنى بالمقيل وهو وقت استراحة نصف النهار عن قضائهم وقت الاستجمـام والاستراحة مع أزواجهم ، وفي هذا المعنى سيأتي قوله « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هـم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون » قيل في تفسير الشغل انه افتضاض الأبكار .

ومن روائع الحديث في وصف غناء الحور العين قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهـن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظـرون بقرة أعيـان ولن مما يغنـين به : نحن

الخالدات فـلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيمـات فـلا نظعنه » .

وفي قوله : « يوم يعض الظالم على يديه » كناية عن الندم والغيظ والحسرة ، ومثل هذا التعبير عض الأنامل والسقوط في اليد وحرق الأرم ، ففي الصحاح حرقت الشيء حرقاً : بروته وحككت بعضه ببعض، ومنه قولهم حرق نابه أي سحقه حتى يسمع له صريف ، وفلان يحرق عليك الأرم غيظاً من أرم على الشيء أي عض عليه وأرمه أيضاً والأرم الأضراس كأنه جمع آرم يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض ، وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع ، ونقل أئمة اللغة أن المتأسف المتحزن المتندم يعضّ على إبهامه ندماً ، وقال الشاعر :

لطمت خـدها بحمـر لطاف   نلن منها عـذاب بيض عذاب
فشكى العناب نور أقـاح   واشتكى الورد فاضـر العناب

وفلان كناية عن علم من يعقل وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الإناث وفلة كناية عن نكرة من يعقل من الإناث والفلان والفلانة بالألف واللام كناية عن غير العاقل ولامه واوية أو يائية .

قال أبو حيان : وفلان كناية عن العلـم وهو متصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يا رجل وهو مختص بالنداء وفلة يعني يا امرأة كذلك ولام فل ياء أو واو وليس مرخماً من فلان ، خلافاً للفراء ، ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم فل كناية عن العلم كفلان ، وفي كتاب سيبويه ما قلناه بالنقل عن العرب .

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

اللغـــة :

(مهجوراً) : متروكاً ، أي تركوه وصدوا عن الايمان به ، وقيل هو من هجر إذا هــذى أي جعلوه مهجوراً فيه فحــذف الجار ، وهو يحتمل بهذا المعنى وجهين ، أحدهما : أنهم زعموا أنه هذيان وباطــل وأساطير الأولين،وثانيهما : أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه،فهو إما من الهجر بالفتح أي ضد الوصل وإما من الهجر بالضم وهو الهذيان وفحش القول . ثم المهجور اما اسم مفعول وإما مصدر بمعنى الهجر أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والميسور والمعسر .

(ورتلناه) : فرقناه أو أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه ، وأصله الترتيل في الأسنان وهو تفليجها ، يقــال : ثغر مرتل ورتل بفتحتين .

الاعراب :

(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هـذا القرآن مهجوراً) عطف على قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا ، وقال الرسول فعل وفاعل ويا حرف نداء ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم وان واسمها وجملة اتخذوا خبرها وهذا مفعول أول لاتخذوا والقرآن بدل من اسم الاشارة ومهجوراً مفعول به ثان . (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم بعد الارتماض الذي يعانيه والذي تدل عليه شكواه المريرة . وكذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الجعل جعلنا ولكل نبي مفعول به ثان لجعلنا وعـدواً مفعول به أول ومن المجرمين نعت لعـدواً . (وكفى بربك هادياً ونصيراً) الواو عاطفـة وكفى فعـل ماض وبربك الباء حرف جر زائد في الفاعـل وربك مجرور لفظاً فاعـل كفى محلاً وهادياً حال ونصيراً عطف عليه . (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهته منهـم تتعلق بالقرآن ، والحاكون هم قريش أو اليهـود وهو اعتراض متهافت ساقط من أساسه لأن إعجاز القرآن ليس منوطاً بنزوله جملة أو تفصيلاً . وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولولا حرف تحضيض ونزل فعـل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بنزل والقرآن نائب فاعل وجملة حال وواحدة صفة . (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) الكاف نعت لمصدر محذوف أي نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل ، ولنثبت تعليل لنزلناه المحـذوفة وبه متعلقـان بنثبت والفاعل مستتر تقديره نحن وفؤادك مفعول به ورتلناه عطف عـلى نزلناه المحذوفة وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به وترتيلاً مفعول مطلق،

ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية بترسل وتثبت وقيل هو أنزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة . (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) الواو عاطفة ولا نافية ويأتونك فعل وفاعل ومفعول به وبمثل متعلقان بيأتونك أي بسؤال عجيب يشبه في استغرابه وبطلانه المثل السائر ، وإلا أداة حصر وجئناك فعل وفاعل ومفعول به وبالحق جار ومجرور متعلقان بجئناك والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال فمحل الجملة النصب على الحال أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال اتياننا إليك بالحق وبما هو أحسن بياناً . وأحسن عطف على الحق وجر بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف وتفسيراً تمييز . (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) الذين رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هم أو نصب على الذم أي أذم الذين ، وجملة يحشرون صلة وعلى وجوههم متعلقان بمحذوف حال أي مقلوبين على وجوههم وإلى جهنم متعلقان بيحشرون . (أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً) أولئك مبتدأ وشر خبر ومكاناً تمييز وأضل سبيلاً عطف على شر مكاناً والجملة تفسيرية فلا محل لها ولك أن تعرب الذين مبتدأ والجملة خبره .

البلاغة :

١ ــ وصف المكان بالشر ، والسبيل بالضلال ، من الإسناد المجازي . وقد مرت له نظائر .

٢ ــ قوة اللفظ لقوة المعنى :

وذلك في قوله تعالى : « ورتلناه ترتيلاً » فإن لفظة رتل على وزن لفظة قتّل الرباعية ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وإنما المراد

بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر ، وسبب ذلك أن هـذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة الحسنة المخصوصة من القراءة ، فاللفظة إن كانت منقولة أدت الى الكثرة • خذالك مثالاً « كلّم » من قوله تعالى « وكلّم الله موسى تكليماً » فإن كلّم على وزن قتّل أيضاً ولم يرد بها التكثير بل أريد بها : خاطبه ، سواء أكان خطابه إياه طويلاً أم قصيراً ، قليلاً أم كثيراً ، وهذه اللفظة رباعية وليس لهـا ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي • لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكـان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذاك أن تكون كلّم من الجرح أي جرّح ولها ثلاثي وهو كلَم مخففاً أي جرح فإذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة وإذا وردت مثقلة دلت على التكثير • فتدبر هذا فإنه حسن جداً وقل من يتفطن له •

٣ ــ وفي قوله : « ولا يأتونك بمثل » استعارة تصريحية • شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة •

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾
فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا
لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ

كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(الرس) : اسم بئر معينة ، قـال أبو عبيـدة : هي البئر المطوية والجمع الرساس ، ومنه قول الشاعر :

وهـم سائرون إلى أرضهـم ... تنابلة يحفـرون الرساسا

وقيل : الرس قرية ، وكان أصحاب الرس قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه ، وقيـل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وسيأتي بحثها ، فكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إن اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأُهلكوا ، وقيـل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار .

والعنقاء هي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها ، ويقال لها عنقاء مُغرب على الاضافة أو العنقاء المغرب والمغربة على الوصف وهي طائر مجهول الجسم لم يوجد ، والداهية ، ويقال في الإخبار عن هلاك الشيء وبطلانه : حلقت به عنقـاء مغرب ، وسميت بالمغرب إما

لإتيانها بأمر غريب وهو اختطاف الصبيان وقيل : انها اختطفت عروساً أو لغروبها أي غيبتها ، ومغرب بضم الميم وفتحها وقيل غير ذلك مما يطول تعداده :

وقيل الرس : ماء ونخل لبني أسد وقيل الثلج المتراكم في الجبال والرس اسم وادٍ ، قال زهير :

بكرن بكوراً واستحرنا بسحرة

فهن ووادي الرس كاليد في الفم

(تبرنا) : فتتنا ، ومنه التبر لفتات الذهب والفضة .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما مرّ من تسلية محمد صلى الله عليه وسلم بحكاية ما جرى للأنبياء وما كابدوه من أقوامهم . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا موسى فعل وفاعل ومفعول به والكتاب مفعول ثان لآتينا وجعلنا عطف على آتينا ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعلنا وأخاه هو المفعول الأول لجعلنا وهارون بدل من أخاه أو عطف بيان ووزيراً حال ، أو تجعل وزيراً هو المفعول الثاني وتعلق الظرف بمحذوف نصب على الحال . (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً) فقلنا عطف على ما تقدم وقلنا فعل وفاعل وجملة اذهبا مقول القول والى القوم جار ومجرور متعلقان باذهبا والذين نعت للقوم وجملة كذبوا صلة وبآياتنا متعلقان بكذبوا والفاء عاطفة على محذوف أي فذهبا إليهم

فكذبوهما فدمرناهم ، ودمرناهم فعل وفاعل ومفعول به وتدميراً مفعول مطلق • (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) وقوم نوح مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده أي وأغرقنا قوم ولك أن تعطفه على الهاء في دمرناهم أي ودمرنا قوم نوح ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال وقد تقدم الإلماع إليها ، وكذبوا الرسل فعل وفاعل ومفعول به وجملة أغرقناهم جواب شرط غير جازم فلا محل لها • (وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً) وجعلناهم عطف على ما تقدم وللناس مفعول جعلناهم الثاني وآية مفعول جعلناهم الأول وأعتدنا عطف على جعلناهم وللظالمين متعلقان بأعتدنا وهي تحتمل التعيين والتخصيص فتكون من وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بوصف الظلم • (وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً) وعاداً مفعول به لفعل محذوف تقديره أهلكنا أو دمرنا ، وثمود وأصحاب الرس وقروناً عطف عليه والمراد بقوله قروناً أقواماً وكثيراً صفة لقروناً • (وكلاً ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيرا) كلاً مفعول به لفعل محذوف يلاقي ضربنا في المعنى أي خوفنا وأنذرنا كلاً فهو نصب على الاشتغال وجملة ضربنا مفسرة وهو فعل ماض وفاعل وله متعلقان بضربنا والأمثال مفعول به وكلاً مفعول به مقدم لتبرنا لأنه فارغ له لم يشتغل بضميره وتبرنا فعل وفاعل وتتبيراً مفعول مطلق • (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأتوا فعل وفاعل وعلى القرية متعلقان بأتوا والتي صفة للقرية وجملة أمطرت صلة ومطر السوء مفعول مطلق لأمطرت فهي بمعنى أمطار السوء والمراد بمطر السوء الحجارة والمعنى أن قريشاً عرجوا مراراً كثيرة بمنازل تلك القرية التي أهلكت

بالحجارة من السماء أثناء انتجاعهم للتجارة وفي القاموس : « ساء سوءاً بالفتح فعل به ما يكره والسوء بالضم اسم منه »،والقريةهنااسم جنس لأنهاتشمل خمسةقرى كان قوم لوط يسكنونهامانجت منهاإلاواحدةوقيل هي قرية واحدة اسمها سذوم بالذال المعجمة أوسدوم بالدال المهملةوقد تقدم هذا كله • (أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً) الهمزة للاستفهام التقريري المتضمن معنى الانكار والتقرير هو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه ، والفاء عاطفة لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها مرات أثناء تعريجهم عليها ليعتبروا بمصائر من قبلهم وما جرّ عليهم إمعانهم في الغواية وركوب متن الشطط من عقوبة لا تقدر وجملة يرونها خبر يكونوا ، بل حرف اضراب وكان واسمها وجملة لا يرجون خبرها ونشوراً مفعول به •

البلاغة :

١ ـ في قوله « لا يرجون نشوراً » مجاز عن التوقع ، وتوقع الشيء يكون في الخير والشر لأنه لما كانت حقيقة الرجاء انتظار الخير وما فيه من سرور وما هو محبب الى النفس احتيج الى توجيه الرجاء بما ذكرناه ولأنه لا يتصور رجاء النشور إلى الكفار •

هذا وقد أجرى بعضهم الكلام على الحقيقة فقال : ان الرجاء بمعنى الخوف هنا وهو محض تكلف وفي المجاز عنه مندوحة •

٢ ـ وفي قوله « فقلنا اذهبا » الى قوله « فدمرناهم تدميراً »

الحذف ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية فإن تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً •

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا
إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ
أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ
يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

الاعراب :

(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً) الواو استئنافية واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة رأوك مجرورة بإضافة الظرف إليها وإن نافية ويتخذونك فعل وفاعل ومفعول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ولم يقترن الجواب بالفاء لأن « إذا » اختصت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المنفي لا يقترن بالفاء بخلاف غيرها من الأدوات • وإلا أداة حصر وهزواً مفعول به ثان ليتخذونك • (أهذا الذي بعث الله رسولاً) الجملة في محل نصب على الحال من الواو في يتخذونك على تقدير القول أي قائلين والهمزة للاستفهام الانكاري وهذا مبتدأ والذي خبره وجملة بعث صلة والعائد محذوف

أي بعثه والله فاعل لبعث ورسولاً حال ويجوز أن يكون بمعنى مرسل وأن يكون مصدراً حذف منه المضاف ، أي ذا رسول وهو الرسالة ، وفي الاشارة معنى الاحتقار لأنها للقريب • (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) إن مخففة من الثقيلة والجملة من تتمة مقولهم واسمها محذوف أي انه وجملة كاد خبرها ويجوز إهمالها واسم كاد مستتر تقديره هو واللام الفارقة بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة ، وجملة يضلنا خبر كاد وهو فعل مضارع وفاعل مستتر ونا مفعول به وعن آلهتنا متعلقان بيضلنا ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط وأن وما في حيزها مبتدأ وعليها متعلقان بصبرنا والخبر محذوف أي موجود والجواب محذوف أي لصرفنا عنها • (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلُّ سبيلاً) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للرد عليهم من الله تعالى وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع وفاعل وحين ظرف زمان متعلق بيعلمون وجملة يرون في محل جر بإضافة الظرف إليها ومن استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلاً تمييز والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي يعلمون التي علقت عن العمل بالاستفهام أي أهم أم المؤمنون ؟ • (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) الهمزة للاستفهام ورأيت فعل وفاعل أي أخبرني ، ومن اسم موصول مفعول رأيت الأول وجملة اتخذ صلة وإلهه مفعول به ثان لاتخذ وهواه مفعول به أول وقدم المفعول الثاني لأنه أهم وللاعتناء به لأنه هو المحور الذي يدور عليه التعجب وستأتي في باب البلاغة مناقشة طريفة حول هذا التقديم • (أفأنت تكون عليه وكيلاً) الجملة في محل نصب مفعول به ثان لرأيت والهمزة للاستفهام الانكاري للتيئيس من إيمانهم ، والفاء عاطفة على مقدر أي أنت تحرص على إيمانه وأنت مبتدأ وجملة تكون خبره واسم تكون ضمير مستتر تقديره أنت وعليه

متعلقان بوكيلاً ووكيلاً خبر تكون • (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) أم حرف عطف مقدرة ببل والهمزة فهي منقطعة والهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تحسب وجملة يسمعون خبر أن وأو حرف عطف ويعقلون عطف على يسمعون • (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) إن نافية وهم مبتدأ وإلا أداة حصر والكاف خبر هم ، بل حرف عطف واضراب وهم مبتدأ وأضل خبره وسبيلاً تمييز •

البلاغة :

١ ــ التقديم :

في قوله تعالى « اتخذ إلهه هواه » التقديم فقد قدم المفعول الثاني، والأصل اتخذ الهوى إلهاً للعناية به كقولك ظننت منطلقاً زيداً إذا كانت عنايتك بالمنطلق ، وفيه إلى جانب هذه النكتة نكتة ثانية وهي إفادة الحصر ، فإن الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر ، المبتدأ هواه والخبر إلهه ، وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه ، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه • هذا وقد زعم بعض المعربين أنه لا تقديم ولا تأخير في الكلام وإنهما مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف ولكن هذا مجرد وهم فإنهما وإن تساويا في التعريف فقد غاب عن أصحاب هذا الزعم أن المفعول الثاني هو المتلبس بالحالة الحادثة أي أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية •

٢ ــ التمثيل :

في قوله « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » فن التمثيل وقد تقدمت الإشارة إلى هــذا الفن الذي يتلخص في أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظة الخاص ولا بلفظي الإشارة ولا الإرداف بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص لأن المثل لا يشبه المثل من كل الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا • ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قدامة وهو أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى المراد وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه ، كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمنزلة الانعام والبهائم بل أضــل سبيلاً لأن البهائم تنقاد لمن يتعهــدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها أما هؤلاء فقــد أسفوا إلى أبعــد من هذا الدرك •

هذا وقد استخرج ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير أمثال أبي تمــــام من شعره فوجدها تسعــين نصفاً وثلاثمائة بيت ، واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وأربعمائة بيت وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عدداً من أمثال المتنبي ونذكر هنا طائفة أخرى منها :

لعــل عتبك محمود عواقبــه فربما صحت الأجسام بالعلل

وقولــــه :

ومكايد السفهاء واقعــة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

وقولـــــه :

لا يعجبن مضيمـاً حسن بزته   وهل تروق دفيناً جودة الكفن

وقولـــــه :

وانا الذي اجتلب المنية طرفه   فمن المطالب والقتيـل القاتل

وقولـــــه :

وما كمد الحساد شيئاً قصدته   ولكنه من يرحم البحر يغرق

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا
ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

اللغـــة :

(سباتاً) : راحة للأبدان بقطع الأعمال وهو من السبت أي القطع سمي بذلك لقطع الأشغال فيه ، وفي المصباح : « والسبات وزان غراب النوم الثقيل وأصله الراحة يقال منه سبت يسبت من باب قتل » وفي

القاموس : إنه من بابي قتل وضرب ثم قال : والسبات النوم أو خفيفه أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب ، وقال الزمخشري : « والسبات : الموت والمسبوت : الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله « وهو الذي يتوفاكم بالليـل » فإن قلت : هلا فسرته بالراحـة ؟ قلت : النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق » والعيوف من الإبل كما في الصحاح : الذي يشم الماء فيدعه وهو عطشان وفيه أيضاً : رنقته ترنيقاً كدرته » وفي اللسان والاساس : « وجعل الله النوم سباتاً : موتاً وأصبح فلان مسبوتاً : ميتاً » وفي القاموس والتاج : « السبات : النوم أو أوله ، والدهر ، والرجـل الداهية ، وابنا سبات : الليـل والنهار مأخوذ من معنى الدهر ، وسبت يسبت من بابي قتل وضرب سبتاً دخل في السبت وقام بأمر السبت : استراح ، وسبت الشيء قطعه ، وسبت الرأسَ : حلقه والسبت مصـدر ويوم من أيام الأسبوع بين الجمعـة والأحد وجمعه أسبت وسبوت ، والسبت أيضاً : النوام والفرس الجواد والرجل الداهية .

(الرياح) : في المصباح : « والريح أربع الشمال وتأتي من ناحية الشام والجنوب تقابلهـا وهي الريح اليمانية والثالثة الصبا وتأتي من مطلع الشمس وهي القبول أيضاً والرابعة الدبور وتأتي من ناحية المغرب، والريح مؤنثة على الأكثر فيقال هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو الريح وهب الريح ، نقله أبو زيد وقال ابن الأنباري : الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر .

(طهوراً) : الطهور عـلى وجهين في العربية : صـفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به

طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار كقولك وضوءاً حسناً ذكره سيبويه •

(أناسي) : الأناسي جمع إنسي أو إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين ولعل الثاني هو الأرجح ، قال سيبويه : « إن الياء في إنسي للنسب وما هي فيه لا يجمع على فعالي » وقال ابن مالك « واجعل فعالي لغير ذي نسب » وجزم ابن هشام وابن مالك بأنه جمع إنسان لا جمع إنسي ، قالا : وشذ قباطي جمع قبطي وبخاتي جمع بختي ، وفي الصحاح : القبط أهل مصر ورجل قبطي والقبطية ثياب بيض رقاق من كتان والبخت من الابل معرب وقيل هو عربي وينشد لابن قيس الرقيات :

يهب الخيل والألوف ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج

الاعراب :

(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً) كلام مستأنف مسوق للشروع في إيراد أدلة محسوسة على توحيده وستأتي خمسة أدلة أولها امتداد الظل وثانيها جعل الليل لباساً وثالثها إرسال الرياح ورابعها مرج البحرين وخامسها خلق البشر من الماء • والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر أي تنظر فعل مضارع مجزوم بلم وهي هنا بصرية وإلى ربك متعلقان بتنظر على حذف مضاف أي إلى صنيع ربك لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله ، وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال أي ألم تر إلى صنيع ربك كيف مد الظل ، أي على أية حالة ، ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ، واختار الزجاج أن تكون الرؤية قلبية والمعنى ألم

تعلم ، قال : وهذا أولى لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر فحمل اللفظ على رؤية القلب أولى وقد علقت كيف تر عن العمل فجملة مد الظل في محل نصب مفعول به على الثاني وعلى الأول مستأنفة •

ولو الواو حالية ولو شرطية وشاء فعل ما ض وفاعل مستتر واللام واقعة في جواب لو وجملة جعله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والهاء مفعول جعل الأول وساكناً مفعوله الثاني أي ثابتاً بأن يجعل الشمس على وضع واحد أو دائماً غير زائل • (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) ثم هنا للتفاضل بين أوقات الظهور وليست للتراخي الزماني لأنه لا يصح هنا فهي محمولة على المجاز كما سيأتي في باب البلاغة وجعلنا فعل وفاعل والشمس مفعول به وعليه حال ودليلاً مفعول به ثان أي لولا الشمس لما عرف الظل • (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) وثم هنا للتفاضل أيضاً بين الأمور الثلاثة وهي مد الظل وسكونه وقبضه كأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما ، وقبضناه فعل وفاعل ومفعول به وإلينا متعلقان بقبضناه وقبضاً مفعول مطلق ويسيراً صفة ومعنى قبضه قبضاً يسيراً أي حسبما ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون • (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة ولكم حال لأنه كان في الأصل صفة للباساً والليل مفعول جعل الأول ولباساً مفعوله الثاني والنوم سباتاً عطف على ما تقدم وجعل النهار نشوراً عطف أيضاً أي انتشاراً ينشر فيه الناس لتحصيل معاشهم • (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) بشراً حال وبين ظرف متعلق

بمحذوف صفة لبشراً ويدي رحمته مضاف إليه وسيأتي تحقيق ذلك في باب البلاغة • (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) عطف على ما تقدم وفيه إشعار بأن تطهير الظواهر يستلزم تطهير البواطن وفي ذلك منتهى المنة والنعمة • (لنحيي به بلــدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) لام التعليل متعلق بأنزلنا لبيان العلة في إنزاله وبه متعلقان بنحيي وبلدة مفعول به وميتاً صفة لبلدة يستوي فيه المذكر والمؤنث أو لأنه ذكر على معنى البلد في قوله « فسقناه إلى بلد ميت » ونسقيه عطف على نحيي تبعه في النصب ويقال سقاه وأسقاه وكلاهما يتعدى إلى مفعولين ومما متعلقان بمحذوف حال وأنعاماً مفعول به ثان لنسقيه وأناسي كثيراً عطف على أنعاماً • وسيأتي سر تقديم الأنعام على الأناسي في باب البلاغة.

البلاغــة :

١ ــ التقديم والتأخير :

في قوله « وأنزلنا من السماء ماء » الى قولــه « وأناسي كثيراً » فن التقديم والتأخير وهو فن عجيب دقيق المسلك خفي الدلالة ، وهو قسمان : قسم يختص بدلالة الألفاظ على المعاني وقسم يختص بدرجة التقدم في الذكر ومنه الآية التي نحن بصددها ، فقد قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام عــلى إسقاء الناس وإن كانوا أشرف محلاً لأن حيــاة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس ، فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما كانت الأنعــام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس لأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم •

٢ ـ في قوله « ثم جعلنا » و « ثم قبضناه » استعارة تصريحية تبعية استعير فيها لفظة المشبه به وهو البعد والتراخي للمشبه وهو تفاضل الأمور .

وفي قوله « بين يدي رحمته » استعارة أيضاً أي قدام المطر ، وسيأتي المزيد من ذلك .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

اللغـــة :

(مرج البحرين) : جعلهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان وفي المصباح : « المرج : أرض ذات نبات ومرعى والجمع مروج مثل

فلس وفلوس ، ومرجت الدابة مرجاً من باب قتـل : رعت في المرج ، ومرجتها مرجاً : أرسلتها ترعى في المرج » • وفي المختار : وقوله تعالى : « مرج البحرين » أي خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر • وفي الأساس : « أمرج الدواب ومرجها : أرسلها في المرج والمروج ، ومرج السلطان الناس ، ورجل مارج : مرسَل غير ممنوع ، ولا يزال فلان يمرج علينا مروجاً : يأتينا مفاجئاً ، ومرج الخاتم في الاصبع قلق • ومن المجاز : « مرج الله البحرين ، ومرج فلان لسانه في أعراض الناس وأمرجه ، وفلان مرّاج مرّاج : كـذاب ، ومرجت عهودهـم وقد مرج أمرهم مَرَجاً ومروجاً ، وأمر مارج ومريج ، وفي الحديث : « كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة » قال زهـير :

مرج الدين فأعـددت لـه ... مشرف الحارك محبوك الثبَج
يرهـب السوط سـريعاً فإذا ... ونت الخيـل من الشد معج

وأمرجوا عهودهم ودينهم ، وطلع مارج من نار : لهب ساطع » •
هذا وقد سمي الماء الكثير بحراً ولم يقصد بحرين معنيين •

(فرات) : الفرات : البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والتاء فيه أصلية لام الكلمة ووزنه فعال وبعض العرب يقف عليها هاء ويقال سمي الماء العذب فراتاً لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه وفي المصباح: « الفرات الماء العذب يقال فرت الماء فروتة وزان سهل سهولة إذا عذب ولا يجمع إلا نادراً على فرتان كغربان » والفرات أيضاً نهر عظيم معروف والفرات أيضاً البحر •

(أجاج) : الأجاجُ : البالغ في الملوحة وقيل في الحرارة وقيل في المرارة • وفي الأساس « وماء أجاج : يحرق بملوحته » وفي القاموس :

« أجّ يؤج الماء : صـار أجاجاً أي ملحاً مراً ، وهذه نبـذة لغوية في تفصيل كمية الماء وكيفيته : إذا كان الماء دائماً لا ينقطع ولا ينزح في عين أو بئر فهو عدّ ، فإذا كان إذا حرك منه جانب لم يضطرب جانبه الآخر فهو كر ، فإذا كان كثيراً عذباً فهو غدق وقد نطق به القرآن ، فإذا كان مغرقاً فهو غمر ، فإذا كان تحت الأرض فهو غور ، فإذا كان جارياً فهو غيل ، فإذا كان على ظهر الأرض يستقى بغير آلة فهو سَيْح ، فإذا كان ظاهراً جارياً على وجه الأرض فهو معين وسنم ، وفي الحديث : « خير المـاء السنم » فإذا كان جارياً بين الشجر فهو غلل ، فإذا كان مستنقعاً في حفرة أو نقرة فهـو ثغب ، فإذا أنبط من البئر فهو نبط ، فإذا غادر السيل منه قطعة فهو غدير ، فإذا كان الى الكعبين أو أنصاف السوق فهو ضحضاح ، فإذا كان قريب القعر فهو ضحل ، فإذا خاضته الدواب فغيرته فهو طرق ، فإذا كان منتناً غير أنه شروب فهو آجن ، وإلا فهو آسن ، فإذا كان بارداً منتناً فهـو غساق ، أو كان حاراً فسخن ، فإذا اشتدت حرارته فحميم ، فإذا كان ملحاً فهو زعاق ، أو مراً فهو قعاع ، فإذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو أجـاج ، فإذا كان فيه شيء من العذوبة وقـد يشربه الناس عـلى ما فيه فهو شريب ، فإذا كان دونه في العذوبة وليس يشربه الناس إلا عنـد الضرورة وقد تشربه البهائم فهو شروب ، فإذا كان عذباً فهو فرات ، فإذا زادت عذوبته فهو نقاخ ، فإذا كان زاكياً في الماشية فهـو نمير ، فإذا كان سـهلاً سائغاً متسلسلاً في الحلق فهو سلسل وسلسال ، فإذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد فهو زلال ، فإذا كثر عليه الناس حتى نزحوه بشفاههم فهو مشفوه ثم مشمود ثم مضفوف ثم ممكول ثم مجمـوم ثم منقوص » فما أعجب أمـر لغتنا الشريفة .

(برزخاً) : حاجزاً يحول دون اختلاط أحدهما بالآخر دون أن يُرى •

(وحجراً محجوراً) : تقدم تفسيرهما ، وسيأتي البحث عن موقعهما هنا في باب البلاغة •

(وصهراً) : الصهر بالكسر القرابة كما في القاموس والختن وجمعه أصهار وفي المصباح : « الصهر جمعه أصهار ، قال الخليل : الصهر أهل بيت المرأة وقال ومن العرب من يجعل الأحماء والاختان جميعاً أصهاراً ، وقال الأزهري : الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم كالأبوين والأخوة وأولادهم والأعمام والأخوال والخالات فهؤلاء أصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً وقال ابن السكيت : كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الأحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم ولهم وفيهم إذا تزوجت منهم » •

(ظهيراً) : الظهير : المعين فهو فعيل بمعنى مفاعل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله « والملائكة بعد ذلك ظهير » كما جاء الصديق والخليط •

الاعراب :

(ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) عطف على ما تقدم واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وصرفناه فعل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على الماء أو على القول الذي مرّ

فيه ذكر انشاء السحاب وإنزال القطر بين الناس ليعتبروا فأبوا إلا الكفور ، وبينهم متعلقان بصرفناه وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام فأبى أكثر الناس الفاء عاطفة والجملة عطف على ما تقدم وإلا أداة حصر وكفوراً مفعول به أو مفعول مطلق • (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) الواو عاطفة ولو شرطية وشئنا فعل وفاعل ومفعول المشيئة محذوف وقد تقدم انه يكثر بعد فعل المشيئة واللام واقعة في جواب لو وجملة بعثنا لا محل لها وفي كل قرية متعلقان ببعثنا ونذيراً مفعول به أي ولكننا قصرنا الأمر عليك وأنطناه بك وحدك ليكون لك فضل إظهاره والتمرس بأعبائه •

(فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتطع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والكافرين مفعول به أي فلا تسايرهم فيما يريدونك عليه ولا تأخذك هوادة أو لين ، وجاهدهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبه متعلقان بجاهدهم والضمير للقرآن واتل عليهم دائماً زواجره وأوامره ونواذره ، وجهاداً مفعول مطلق وكبيراً صفة • (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) الواو عاطفة والكلام معطوف على ما تقدم ليتساوق ذكر الدلائل الخمسة على توحيده وهذا هو الدليل الرابع • وهو مبتدأ والذي خبره وجملة مرج البحرين صلة وجملة هذا عذب استئنافية أو مقولاً لقول محذوف في موضع الحال أي مقولاً فيهما وهذا مبتدأ وعذب خبره وفرات خبر ثان وهذا ملح أجاج عطف على ما تقدم •

(وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) عطف على مرج داخل في حيز الصلة وجعل فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وبينهما ظرف متعلق بمحذوف في موضع المفعول الثاني لجعل وبرزخاً مفعول به

أول وحجراً محجوراً عطف على برزخاً وقيل منصوبين بقول مقدر وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة • (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) عطف على ما تقدم وقد ذكر فيه الدليل الخامس ومن الماء جار ومجرور متعلقان بخلق وبشراً مفعول به ، فجعله الفاء عاطفة وجعله فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول ونسباً مفعول ثان وصهراً عطف على نسباً والواو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وربك اسمها وقديراً خبرها • (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) الواو استئنافية وجملة يعبدون استئنافية مسوقة للشروع في تقبيح جنوح المشركين الى عبادة الأوثان بعد أن أورد الدلائل الخمسة على التوحيد ، ومن دون الله حال وما مفعول به وجملة لا ينفعهم صلة وجملة ولا يضرهم عطف على جملة لا ينفعهم • (وكان الكافر على ربه ظهيراً) الواو عاطفة وكان الكافر كان واسمها وعلى ربه متعلقان بظهيراً وظهيراً خبر كان أي معيناً للشيطان • (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) كلام مستأنف مسوق لتقرير حال رسوله صلى الله عليه وسلم وما نافية وأرسلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر ومبشراً حال فالاستثناء من أعم الأحوال ونذيراً عطف على مبشراً • (قل ما أسألكم عليه من أجر) قل فعل أمر وجملة ما أسألكم مقول القول وعليه حال لأنه كان في الأصل صفة لأجر وتقدم عليه ومن حرف جر زائد وأجر مجرور لفظاً في محل نصب مفعول به لأسألكم • (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) إلا أداة استثناء ومن شاء مستثنى منقطع لأنه من غير الجنس أي لا أطلب منكم أجراً لنفسي لكن من شاء أن ينفق أمواله في سبيل الله ولوجهه خالصاً فليفعل ، وأن وما في حيزها مفعول المشيئة والى ربه في موضع المفعول الثاني ليتخذ وسبيلاً مفعول به أول ليتخذ •

البلاغـة :

الاستعارة التصريحية في قوله « مرج البحرين » فقد شبه بهما الماءين الكثيرين الواسعين ، وحجراً محجوراً هي كلمة تقال عند التعوذ كما أسلفنا في هذه السورة ، ولكنهما هنا تقالان على سبيل المجاز كأن كل واحـد من البحرين يتعوذ من الآخر ويقـول له حجراً محجوراً ، فإعراب حجراً محجوراً مفعولين للقول المحذوف جيد للغاية من الناحية البيانية . وسيأتي قوله « بينهما برزخ لا يبغيان » في سورة الرحمن فقد شبههما كما قلنا بطائفتين متعاديتين تريد كـل منهما الايقاع بالأخرى وتتربص بها الدوائر وتنتهز السوانح والفرص ، ولكنها عندما تحصل على ما تريد تمتنع من البغي ، فجعـل المعنى المستعار كاللفظ المقول ، وهذا من أبلغ القول وأبينه وأكثره تجسيداً وملاءمة للمعنى المراد .

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

الاعراب :

(وتوكل على الحيّ الذي لا يموت وسبح بحمده) الواو عاطفة على ما تقدم والآية متصلة بقوله « وكان الكافر عـلى ربه ظهيراً » فإنه

لما بـيّن أن الكفار متظاهرون على إيذائه أمره أن يتوكل عليه • وتوكل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى الحي متعلقان بتوكل والذي صفة وجملة ولا يموت صلة وسبح عطف على توكل وبحمده متعلقان بمحذوف حال أي متلبساً بحمـده • (وكفى به بذنوب عباده خبيراً) الواو حرف عطف وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والهاء مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل وبذنوب متعلقان بخبيراً وخبيراً تمييز أو حال • (الذي خلق السموات والأرض وما بينهمـا في ستة أيام) الذي نعت أو بدل من قوله « به » أو مبتـدأ وجملة خلق السموات والأرض صلة وما بينهما عطف على السموات والظرف متعلق بمحذوف صلة وفي ستة أيام متعلقان بخلق • (ثم استوى عـلى العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) ثم حرف عطف واستوى عطف على خلق وعلى العرش متعلقان به والرحمن خبر الذي أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الرحمن ، فاسأل الفاء الفصيحة واسأل فعل أمر وبه متعلقان بخبيراً وخبيراً مفعول به ويجوز أن تكون الباء بمعنى عن والجار والمجـرور متعلقان بقوله فاسأل • ومنه قول الشاعر :

فإن تسألـوني بالنساء فإنني خبـــير بأدواء النساء طبيب

وقول عنترة :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

(وإذا قيـل لهم اسجـدوا للرحمن قالوا وما الرحمـن) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل مجرورة بإضافة الظرف إليها ولهم متعلقان بقيل وجملة اسجدوا للرحمن مقول القول وجملة قالوا جواب شرط غير جازم لا محـل لها والواو زائدة

وما الرحمن ما اسم استفهام خبر مقدم والرحمن مبتدأ مؤخر أو بالعكس ويجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به أو عن معناه . (أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) الهمزة للاستفهام الانكاري ونسجد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولما متعلقان بنسجد أي كيف نسجد لما لا نعرفه ، وجملة تأمرنا صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي للسجد من أجل أمرك وزادهم فعل وفاعل يعود على القول والهاء مفعول به ونفوراً مفعول به ثان أو تمييز .

البلاغة :

في قوله « ثم استوى على العرش » استعارة مكنية ويسميها القدامى تخييلية ، فالمستعار الاستواء والمستعار منه كل جسم مستو والمستعار له الحق عز وجلّ ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملكاً فرغ من ترتيب ممالكه وتشييد ملكه وجميع ما تحتاج إليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده وتدبير أحوال عباده ، استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة ، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام ، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والارض وما بينهما وإن لم يكن ثم سرير منصوب ولا جلوس محسوس ولا استواء على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة .

فائدة :

في الاستواء مذهبان أحدهما مذهب السلف وهو لا يفسر

الاستواء بل يقول انه استواء يليق به وثانيهما مذهب الخلف وهو يفسره بالاستيلاء عليه بالتصرف فيه وفي سائر المخلوقات •

الفوائد :

قوله في ستة أيام : يعني في مقدارها هذه المدة والظاهر أنها من أيام الدنيا وأولها الأحد وآخرها يوم الجمعة وقد كان لها أسماء عندهم وهي : الأحد : أوهل ، والاثنين : أوهن ، والثلاثاء : جبار ، والأربعاء ، دبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عروبة ، والسبت : شيار •

۞ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

اللغة :

(بروجاً) : أي منازل للكواكب السيارة وهي اثنا عشر ، وأصل البروج القصور العالية ، سميت هذه المنازل بروجاً لأنها للكواكب

السيارة بمثابة المنازل الرفيعة التي هي القصور لسكانها ، هذا ومنطقة البروج هي منطقة سماوية تحتوي على المدارات التي تجتازها الكواكب السيارة حول الشمس ، وانحراف هـذه المدارات بالنسبة الى بعضها يختلف قلة وكثرة ولا سيما مدارات الكواكب التي لا تشاهد إلا بالآلة العظيمة الفلكية وهذه المنطقة تقسمها الدائرة الكسوفية المسماة بمدار الارض الى قسمين متساويين عرض كـل منهمـا تقريباً ثماني درجات وينتهيان بدائرتـين موازيتـين لتلك الدائرة وهي منحرفـة عن دائرة الاستواء التي تقسمها الى قسمين يقربان للتساوي ، وقـد قسمت في سالف الازمان الى اثني عشر قسماً تسمى صوراً وكل قسم منها ثلاثون درجة ، ومن سير الشمس بحسب الظاهر في هـذه الأقسام تحصـل الفصول ومددها ، وذلك أن هذا الكوكب بتركه النصف الجنوبي من الكرة ودخوله في نصفها الشمالي تفتتح السنة الشمسية ، أعني بمجرد دخوله في برج الحمل ، وفي ذلك الوقت يبتدىء الربيع الذي يحيا به الكون ويستمر هذا الفصل مدة اجتياز الشمس البرج المذكور وبرج الثور والجوزاء ثم تدخل عـلى التعاقب في السرطان والأسد والسنبلة وهذه تسمى بفصل الصيف فينبعث إلينا مـدة إقامتها في تلك البروج أشعة شديدة الحرارة تنضج الحبوب التي تحصد زمن الصيف ، ثم بعد بلوغها هذا الارتفاع تنزل من جهة النصف الجنوبي فتجتاز على التوالي الميزان والعقرب والقوس ويقال لهذه البروج الثلاثة فصـل الخريف ، ثم يدخل الشتاء بثلجه وبرده وتكون الشمس حينئذ أبعد نقطة عنا ولا ينبعث منها إلينا إلا أشـعة مائلة فتقطع بروجه الثلاثة أعني الجـدي والدلو والحوت ثم ترجع الى محلهـا الأول لتعيد الحياة والحركة الى كثير من الكائنات التي كانت كأنها خلية عنها بسبب بعدها عنها .

فقد عرفت من ذلك أن الصور الاثنى عشرة لمنطقة البروج تنقسم على الفصول الأربعة ، فللربيع الحمل والثور والجوزاء ، وللصيف السرطان والأسد والسنبلة ، وللخريف الميزان والعقرب والقوس ، وللشتاء الجدي والساكب والحوت •

(سراجاً): السراج الشمس كقوله تعالى«وجعل الشمس سراجاً» •

(خلفة) : أي يخلف كل واحد منهما الآخر فالخلفة مصدر هيئة • وعبارة القرطبي : قال أبو عبيدة : الخلفة كل شيء بعد شيء فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ، ويقال للمبطون : أصابه خلفة أي قيام وقعود يخلف هذا ذاك ، ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد • وقال مجاهد : خلفة من الخلاف هذا أبيض وهذا أسود والأول أقوى ، وقيل يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان ، وقيل هو من باب حذف المضاف أي جعل الليل والنهار ذوي خلفة أي اختلاف لمن أراد أن يذكر أي يتذكر فيعلم أن الله لم يجعلهما كذلك عبثاً فيعتبر في مصنوعات الله تعالى ويشكر الله على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم ، وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل •

(هوناً) : الهون : الرفق والسكينة ، وهو مصدر وضع موضع الصفة للمبالغة وقد مرت له نظائر ، ومنه الحديث : « أحبب حبيبك هوناً ما » وقوله « المؤمنون هينون لينون » ومن أمثالهم « إذا عز أخوك فهن » •

(غراماً) : هلاكاً وخسراناً وعذاباً لازماً ، وفي المختار : « الغرام : الشر الدائم والعذاب » قال بشر بن أبي خازم :

ويوم النسار ويوم الفجا •••• ركانا عذاباً وكان غراما

والنسار ماء لبني عامر والفجار مـاء لبني تميم ، وقد جرت فيهما هاتان الواقعتان وكانتا عذاباً على أهلهما وهلاكاً دائماً .

الاعراب :

(تبارك الذي جعـل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) تبارك فعل ماض جامد والذي فاعله وجملة جعل صلة وفي السماء متعلقان بجعل وبروجاً مفعول به وما بعده عطف عليه ويجوز أن تجعل جعل متعدية لاثنين بمعنى الجعل أي التصيير . (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) كلام معطوف عـلى ما قبله وهو مبتدأ والذي خبره وجملة جعل الليل والنهار صلة وخلفة مفعول به ثان لجعل إن كانت بمعنى صير أوحال إن كانت بمعنى خلق وأفرد لأن المعنى يخلف أحدهما الآخر فلا يتحقق هذا إلا منهما ، قيل ولا بد من تقدير مضاف أي ذوي خلفة كما تقدم في باب اللغـة ، ولمن صفة لخلفة وجملة أراد صلة من ، وأن يذكر مصدر مؤول في محل نصب على المفعولية لأراد ومفعول يذكر محذوف أي ما فاته في أحدهما وأو حرف عطف وأراد شكوراً عطف عـلى أراد الأولى . (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) كلام مستأنف مسوق لبيان الأوصاف التي تميز بها عباد الرحمن المخلصون بعد بيان حـال المنافقين وقد وصفهم بثمانية موصولات . وعباد مبتدأ والرحمن مضاف إليه وما بعده صفات ويجوز أن تكون الموصولات الثمانية أوصافاً ، وخبر عبـاد في آخر

السورة وهو قولـه تعالى « أولئك يجزون الغرفة » كأنه قـال وعباد الرحمن الموصوفون بهذه الصفات أولئك يجزون ولعـل الأول أولى لبعده عن التعسف ، والذين خبر عباد أو صفة وجملة يمشون صلـة وعلى الأرض متعلقان بيمشون وهوناً مصدر وضع في موضع الحال أو نصب على المفعولية المطلقة كأنه وصف للمصدر أو ملاقيه في المعنى أي مشياً هوناً • (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاماً) الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها فهي من حيز الصلة وإذا ظرف مستقبـل متضمن معنى الشرط وجملة خاطبهم الجاهلون في محـل جر بإضافة الظرف إليها وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وسلاماً منعول مطلق أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ، وستأتي مناقشة طريفة بين سيبويه والمبرد حول هذا المصدر في باب الفوائد • (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) والذين عطف على الموصول الأول وجملة يبيتون صلة والواو اسم يبيتون ويضعف جعلها تامـة أي يدخلون في البيات كما سيأتي في باب الفوائد ، ولربهم متعلقان بسجداً وسجداً خبر يبيتون أو حال على جعلها تامة ، وقياماً عطف على سجداً ، وقدم السجود عـلى القيام وان كان القيام قبله في الفعل لمراعاة الفواصل ، وسجداً جمـع ساجد وهو اسم فاعل ولذلك تعلق الجار والمجرور به وكـذلك قياماً جمع قائم • (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنـم) والذين عطف أيضاً وجملة يقولون صلة وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء واصرف فعـل أمر معناه الدعاء وعذاب جهنـم مفعول اصرف والجملة مقول القول • (إن عذابها كان غراماً) الجملة تعليلية لا محل لها فهي تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وغراماً خبر كان •

(إنها ساءت مستقراً ومقاماً) الجملة تعليلية أيضاً وحذف العاطف بينهما فالجملتان من جملة مقولهم ، وان واسمها وجملة ساءت خبرها وفاعل ساءت ضمير مستتر مبهم مفسر بنكرة ومستقراً تمييز ومقاماً عطف على مستقراً والمخصوص بالذم محذوف تقديره هي ، وقد أجاز المعربون كالزمخشري والسمين أن تكون ساءت بمعنى أحزنت فلا تكون من أفعال الذم بل تكون فعلاً متصرفاً ناصباً للمفعول به وهو هنا محذوف أي وأحزنت أصحابها وداخليها ، عندئذ يجوز في مستقراً أن يكون تمييزاً وأن يكون حالاً .

الفوائد :

١ ــ مناقشة حول « سلاماً » :

قال القرطبي في تفسيره : « قال النحاس : ولا نعلم لسيبويه كلاماً في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية قال سيبويه : لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على الكفار لكنه على معنى قوله سلمنا منكم ولا خير بيننا وبينكم ولا شر ، وقال المبرد كان ينبغي أن يقول : لم يؤمر المسلمون يومئذ بحربهم ثم أمروا بحربهم ، وقال أي محمد بن يزيد المبرد : أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة ، وقال ابن العربي : لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل أمروا بالصفح والهجر الجميل وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم » .

قلت : ولا حاجة الى ادعاء النسخ لأن الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأصون للعرض وأوفر له.

٢ ــ فعل بات :

قال في القاموس : « وبات يفعل كذا يبيت ويبات بيتاً وبياتاً ومبيتاً وبيتوتة أي يفعله ليلاً وليس من النوم » ومعنى قوله : « وليس من النوم » أي وليس الفعل من النوم فإذا نام ليلاً لا يصح أن يقال بات ينام ، ومنه قول الشريف الرضي :

أتبيت ريان الجفون من الكرى وأبيت منك بليلـــة الملسوع

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب عن رجـل كبير من الفقهـاء أنه استشكل قول الشريف الرضي الآنف الذكر وقال كيف ضم التاء من تبيت وهي للمخاطب لا للمتكلم وفتحها من أبيت وهو للمتكلم ؟ فبينت للحاكي أن الفعلين مضارعان وأن التاء فيهما لام الكلمة وان الخطاب في الأول مستفاد من الهمزة والأول مرفوع لحلوله محل الاسم والثاني منصوب بأن مضمرة بعد واو المصاحبة على حد قول الحطيئة :

ألم أك جاركـم ويكون بيني وبينكـم المودة والإخـــاء

هذا ونعود إلى بيت الشريف فنقول : هو من أرق الشعر وأجمله وفيه استعارة تبعية حيث شبه امتلاء جفون المحبوب من النوم بالري وهو امتلاء الجوف بالماء المذهب للأوار بجامع حصول الراحة في كل منهما ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، واشتق من الري ريان بمعنى ممتلىء الجفون ، وفيه أيضاً كناية وذلك أنه كنى بليلة الملسوع عن ليلة السهر لأن السهر والأرق من لوازم ذلك ، وفيه أيضاً طباق بين النوم المستفاد من الصـــدر صريحاً والسهر المستفاد من العجز كناية ، فقــد استكمــل البيت ثلاثة فنون من البيــان فإذا أضفــت إلى ذلك خروج

الاستفهام عن معناه الأصلي إلى البث والشكوى فقد استكمل أربعة فنون يضاف إليها خامس وهو فن حسن النسق وسلاسة الأسلوب • وهو من أبيات نذكر منها الباقة التالية :

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى
ألم الجوى من قلبي المصدوع

هيهات لا تتكلفنّ لي الهوى
فضح التطبع شيمة المطبوع

كم قد نصبت لك الحبائل طامعاً
فنجوت بعد تعرض لوقوع

وتركتني ظمآن أشرب غلتي
أسفاً على ذاك اللمى الممنوع

كم ليلة جرّعته في طولها
غصص الملام ومؤلم التقريع

أبكي ويبسم والدجى ما بيننا
حتى أضاء بثغره ودموعي

قمرٌ إذا استعجلته بعتابه
لبس الغروب ولم يعد لطلوع

لو حيث يستمع السرار وقتما
لعجبتما من عزه وخضوعي
أهون علي إذا امتلأت من الكرى
أني أبيت بليلة الملسوع

وتكون بات تامة مكتفية بمرفوعها عن منصوبها إذا كانت بمعنى عرس وهو النزول آخر الليل نحو قول ابن عمر رضي الله عنه : « أما رسول الله فقد بات بمنى » أي عرس بها ، وقال امرؤ القيس بن عانس بالنون وهو غير امرؤ القيس بن حجر الكندي :

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد

أي وعرس ، والعائر بالعين المهملة اسم فاعل من العور وهو القذى في العين تدمع له ، وقيل الرمد والأرمد صفة له ، وقالوا بات بالقوم أي نزل بهم ليلاً .

وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾
وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

اللغـــة :

(يقتروا) : في المختار « وقتر على عياله أي ضيق عليهم في النفقة وبابه ضرب ودخـــل وقتر تقتيراً وأقتر أيضاً ثلاث لغـــات » وقد قرىء بفتح أوله وضمه •

(قواماً) : بفتح القاف وكسرها وقد قرىء بهما والقوام بالفتح العـــدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين ، ونظـــير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء ، والقوام بالكسر : ما يقـــام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يزيد عنها ولا ينقص •

(أثاماً) : الأثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى : جزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه ، قال :

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقـــوقاً والعقوق له أثـــام

وفي المختار : « أثمه الله في كذا بالقصر يأثمه بضم الثاء وكسرها أثاماً عده عليه إثماً فهو مأثوم ، وقال الفراء : أثمه الله يأثمه اثماً وأثاماً جازاه جزاء الإثم فهو مأثوم أي مجزي جزاء إثمه » •

الاعراب :

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) والذين عطف على ما تقـــدم وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشـــرط وجملة أنفقوا في محل جر بإضافة الظرف إليها وجملة لم يسرفوا ولم يقتروا لا محل لها لأنها جواب شرط غـــير جازم والواو عاطفة أو حالية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر أي وكان الانفاق ، وبين

ظرف متعلق بمحذوف حـال لأنه كان صفة لقواماً وذلك مضاف إليه وقواماً خبر كان . قال الزمخشري : « والمنصوبان أعني بين ذلك قواماً جائز أن يكونا خبرين معاً ، وأن يجعل بين ذلك لغواً وقواماً مستقراً ، وان يكون الظرف خبراً وقواماً حالاً مؤكدة » . (والذين لا يدعون مع الله إله آخر) والذين عطف على ما تقدم أيضاً وجملة لا يدعون صلة ومع الله متعلق بيدعون وإله مفعول به وآخر صفة . (ولا يقتلون النفس التي حـرم الله إلا بالحق ولا يزنون) ولا يقتلون عطف عـلى ولا يدعون والنفس مفعول به والتي صفـة وجملة حرم الله صلة وإلا أداة حصر وبالحق متعلقان بيقتلون أو بمحـذوف حال فالاستثناء من أعم الأحوال أي إلا مستحقين ، ولا يزنون معطوفة . (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويفعـل فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود عـلى من وذلك مفعول به ويلق جواب الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هـو وأثاماً مفعول به ويضاعف بدل من يلق لأنهما في معنى واحد وسيأتي في باب الفوائد بحث إبدال الفعل من الفعل لأن مضاعفة العذاب لقي الآثام ، وله متعلقان بيضاعف والعذاب نائب فاعل ويوم القيامة ظرف متعلق بيضاعف أيضاً ويخلد عطف على يضاعف وفيه متعلقان بيخلد ومهاناً حال من فاعل يخلـد . (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) إلا أداة استثناء ومن استثناء من الجنس في موضع نصب وجملة تاب صلة وآمن عطف على تاب وكذلك عمل وعملاً مفعول مطلق أو مفعول به وصالحاً صفة . (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وأولئك مبتـدأ والإشارة الى الموصول وهو من ، والجمع باعتبار معناها ، وجملة يبدل خبر أولئك والله فاعل وسيئاتهم

مفعول ، وحسنات مفعول ثان ليبدل أو نصب على نزع الخافض وكان الواو استئنافية وكان واسمها وغفوراً خبرها الأول ورحيماً خبرها الثاني • (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) الواو عاطفة أو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتاب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وعمل عطف على تاب وصالحاً صفة لمفعول مطلق أو لمفعول به محذوف أي عملاً صالحاً ، فإنه الفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وان واسمها وجملة يتوب خبر والى الله جار ومجرور متعلقان بيتوب ومتاباً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي •

الفوائد :

إبدال الفعل من الفعل :

يبدل كل من الاسم والفعل والجملة من مثله وينطبق عليه أحكام البدل فيكون بدل كل من كل أو بدلاً مطابقاً كقوله تعالى « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف » فيضاعف بدل من يلق بدل كل من كل أو بدلاً مطابقاً ، قال الخليل لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام ، وبدل البعض نحو : إن تصل تسجد لله يرحمك ، فتسجد بدل من تصل بدل بعض من كل ، وبدل الاشتمال كقوله :

إن علي الله أن تبايعا تؤخذ كرهاً أو تجيء طائعا

لأن الأخذ كرهاً والمجيء طائعاً من صفات المبايعة والله منصوب على نزع الخافض أي والله ، وأن تبايعا اسم إن والألف في تبايعا للإطلاق وهو من بايع أي عاهد وعلي متعلق بالخبر وتؤخذ وما عطف

عليه بدل اشتمال من حيث المعنى ، أما ابدال الجملة فيطرد في البدل المطابق نحو قعدت جلست في دار زيد .

وفي بدل البعض من الكل كقوله تعالى : « أمدكم بما تعلمون : أمدكم بأنعام وبنين » فجملة أمدكم الثانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما فتكون داخلة في الأولى لأن « ما تعلمون » تشمل الأنعام وغيرها ، وبدل الاشتمال كقوله :

أقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا
وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فـ « لا تقيمن عندنا » بدل اشتمال من « ارحل » لما بينهما من المناسبة اللزومية وليس توكيداً له لاختلاف لفظيهما ولا بدل بعض لعدم دخوله في الأول ولا بدل كل من كل لعدم الاعتداد به كما تقدم .

وقد تبدل الجملة من المفرد بدل كل كقول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة ... وبالشام أخرى كيف يلتقيان

فقد أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجة وأخرى وهما مفردان ، أما ابدال المفرد من الجملة فقد صرح أبو حيان في البحر بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى « ولم يجعل له عوجاً قيماً » فقيماً بدل من جملة لم يجعل له عوجاً لأنها في معنى المفرد أي جعله مستقيماً .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ
يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

الاعراب :

(والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً) والذين عطف على الموصولات السابقة وجملة لا يشهدون صلة ، والزور : إن كانت يشهدون بمعنى الشهادة المعلومة فيكون الزور منصوباً بنزع الخافض أي بالزور وإن كانت يشهدون بمعنى يحضرون فيكون الزور مفعولاً به ، وإذا الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة مروا مجرورة بإضافة الظرف اليها ومروا فعل وفاعل وباللغو متعلقان بمروا وجملة مروا الثانية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وكراماً حال أي ربئوا بأنفسهم عن الوقوف عليه والاسهام فيه . (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً) جملة لم يخروا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليها متعلقان بيخروا وسيأتي معنى هذا النفي في باب البلاغة وصماً حال وعمياناً حال ثانية . (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) عطف على ما تقدم وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وهب فعل أمر فيه معنى الدعاء ولنا متعلقان

بهب ومن أزواجنا حال وسيأتي بحث هذا التجريد في باب البلاغة وقرة أعين مفعول هب وتقدم أن قرة العين سرورها والمراد به ما يحصل به السرور وسيأتي سر تقليل الأعين في باب البلاغة ، واجعلنا فعل أمر متضمن معنى الدعاء وفاعله مستتر ومفعول أول وللمتقين حال لأنه كان في الأصل صفة لإماماً وإماماً مفعول به ثان وفيه أربعة أوجه :

١ً ــ انه مصدر مثل قيام وصيام فلم يجمع لذلك والتقدير ذوي امام •

٢ً ــ انه جمع إمامة مثل قلادة وقلاد •

٣ً ــ هو جمع آم من أم يؤم •

٤ً ــ انه واحد اكتفى به عن أئمة كما قال تعالى « نخرجكم طفلاً » •

(أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً) الجملة حالية من المتقين أو خبر عباد الرحمن على أحد القولين وأولئك مبتدأ وجملة يجزون الغرفة خبره والغرفة مفعول به ثان ليجزون والواو نائب فاعل وهو المفعول الأول ، وبما متعلقان بيجزون وما مصدرية والباء للسببية أي بسبب صبرهم على المشاق في الطاعات والابتعاد عن الشهوات ومكابدة المجاهدات ويلقون عطف على يجزون وفيها حال وتحية مفعول به ثان ليلقون لأنه مبني للمجهول والواو نائب فاعل وسلاماً عطف على تحية • (خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً) خالدين حال وفيها متعلقان بخالدين وحسنت فعل ماض والفاعل مستتر يعود على الغرفة ومستقراً تمييز ومقاماً عطف على مستقراً وجملة حسنت

حال ثانية من الغرفة • (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكـم) ما اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق ويعبأ فعل مضارع وبكم متعلقان بيعبأ وربي فاعل أي انه يكترث بكم ويعبأ بكم ويعلي ذكركم لأجـل عبادتكم ولولا عبادتكم لم تكونوا شيئاً يؤبه له ، ويجوز أن تكون ما نافية ولولا حرف امتناع لوجود ودعاؤكـم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً وجواب لولا محذوف كما قدرناه سابقاً ودعاؤكم مصدر أضيف لفاعله والمفعول محذوف أي إياه • (فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً) الفاء الفصيحة أي إني إذا أعلمتكم أني لا أعتد بكم ولا أقيم لكم وزناً إلا لأجـل عبادتكم فقد خالفتـم بتكذيبكم حكمي فسوف تتحملون مسؤولية تكذيبكـم • ويكون فعـل مضارع ناقص واسمها هو أي التكذيب ولزاماً خبرها وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل أي ملازماً لكم •

البلاغـة :

١ ــ النفي والاثبات :

في قوله تعالى « لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً » نفي واثبات ، فقد أثبت الخرور لأنهم طالما خروا ساجدين خاشعين في هدوء الليل ووسط الدجى ولكنهم إن خروا ساجدين سلمت لهم أبصارهم وآذانهم فلم يبصروا إلا مرائي الهيبة وتعاجيب الألوهية وأنوار السنا الساطعة ، ولم يسمعوا إلا الآيات تتردد في آذانهم وتهجس في مخيلاتهم فإذا الورى آي وعبر ، واذا الحوبة لا عين ولا أثر ، تقول ما يلقاني زيد ماشياً إنما هو نفي للمشي لا للقاء وعبارة ابن قتيبة : « المعنى لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يبصروها » •

٢ ــ التقريع للكافرين :

وفيها أيضاً تنديد وتقريع للكافرين لأنهم صم بكم عمي لا ينتفعون بما يقرءون ، ولا يعتبرون بما يشاهدون، ولا يتجاوز آذانهم ما يسمعون

٣ ــ التنكير والتقليل :

وفي قوله تعالى « قرة أعين » نكتتان الأولى التنكير ، وإنما جنح إليه لأجل تنكير القرة ، والمضاف لا يمكن تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه ليكون السرور غير متناه ولا محدود ، وإنما قلل الأعين أي جمع جمع القلة لأن أعين المتقين قلة بالإضافة الى غيرهم ، يدل على ذلك قوله « وقليل من عبادي الشكور » وهناك وجه آخر لعله أبلغ مما تقدم وهو أن المحكي كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال : يقول كل واحد من المتقين اجعل لنا من ذرياتنا قرة أعين ، فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد ، والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً في نفسه لا بالنسبة والإضافة .

سورة الشعراء
مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

اللغـــة :

(باخع) : تقدم تفسير هـــذه الكلمة ، والبخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد للذابح ، وفي المصباح : « وبخع نفسه بخعاً من باب نفع قتلها من وجـدٍ أو غيظٍ وبخع لي بالحق بخوعاً انقاد وبذله » .

الاعراب :

(طسم ، تلك آيات الكتاب المبين) طسم تقدم إعرابها والحديث عن فواتح السور، وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر والمبين صفة لكتاب. (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) لعل للاشفاق أي فالترجي هنا بمعنى الأمر أي ارحم نفسك وارفق بها ، والكاف اسمها وباخع خبرها ونفسك مفعول به لباخع وأن وما في حيزها مفعول لأجله أي خيفة أن لا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم ، ومؤمنين خبر يكونوا . (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) كلام مستأنف مسوق لتعليل الأمر بإشفاقه على نفسه من الاسترسال في التحسّر والغم على عدم إيمانهم ، وان شرطية ونشأ فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره نحن ومفعول المشيئة محذوف لأنه مضمون الجواب أي إيمانهم وننزل جواب الشرط وعليهم متعلقان بننزل ومن السماء حال لأنه كان في الأصل صفة لآية والفاء حرف عطف وظلت فعل ماض ناقص معطوف على ننزل فهو مجزوم محلاً ويجوز أن تكون الفاء استئنافية وظلت بمعنى المضارع أي تظل تدوم ، وإليه جنح الجلال فيكون قد فسره بالمرفوع ، وأعناقهم اسم ظلت ولها متعلقين بخاضعين وخاضعين خبر ظلت ، وسيأتي سر المخالفة في العطف وسر مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق في باب البلاغة . (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) الواو عاطفة وما نافية ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جر زائد وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل يأتيهم ومن الرحمن صفة لذكر ومحدث صفة ثانية أي تجدد انزاله وفق مقتضيات الأحوال وإلا أداة حصر وجملة كانوا

استثناء من أعم الأحوال فهي حالية وكان واسمها وعنه متعلقان بمعرضين ومعرضين خبر كانوا . (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) الفاء الفصيحة كأنه قيل إذا شئت أن تعرف ماذا كان موقفهم من الذكر حين أعرضوا عنه وصدفوا عن التأمل فيه فقد كذبوا. وقد حرف تحقيق وكذبوا فعل ماض وفاعل فسيأتيهم عطف على ما تقدم للوعيد والتهديد ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به وأنباء فاعل وما مضاف إليه وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وبه متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا . (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر وقد تقدم مثل هذا التعبير كثيراً ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل والرؤية هنا بصرية ولذلك تعدت بإلى والى الارض متعلقان بيروا وكم خبرية في محل نصب مفعول أنبتنا وأنبتنا فعل ماض وفاعل ومن كل زوج تمييز كم الخبرية ويجوز أن يكون حالاً كما ذكر أبو البقاء وكريم صفة لزوج ، وأراد بالزوج الصنف من النبات والنوع وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة . (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن وما الواو حالية وما نافية وكان أكثرهم مؤمنين كان واسمها وخبرها أي سبق ذلك في علم الله ، وقال سيبويه كان زائدة وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب الفوائد . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو خبر هو والجملة خبر إن والرحيم خبر ثان .

البلاغــة :

انطوت هذه الآيات على الكثير من فنون البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ــ المخالفة في العطف :

فقد خالف في العطف ، فعطف « فظلت » على « ننزل » ولو قيل أنزلنا لكان صحيحاً ولعله كان مما يقتضيه السياق ولكنه خولف لأن في عطف الماضي عــلى المستقبل إشعاراً بتحقيقه وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً ، وله في القرآن نظائر سترد في مواضعها •

٢ ــ المجاز العقلي :

المجاز العقلي في إسناد الخضوع للأعناق ، فقد يقال كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق والخضوع من خصائص العقلاء ، وقد كان أصل الكلام « فظلوا لها خاضعين » والسر في ذلك انه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيــل خاضعين كما تقــدم في قوله « لي ساجدين » وهناك أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة نلخصها فيما يلي :

آ ــ المراد الرؤساء كما قيل لهم وجوه وصدور •

ب ــ انه على حذف مضاف أي فظل أصحاب الأعناق ، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف •

جـ ــ انه لما أضيف الى العقلاء اكتسب منهم هــذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالاضافة •

د ــ ان الأعناق جمع عنق من الناس وهم الجماعة يقال جاءنا عنق من الناس أي فوج وليس المراد الجارحة المعلومة .

هـ ــ إقحام الأعناق لبيانْ موضع الخضوع وترك الكلام على أصله .

و ــ ما ذكره من أنها عوملت معاملة العقلاءلما أسند اليها مايكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي .

ز ــ انه لما أضاف الأعناق إلى المذكر وكانت الأعناق متصلة بهم في الخلقة والتكوين أجري عليها حكمهم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية ، قال : ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة .

٣ ــ التتميم :

بقوله « أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم » فقد كان يكفي أن يقال كم أنبتنا فيها من زوج كريم وما معنى الجمع بين كم وكل والجواب أن كلاً إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا المحاط مفرط بالكثرة ، وبذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها ، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الاشارة إليه ، وتعريفه: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو في صفاته ولفظه تام كما أن المقصود هنا في الآية آحاد الأزواج ويدل عليه أنه لو أسقطت « كل » فقلت : انظروا الى الارض كم أنبت الله فيها

من الصنف الفلاني لكنت مكنياً عن آحاد ذلك الصنف المشار اليه ، فإذا أدخلت كلاً فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين .

٤ ـ التتميم أيضاً :

وتمم كذلك بوصفه الزوج بالكريم وذلك لأمرين :

آ ـ ان النبات ـ كما هو معلوم ـ نوعان نافع وضار فدل بكلمة كريم أنه يقصد النوع النافع فذكر كثرة من أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار .

ب ـ أنه يقصد كلا النوعين النافع والضار ويصفهما جميعاً بالكرم تنبيهاً على أنه ماخلق شيئاً إلا لفائدة وربما خفيت عليكم أسرارها وصعب عليكم اكتناهها ولكنه تعالى عالم بما تجهلون .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ
أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى
وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ
﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ
إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾

الاعراب :

(وإذ نادى ربك موسى : أن ائت القوم الظالمين) كلام مستأنف مسوق للشروع في سرد سبع قصص هي علـى التوالي : قصة موسى وقصة ابراهيم وقصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب • والظرف متعلق بمحـذوف تقـديره اذكر يا محمـد لقومك عساهم يتعظون بها ويعتبرون بما آل اليه مصير أولئك الأقوام الذين جنحوا الى المكابرة والتعنت ولجئوا الى اللجاج والسفسطة التي لا طائل تحتها ، وجملة نادى في محل جر بإضافة الظرف إليها وربك فاعل نادى وموسى مفعول به وأن ائت يجـوز في « أن » أن تكون مفسـرة وأن تكون مصدرية وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض وائت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت والقوم مفعول به والظالمين صفة • (قوم فرعون ألا يتقون) قوم فرعون بدل من القوم الظالمين أو عطف بيان ولعله أولى لأنهما عبارتان تعتقبان على مدلول واحد ، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بإزالته ، والهمزة للاستفهام الانكاري ولا نافية ويتقون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة استئنافية والمقصود منها التعجب أي تعجب من عدم تقواهـم ، ولا بد من تقـدير معنى التعجب لأن الاستفهـام الإنكاري معناه النفي ولا نافية ودخول النفي على النفي اثبات فيئول المعنى الى أنهم اتقوا الله وذلك فاسد ، ويحتمل أن تكون الجملة حالية من الضمير الذي تحمله اسم الفاعـل وهو الظالمون أي يظلمون غـير متقين ، واختار بعض المعربين أن تكون ألا للعرض وآخرون اختاروا أنها للتنبيه • (قال رب إني أخاف أن يكذبوني) رب منادى مضاف حذف منه حرف النداء وإني إن واسمها وجملة أخاف خبرها وأن وما في

حيزها مفعول أخاف وحذفت ياء المتكلم من يكذبوني لمراعاة الفواصل (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هارون) الواو عاطفة ويضيق معطوف على خبر إن أي على أخاف فهو مرفوع مثله ويجوز عطفه على يكذبون فهو منصوب مثله وقد قرىء به والفرق بين المعنيين أن الرفع يفيد فيه ثلاث علل أو معاذير وهي : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان ، وأما الرفع فيفيد أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة ، وصدري فاعل ولا ينطلق لساني عطف على ما قبله لعبسة في لسانه ، فأرسل الفاء الفصيحة وأرسل فعل أمر معناه الالتماس والى هارون متعلقان بأرسل وليس مراد موسى الامتناع من أداء الرسالة أو التلكؤ فيها بل أراد أن يظهر عجزه عن الاضطلاع بهذا العبء الخطير وطلب المعونة من ربه بأن يعضده بأخيه حتى يتساندا ويتضافرا على تنفيذ الأمر وتبليغ الرسالة . (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلوني) عطف على ما تقدم ولهم خبر مقدم وعلي حال وذنب مبتدأ مؤخر وهو قتله القبطي الذي قيل إنه كان خباز فرعون ، والمعنى لهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتيل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنباً كما سمى جزاء السيئة سيئة . (قال : كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) كلا حرف ردع نابت عن الفعل وهو ارتدع يا موسى ولذلك عطف عليها بالفاء من قوله فاذهبا ، واذهبا فعل أمر وألف الاثنين فاعل وبآياتنا متعلقان باذهبا وجملة إنا معكم مستمعون تعليلية للأمر وإن واسمها ومستمعون خبرها والظرف متعلق بمحذوف حال أو خبر ثان أو بمستمعون نفسها ومفعول مستمعون محذوف أي ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه ، وفي هذا الكلام مجاز سيأتي ذكره في باب البلاغة . (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) الفاء عاطفة وأتيا فرعون فعل أمر وفاعل ومفعول به فقولا عطف ، وإنا

ان واسمها أي إن كلاً منا ، ليطابق اسم ان خبرها ورسول خبرها ورب العالمين مضاف إليه وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا التطابق • (أن أرسل معنا بني إسرائيل) الأرجح أن تكون أن هنا مصدرية لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول وحروفه والمصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض ، وأصر الزمخشري على أنها تفسيرية بمعنى أي وجعلها غير مسبوقة بقوله فقولا بل بما تضمنه لفظ الرسول من معنى الارسال ، تقول أرسلت إليك أن أفعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحوهما ، والظرف متعلق بأرسل وبني إسرائيل مفعول به •

البلاغة :

في قوله تعالى « إنا معكم مستمعون » مجاز معناه : إنا معكم نستمع ما يجري بينكم وبينه وأنا الناصر لكما عليه ، فالاستماع قرينة للكلام المجازي لأن من سمع محاورة خصمين كان مستطيعاً الحكم بينهما ومشايعة أيهما رآه أقرب الى الحق وأدنى من الصواب ، فإذا اعترض معترض بأن الله تعالى مستمع حقيقة وسامع ولا يجوز اجراء المجاز عليه تعالى قلنا إن الاستماع يقتضي الاصغاء بالأذن كما الإبصار يتطلب تقليب الحدقتين من العين ، وكل ذلك من خواص المحدثين •

الفوائد :

يجوز أن يكون الرسول بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع ، كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال أبو ذؤيب :

ألكني إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة لأن الرسول في الأصل مصدر فجاز افراده مع تعدد معناه ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في أعلمهم ، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على طريق الاستعارة المكنية ، والنواحي تخييل ، أو شبه توابع الخبر التي يسأل عنها تبعاً له بالنواحي على طريق الاستعارة التصريحية ، يعني أنه أعلم من غيره بذلك ، وألكني : أرسلني مصحوباً بالرسالة • ومن مجيء الرسول بمعنى الرسالة قول كثير عزة :

حلفت برب الراقصات الى منى
خلال الملا يمددن كلّ جديل
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول
فلا تعجلي يا عزّ أن تتفهمي
بنصح أتى الواشون أم بحبول

والراقصات : المطايا السائرات إلى منى في الحج ، وخلال الملا أي في أثناء الناس فيكون مخففاً من الملأ أو في الصحراء لأن الملا الصحراء والمتسع من الأرض ، والجديل الرسن في عنقها ، والواشي الذي يحسن الكلام ويموهه ويخلط الصدق بالكذب ويحرف الكلم عن مواضعه ، وما نافية أي ما تفوهت عندهم بسر ، ولا أرسلتهم الى أحد برسول أي برسالة فهو في الأصل مصدر وقد يطلق على المرسل ، والأصل يا عزة فرخم بحذف التاء ، وأن تتفهمي أي في أن تتفهمي أو لأجل أن تتفهمي،وبنصح

أي أبنصح أتى الواشون إليك أم بحبول ؟ وهي جمع حبل بالكسر وهي الداهية العظيمة ولا أدهى من الكذب •

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(قال : ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) لا بد من تقدير مقدر محذوف أي فانطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن هاهنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين فقال : ائذن له لعلنا نضحك منه ، فأديا إليه الرسالة فعرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال له : ألم نربك • والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ونربك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وفينا متعلقان بنربك ووليداً حال ولبثت فعل وفاعل وفينا متعلقان بلبثت ومن عمرك حال لأنه كان صفة لسنين وسنين ظرف متعلق بلبثت أيضاً • (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) الواو عاطفة وفعلت فعل وفاعل وفعلتك مفعول به أو مفعول مطلق والتي نعت وجملة فعلت صلة والواو حالية وأنت مبتدأ ومن الكافرين خبر أي الجاحدين لنعمتي

والفعلة التي فعلها موسى هي قتل خبازه القبطي • (قال فعلتها إذن وأنا من الضالين) قال فعل ماض أي موسى وفعلتها فعل وفاعل ومفعول به أو مفعول مطلق أي فعلت الفعلة وإذن حرف جزاء بمثابة الجواب والواو واو الحال وأنا مبتدأ ومن الضالين خبر أي عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة وربأ بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها عليه فروعون وهي قوله له وأنت من الكافرين فقال من الضالين أي المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل • (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) الفاء عاطفة وفررت فعل وفاعل ومنكم متعلقان بفررت ولما حينية كما يقول الفارسي ورابطة كما يقول سيبويه ، وجملة خفتكم مضاف إليها الظرف ، فوهب عطف على ففررت ولي متعلقان بوهب وربي فاعل وحكماً مفعول به وجعلني من المرسلين عطف على ما تقدم ، دفع قدحه في نبوته بهذا القول أي ان موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة ، ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فدحضه وأبطله من أصله واجتثه من أساسه بقوله : (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لنسف الاتهام الذي وجهه إليه فرعون ، وتلك مبتدأ ونعمة خبر وجملة تمنها صفة لنعمة وعلي متعلقان بتمنها وأن وما في حيزها عطف بيان لتلكِ لأن الإشارة إلى خطة شنعاء وخصلة شوهاء لا تكتنه حقيقتها إلا بتفسيرها فجاء عطف البيانمفسراً ما أبهم فاتحاً ما أغلق ، ويجوز أن يعرب المصدر المؤول بدلاً من نعمة أو يكون في محل نصب على أنه مفعول لأجله ، وتمنها فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء منصوب بنزع الخافض لأن منّ فعل لازم يتعدى بالباء أي تمن بها •

وأشار الجلال في تفسيره المختصر الى أن بعضهم قدر أول الكلام همزة أي قبل وتلك وأصل الكلام أو تلك ؟ أي ليست هذه نعمة حتى

تمن بها علي ، والمقدر هو الأخفش ، وهذه الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى النفي كما شرحنا •

البلاغـة :

الابهـــام :

في قوله « وفعلت فعلتك التي فعلت » إبهام من غير تفسير وهو قسمان : إبهام مفسر وإبهام من غير تفسير فإن قوله « التي فعلت » يذهب فيها الوهم كل مذهب وتحمل الكثير من المعاني وهو كثير شائع في القرآن الكريم •

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

الاعراب :

(قال فرعون : وما رب العالمين) قال فرعون فعل وفاعل والواو عاطفة لتعطف القول على قول موسى « إنا رسول رب العالمين » وما اسم

استفهام مبتدأ ورب العالمين خبره وانما أجاب بما لأنه سأل عن صفاته وأفعاله ولو أراد عينه لقال من ؟ (قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) قال موسى هو رب فرب خبر لمبتدأ محذوف وما عطف على الجنسين فلا يرد اعتراض على التثنية وهي راجعة على الجمع وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط وكان واسمها وخبرها وجواب إن محـذوف أي إن كنتم ممن يرجى منهـم النظر الصحيح والاعتبار السليم تفعكم هـذا الجواب ، أو تقدره إن كنتم توقنون بشيء فهـذا أولى ما توقنون به لسطوعه وإنارة دليله • (قال لمن حوله ألا تستمعون) قال فرعون ، ولمن متعلقان بقال وحوله ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة وهم أشراف قومه والهمزة للاستفهـام ولا نافية وتستمعون فعـل مضارع وفاعله ومفعوله محذوف أي جوابه الذي لم يطابق السؤال • (قال ربكـم ورب آبائكم الأولين) قال موسى ، وربكم خبر لمبتدأ محذوف أي هو ورب آبائكم عطف على ربكم والأولين صفة لآبائكم أجابه بهذا وإن كان داخلاً ومنتظماً في قوله رب السموات والارض وما بينهما لإغاظته وتحديه ، وسيأتي سـر ذكر الخاص بعـد العام في باب البلاغـة • (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) قال فرعون ، وجملة إن رسولكم مقول القول وان واسمها والـذي صفة وجملة أرسل اليكم صلة للموصول واللام المزحلقة ومجنون خبر إن • وهذا شأن المبطلين المتحكمين عنـدما يسقط في أيديهـم يلجئون إلى نعت صاحب الحق بالجنون أو غيره لأنهم لا يملكون الدليل على معارضته • (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) قال موسى زيادة في إغاظته والتدليل على إسفافه : هو رب المشرق والمغرب وما بينهما ، وسيأتي سر هذا الطباق في باب البلاغة ، وإن كنتم تعقلون شرط وجوابه محذوفه

أي إن كان لكم مسكة من عقل علنتم أن لا جواب لكم غير المكابرة والسفه والشطط في القول ، قال أولاً إن كنتم موقنين لأن المقام مقام تدليل واقناع ثم لما يئس واشتد اللجاج غالظهم وقابل لجاجتهم ونسبتهم إياه الى الجنون بمثلها فنفى عنهم العقل الـذي يمكنهم من التمييز بين الأمور • (قـال لئن اتخـذت إلهاً غـيري لأجعلنك من المسجونين) قال فرعون ، لئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية واتخذت فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وإلهاً مفعول به وغـيري صفة واللام جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم بناء على القاعدة المشهورة وأجعلنك فعـل مضارع مبني عـلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمـير مستتر تقديره أنا ومن المسجونين في موضع نصب على أنه المفعول الثاني • (قال أو لو جئتك بشيء مبين) قال موسى ، والهمزة للاستفهام والواو للحال وكل ما كان على هذا التركيب يكون قدسبقه فعل محذوف أي أتفعل ذلك ولو •••، ولو شرطية وجئتك فعل ماض وفاعل ومفعول به وبشيء متعلقان بجئتك ومبين صفة لشيء أي ببرهان ساطع على نبوتي • (قال فأت به إن كنت من الصادقين) قال فرعون ، فأت الفاء الفصيحة أي إن كنت صادقاً في دعواك فأت ، وبه متعلقان بقوله فأت وإن شرطية وكنت فعل الشرط وكان واسمها ومن الصادقين خبر كنت وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله •

البلاغـة :

العموم والخصوص :

بعد أن ذكر العموم بقوله « رب السموات والارض وما بينهما » إذ استوعب به الخلائق كلها عاد الى التخصيص بذكرهم وذكر آبائهم

والمطابقة بين المشرق والمغرب ليتأملوا في أنفسهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة ومن حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ، وطابق بين المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم ونظام ثابت لا خلل فيه في فصول السنة وحساب مستقيم أيضاً ، من أظهر ما يمكن الاستدلال به •

وعمم ثانياً بجعله من المسجونين ولم يقل لأسجننك للاشارة الى أن ذلك ديدنه فقد كان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في وهدة عميقة الغور وحيداً لا يرى الضوء فيها ولا يسمع الصوت من داخلها فكان ذلك أنكى من القتل ، وهو ديدن المعاند المكابر المحجوج حين تواتيه الأيام ويبتسم له الزمان يعتقد حين يملك قطراً في غفلة من الدهر أن على أهله أن يعبدوه ، فاللام في قوله من المسجونين للعهد أي ممن عرفت شأنهم وعهدت حالهم في سجوني ، فالتعميم هنا أبلغ كما أن التخصيص فيما سبق أبلغ ، ولله أسلوب القرآن إنه يتعالى على الأذهان السطحية البدائية ويدق على البدائه الأولى •

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

اللغـــة :

(ثعبان) : الثعبان الحية يطلق على الذكر والأنثى ويجمع عــلى ثعابين ، واشتقاق الثعبان من ثعب الماء فجره فانثعب ، وقد ظهرت هذه الثعبانية على العصا حين ألقاها . وللثاء مع العين خاصة التلون والتحيل والارهان ، يقال ثعّ يثع من باب ضرب ثعاً قاء ما أكله ، وانثعّ الأكل من فمه والدم من أنفه أو جرحــه أي انصب ، ومن أقوالهــم : سالت الثّعبان كما انساب الثعبان جمع ثَعَب وهو المسيل ، قال :

وما ثَعَبٌ باتت تطرّده الصبا ... بسرّاء وادٍ منجدٍ غيرِ اتهما

ومن المجــاز : صاح به فانثعب اليه إذا وثب يجري إليه ، وشدٌّ أثعوب قال :

لها إذا حَرّ الحرار واللوبْ ... قوائــمٌ عوجٌ وشدٌّ أثعوب

وقال أبو دؤاد :

وكل قائمــة تهوي لوجهتها ... لها أتيٌّ كفَرغ الدلو أُثعوب

وكلاهمــا من باب الاستعــارة إلا أن الطريق مختلف ، وثَعَب عليهم الغارة : شنّها ، وثعب البعير شقشقته : أخرجها . وثعلت أسنانه تثعل من باب فتح ثعلاً تراكبت احداها عــلى الأخرى فهو أثعل وفيه معنى التلوّن والتحيل ، وأثعل الأمر عظم وتفاقم ، والثّعل بضم الثاء المشددة دويبة تظهر في السقاء إذا خبثت ريحه ، وثعالة علم على أنثى الثعلب لا ينصرف ، وثعلب وتثعلب : راغ أو تشبه بالثعلب في روغانه ، والثعلب حيوان مشهور بالتحيل والرّوغان يتساقط شعره كل سنة ،

ومنه داء الثعلب وهو عملية تساقط الشعر ويقال للأنثى ثعلبة وللذكر ثعلبان وكلمة ثعلب تقع على المذكر والمؤنث ويجمع على ثعالب وثعال ، والثعلب أيضاً طرف الرمح الداخل في جبة السنان ، قال بشار :

وجيش كجنـح الليــل يزحف بالحصى
وبالشـوك والخطي حمـر ثعالبـه

والثعلبة أيضاً العصعص والأست . وبالجملة فهذه المادة ظاهرة الثعلبة والثعبانية .

(أرجه) : وأرجئه كما قرىء أيضاً بالهمز وبالتخفيف وهما لغتان يقال : أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة .

الاعراب :

(فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) الفاء عاطفة وألقى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعصاه مفعول به فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وهي ظرف أو حرف وقد تقدم بحثها مفصلاً وهي مبتدأ وثعبان خبر ومبين صفة . وقد تقدم بحث المسألة الزنبورية وخلاف سيبويه مع الكسائي في حضرة يحيى البرمكي حولها . (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) الجملة معطوفة على سابقتها وهي مماثلة لها في اعرابها . (قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم) قال فرعون ، وللملأ متعلقان بقال وحوله ظرف متعلق بمحذوف حال وللزمخشري تفنن في اعرابها نورده لروعته :

« فإن قلت : ما العامل في حوله ؟ قلت : هو منصوب نصبين نصب

في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال » •

وإن حرف مشبه بالفعل وهذا اسمها واللام المزحلقة وساحر خبر وعليم خبر ثان • (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الجملة صفة لساحر ، وهي بيت كامل من مجزوء الرجز وليس شعراً لانتفاء القصد وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً • وأن وما في حيزها مفعول يريد ومن أرضكم متعلقان بيخرجكم وبسحره متعلقان بيخرجكم أيضاً •

(فماذا تأمرون) الفاء عاطفة وماذا اسم استفهام مفعول به لقوله تأمرون أو مفعول مطلق لكونه في معنى المصدر أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبر وجملة تأمرون صلة ، قال ذلك بعد أن بهره ما شاهد واستولى عليه الدهش والبهر • (قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين) قالوا فعل وفاعل وأرجه فعل أمر والهاء مفعول به وأخاه مفعول معه أو عطف على الهاء وابعث عطف على أرجه وفي المدائن متعلق بابعث وحاشرين صفة لمفعول به محذوف أي شُرَطاً يحشرون السحرة ويجمعونهم • (يأتوك بكل سحار عليم) يأتوك فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وبكل سحار متعلقان بيأتوك وعليم صفة لسحار •

الفوائد :

الشُرَط : واحده شرطي وهم الطائفة من خيار أعوان الولاة ، وفي أيامنا هم رؤساء الضابطة ورجالها سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ، وفي الصحاح : « الشرط محركة الحرس سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها » والشرط أيضاً أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت •

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم
مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ
ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾
فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

الاعراب :

(فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) الفاء عاطفة على مقدر وجمع فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل ولميقات جار ومجرور متعلقان بجمع ويوم مضاف اليه ومعلوم صفة واليوم المعلوم هو يوم الزينة وميقاته هو وقت الضحى ، وقد مر ذكره في طه فجدد به عهداً . (وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون ؟) وقيل معطوف على ما تقدم وللناس متعلقان به وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومجتمعون خبر والجملة مقول القول وفي الاستفهام معنى الأمر كأنهم يستبطئهم ويستحثهم على الاجتماع ومنه قول تأبط شراً :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا   أو عبد رب أخا عوف بن مخراق

فهل استفهام استبطائي فيه حث على الفعل ودينار اسم رجل ورب كذلك ونصب لأنه معطوف على محل دينار لأنه مفعول معنى وأخا عوف نعت له وقيل منادى وعوف ومخراق اسمان لرجلين ويروى

عون بالنون • (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) الجملة في محل نصب حال لأن الترجي باعتبار حالة الغلبة المقتضية للاتباع وان كان مقصودهم الأصلي أن لا تتبعوا موسى ، والمعنى : راجين أن تكون الغلبة لهم فلا نتبع موسى • ولعل واسمها وجملة نتبع خبرها والسحرة مفعول به وإن شرطية وكانوا فعل الشرط وهو كان واسمها وهم ضمير فصل والغالبين خبر كانوا • (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) الفاء عاطفة ولما حينية ظرفية أو رابطة وجاء السحرة فعل وفاعل وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ولفرعون متعلقان بقالوا والهمزة للاستفهام وإن حرف مشبه بالفعل ولنا خبرها المقدم وأجراً اسمها المؤخر وإن شرطية وكنا كان واسمها وهو فعل الشرط ونحن ضمير فصل والغالبين خبر كنا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله لأن قوله أئن لنا لأجراً في معنى جواب الشرط لدلالته عليه • (قال نعم وانكم إذن لمن المقربين) قال فرعون ، ونعم حرف جواب أي لكم الأجر وزادهم بقوله وإنكم فهو عطف وان واسمها وإذن حرف جواب وجزاء واللام المزحلقة ومن المقربين خبر إن ، وعدهم بالأجر وبالقربى والزلفى لديه • (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) قال لهم موسى فعل وفاعل ولهم متعلقان بقال وجملة ألقوا مقول القول وما مفعول به وجملة أنتم ملقون صلة وأنتم مبتدأ وملقون خبر • (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) الفاء عاطفة وألقوا فعل وفاعل وحبالهم مفعول به وعصيهم عطف على حبالهم وقالوا عطف على فألقوا ، وبعزة : الباء حرف قسم وجر وعزة مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره نقسم ونحلف بعزة فرعون وإنا إن واسمها وكسرت همزتها وجوباً لوقوعها

بعد القسم كما تقدم واللام المزحلقة ونحن ضمير فصل أو مبتدأ والغالبون خبر إنا أو خبر نحن والجملة خبر إنا ٠

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

الاعراب :

(فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) الفاء عاطفة وألقى موسى عصاه فعل وفاعل ومفعول به فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وهي مبتدأ وجملة تلقف خبر وما مفعول به وجملة يأفكون صلة ما أي تبتلع ما يقلبونه بتمويههم عن وجهه ويزورونه ٠ (فألقي السحرة ساجدين) الفاء عاطفة وألقي فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل ، والفاعل الذي ناب عنه المفعول به لو صرح به هو الله عز وجل بما ألهمهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوه من المعجزة الباهرة التي ضئول أمر السحر عندها ، وسيأتي مزيد بحث عن الإلقاء في باب البلاغة، وساجدين حال ٠ (قالوا آمنا برب العالمين) جملة آمنا من الفعل والفاعل

مقول القول وبرب العالمين متعلقان بآمنا وجملة القول بدل اشتمال من أنقي أو حالية بتقدير قد • (رب موسى وهارون) رب بدل من رب العالمين أو عطف بيان وموسى وهارون مضاف اليه • (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) جملة آمنتم مقول القول وله متعلقان بآمنتم والظرف كذلك وأن وما في حيزها في محل جر بالاضافة ولكم متعلقان بآذن • (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) تعليل لانصياعهم لموسى وهارون وللتلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق • وان واسمها واللام المزحلقة وكبيركم خبر إن والذي صفة وجملة علمكم صلة والكاف مفعول به أول والسحر مفعول به ثان ، فلسوف : الفاء الفصيحة أي إن استمررتم في فعلكم فلسوف تعلمون وبال ما فعلتموه واللام موطئة للقسم وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع وفاعل والمفعول محذوف كما قدرناه • (لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنّكم أجمعين) اللام موطئة للقسم وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والجملة لا محل لها لأنها مفسرة بمثابة بيان لما أبهمه بقوله فلسوف تعلمون وأيديكم مفعول به وأرجلكم عطف على أيديكم ومن خلاف حال أي مضمومة يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى وقد تقدم القول فيها ، ولأصلبنكم عطف على لأقطعن وأجمعين تأكيد للكاف • (قالوا : لا ضير إنا الى ربنا منقلبون) لا نافية للجنس وضير اسمها المبني على الفتح وخبرها محذوف أي لا ضير علينا ولا بأس وجملة إنا تعليل لعدم الضير وإن واسمها والى ربنا متعلقان بمنقلبون ومنقلبون خبر إنا • (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) إن واسمها وجملة نطمع خبر والفاعل مستتر تقديره نحن وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي

في غفران خطايانا أو على تضمين نطمع معنى نرجو فتكون إن وما في حيزها في محل نصب على المفعولية وربنا فاعل يغفر وخطايانا مفعول به وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي لأن كنا أو الباء فالتقدير بسبب أن كنا ، وكان واسمها وأول المؤمنين خبرها أي أول من آمن من رعية فرعون .

البلاغة :

في قوله « فألقي السحرة ساجدين » استعارة مكنية كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وقد زاد هذه الاستعارة جمالاً المشاكلة لأنه عبر بألقي عن الخرور فلم يقل فخروا ساجدين لمشاكلة الالقاءات المتقدمة .

* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ
فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ
لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا

إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

اللغـــة :

(لشرذمة) : الشرذمـــة : الجماعـــة القليلة من الناس وتجمع على شراذم وشراذيم ، وثياب شراذم ممزقة ، وشرذ الجمع بالتشديد فرّقه .

(حـــذرون) : متيقظون وهي مبالغـــة اسم الفاعـــل وقد قرىء حاذرون قال أبو عبيدة : هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحـــذر المتيقظ والحاذر الخائف وقيل الحـــذر المخلوق مجبولاً على الحذر والحاذر من عرض فيه ذلك ، وفي المصباح: « حذر حذراً من باب تعب واحتذر واحترز كلها بمعنى واستعد وتأهب فهو حاذر وحذر والاسم منه الحذر مثل حمل ، وحذر الشيء إذا خافه فالشيء محذور أي مخوف ، وحـــذرته الشيء فحـــذره » وفي قراءة حادرون بالدال المهملة ، والحادر السمين القوي قال :

أحب الصـــبي السوء من أجـــل أمـــه
وأبغضـــه من بغضهـــا وهو حـــادر

أي أن مدار حب الولـــد على حب أمه لا على حسن أوصافه ، وضمير أبغضه عائد على الصبي بدون وصفه ولكن هذه شيمة المنهمك في حب النساء •

(مشرقين) : داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت •

(فرق) : بكسر الفاء أي قطعة •

(الطود) : الجبـل أو عظيمه كما في القاموس والجمـع أطواد وطاد يطود إذا ثبت •

(وأزلفنا) : قربنا •

الاعراب :

(وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبـــادي إنكـم متبعون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة للشروع في الأمر الموجه الى موسى بأن يسير بقومه الى جهة البحر ليلاً وذلك بعد ثلاثين سنة من الحوادث الآنفة الذكر • وأوحينا فعل وفاعل والى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه وأسر فعل أمر من أسرى أي سار ليلاً ، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر من سرى لغة أسرى ، وبعبادي متعلقان بأسر أو حال أي مصحوباً بعبادي وجملة إنكم متبعون تعليل للأمر بالإسراء • (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) الفاء عاطفـة وإن كان في الوقت انقطـاع لأنهم كما يروى شغلوا بدفن موتاهم من الوباء الذي اجتاح مصر ، وأرسـل فرعون

فعل وفاعل وفي المدائن حال وحاشرين مفعول به • (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) الجملة مقول قول محذوف منصوب على الحال أي قائلاً وإن واسمها واللام المزحلقة وشرذمة خبرها وقليلون صفة لأنهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لقوم فرعون وسيأتي في باب البلاغة سر الجمع بالمذكر السالم لقليل • (وانهم لنا لغائظون) الواو عاطفة أو حالية وإن واسمها ولنا متعلقان بغائظون واللام المزحلقة وغائظون خبر إن أي فاعلون ما يغيظنا • (وإنا لجميع حذرون) الواو عاطفة أو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وجميع خبر أول وحذرون خبر ثان أي ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور ، أراد فرعون أن يغطي الصدع الذي أصاب هيبته فوصف نفسه ورهطه بأبلغ الأوصاف الدالة على أصالة المنزلة وقوة الشكيمة • (فأخرجناهم من جنات وعيون) الفاء استئنافية وأخرجناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن جنات وعيون متعلقان بأخرجناهم ، وأراد البساتين التي كانت على جانبي النيل والأنهار الصغيرة المتفرعة من النيل والموزعة على الدور ، وسيأتي وصف مسهب لمصر في باب الفوائد • (وكنوز ومقام كريم) عطف على جنات وعيون ، وأراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها لأن ما فوقها انطمست معالمه أو لأنهم لم ينفقوها فيما يجب انفاقه من خير • (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) كذلك نعت لمصدر محذوف أي أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ويجوز أن تعرب الكاف صفة لمقام كريم أي مقام مثل ذلك المقام الذي كان لهم ويجوز أن تعرب الكاف رفعاً على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك ، وأورثناها الواو عاطفة أو اعتراضية ولعله أرجح وأورثناها فعل وفاعل ومفعول به أول وبني اسرائيل مفعول به ثان أي بعد إغراق فرعون وقومه • (فأتبعوهم مشرقين) الفاء عاطفة وأتبعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ثان أي

لحقوهم ومشرقين حال • (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة وتراءى الجمعان فعل ماض وفاعل أي تقابلا ورأى كل واحد منهما الآخر وجملة قال لا محل لها لأنها جواب لما وأصحاب فاعل قال ، وجملة إنا لمدركون مقول القول • (قال كلا إن معي ربي سيهدين) قال موسى ، وكلا حرف ردع وزجر وأراد موسى أن ينحي عليهم باللائمة لخور أعصابهم وفتور عزائمهم أي لن يدركونا وإن معي تعليل لهذا الردع وان حرف مشبه بالفعل والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وربي اسمها المؤخر وجملة سيهدين استئنافية وغلط من أعربها حالاً وسيأتي التفصيل في باب الفوائد • (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) الفاء عاطفة وأوحينا فعل وفاعل والى موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة واضرب بعصاك البحر فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبعصاك متعلقان باضرب فانفلق الفاء الفصيحة وقد تقدمت كثيراً أي فضرب فانفلق • (فكان كل فرق كالطود العظيم) الفاء عاطفة وكان واسمها والكاف اسم بمعنى مثل خبرها أو هو جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والعظيم صفة للطود • (وأزلفنا ثم الآخرين) الواو عاطفة وأزلفنا فعل وفاعل وثم ظرف بمعنى هناك والآخرين مفعول به وأراد بهم قوم فرعون أي قربناهم من قوم موسى • (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) وأنجينا عطف على ما تقدم وهو فعل وفاعل وموسى مفعول به ومن عطف على موسى ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة من وأجمعين تأكيد لمن • (ثم أغرقنا الآخرين) عطف على ما تقدم • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم بمؤمنين) تعليل لما تقدم أي إنما جعلنا ذلك وقدرناه ليكون آية وموعظة للناس

ولكن ما تنبه إليها أكثرهم ، وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة والواو حرف عطف وما نافية وكان واسمها والباء حرف جر زائد ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر كان وستأتي زيادة الباء في خبر كان في باب الفوائد . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز الرحيم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن .

البلاغة :

في قوله تعالى : « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » الشرذمة هي الطائفة أو الجماعة القليلة كما ذكرنا في باب اللغة وكان يمكن الاكتفاء بها تعبيراً عن القلة ولكنه وصفها بالقلة القليلة زيادة في احتقارهم واستصغار شأنهم ثم جمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع المذكر السالم الذي هو للقلة فهذه أربعة أوجه تتساند لتقليلهم وهناك وجه خامس وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين . فتأمل هذا فإنه من روائع النكت .

الفوائد :

١ ـ شروط وقوع الحال جملة :

تقع الحال جملة بشروط ثلاثة :

١ ً ـ أن تكون الجملة خبرية وهي المحتملة للصدق والكذب ، وهذا الشرط مجمع عليه لأن الحال بمثابة النعت وهو لا يكون بجملة

إنشائية ، وأما ما ورد في الحديث : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا هاء هاء » فهو على إضمار القول أي إلا قائلين هاء وهاء من جهة البائع والمشتري •

وفي شرح التسهيل للمرادي أن الخبرية تتناول الشرطية وأنه يجوز وقوعها حالاً ، ولكن كلام المغني يخالفه ، والتحقيق أن الكلام في الجملة الشرطية إن كان هو الجزاء والشرط قيد له فالجزاء إن كان خبراً فالجملة الشرطية خبرية وإن كان إنشاء فإنشائية وان كان الكلام مجموع الشرط والجزاء فليست خبرية لأن الأداة أخرجتها عن ذلك •

هذا وقد غلط من قال في قول أحد المولدين :

أطلب ولا تضجر من مطلب   فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره   في الصخرة الصمّاء قد أثرا

أن لا ناهية وان الواو للحال ، قال في المغني : وهذا خطأ والصواب في الولو أنها عاطفة ، إما مصدراً يسبك من أن والفعل على مصدر متوهم من الامر السابق أي ليكن منك طلب وعدم ضجر ، أو جملة على جملة ، وعلى الأول ففتحة تضجر اعراب ولا نافية ؛ وعلى الثاني فالفتحة بناء للتركيب والأصل ولا تضجرن بنون التوكيد الخفيفة فحذفت للضرورة ولا ناهية ، والعطف مثل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » ثم استأنف ابن هشام في المغني كلامه في النوع الثامن من الجهة السادسة فقال « ثم الأصح أن الفتحة يعني فتحة تضجر اعراب مثلها في لا تأكل السمك وتشرب اللبن لا بناء لأجل نون توكيد محذوفة » •

٢ً ــ أن تكون الجملة غير مصدرة بدليل استقبال لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وذلك ينافي الاستقبال ، وغلط من أعرب « سيهدين » من قوله تعالى : « إني ذاهب الى ربي سيهدين » حالاً ، وبيان غلطه من جهة الصناعة ظاهر ، وأما من جهة المعنى فلأنه صير معنى الآية سأذهب مهدياً ، فصرف التنفيس الى الذهاب وهو في الآية للهداية ، وأجيب بأن مهدياً وقع بعد الذهاب الذي فيه تنفيس ، فيلزم أيضاً أن يكون فيه تنفيس كالمقيد . وأما قولهم لأضربنه إن ذهب وإن مكث فإنما جاز وقوع الشرطية فيه حالاً وإن كانت مصدرة بدليل استقبال وهو إن لأن المعنى لأضربنه على كل حال إذ لا يصح اشتراط وجود الشيء وعدمه لشيء واحد .

٣ً ــ أن تكون مرتبطة إما بالواو والضمير معاً لتقوية الربط نحو « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » فجملة هم ألوف حال من الواو في خرجوا وهي مرتبطة بالواو والضمير وهو هم ، أو بالضمير فقط دون الواو نحو « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » فبعضكم مبتدأ وعدو خبره ولبعض متعلقان بعدو أو حال منه والجملة حال من الواو في اهبطوا أي متعادين يضل بعضكم بعضاً وهي مرتبطة بالضمير فقط وهو الكاف والميم ، أو مرتبطة بالواو فقط دون الضمير نحو « لئن أكله الذئب ونحن عصبة » فجملة ونحن عصبة حال من الذئب مرتبطة بالواو فقط ولا دخل لنحن في الربط لأنها لم ترجع لصاحب الحال .

٢ ــ وصف مصر لعمرو بن العاص :

ولما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان صف لي مصر فكتب اليه :

« ورد كتاب أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ يسألني عن مصر ، اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخطر وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان ، كجري الشمس والقمر ، له أوانٌ يدرُّ حلابُه ، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها ، حتى إذا ما اصلخمّ عجّاجُه ، وتعظّمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الأصائل ، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدا في جريته ، وطما في دِرّته فعند ذلك تخرج أهل ملّةٍ مَحْقُورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون الأرض ، ويبذرون بها الحبّ ، يرجون بذلك النماء من الرب ، لغيرهم ما سعوا من كدهم ، فناله منهم بغير جدّهم ، فإذا أحدق الزرع وأشرق ، سقاه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء ، فإذا هي ديباجة رقشاء فتبارك الله الخالق لما يشاء » الى آخر تلك الرسالة الممتعة .

وجاء في خطط المقريزي ما يجلو غوامض هذه الرسالة :

« ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في أشهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بالمياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها إلا بالزوارق ، وأما المسكة السوداء فإن في أشهر بابه وهاتور وكيهك

ينكشف الماء عن الارض فتصير أرضاً سوداء وفي هذه الأشهر تقع الزراعات ؛ وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الارض وربيعها فتصير خضراء كأنها الزمردة ، وأما السبيكة الحمراء فإن في أشهر برمودة وبشنس وبئونة يتورّد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظراً ومنفعة » .

٣ ـ زيادة الباء في خبر كان :

تختص ليس وكان بجواز زيادة الباء في خبريهما وتكثر زيادتها في خبر ليس وما الحجازية ، أما كان فلا تزاد إلا إذا سبقها نفي أو نهي كما في الآية ، وكقول الشنفرى :

وإن مُدّت الأيدي الى الزاد لم أكن

بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ
يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ
لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ
لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ ابراهيم) الواو عاطفة واتل معطوف على اذكر المقدرة عاملاً في قوله : « وإذ نادى ربك موسى » للشروع في القصة الثانية وعليهم متعلقان باتل ونبأ ابراهيم مفعول به • (إذ قال لأبيه ولقومه ما تعبدون) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو بدل من نبأ بدل اشتمال فيكون العامل فيه اتل ، وقيل منصوب بنبأ ابراهيم أي وقت قوله لأبيه وقومه : ما تعبدون ، وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولأبيه متعلقان بقال ولقومه معطوفة ، وما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون وجملة ما تعبدون مقول القول • (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) جملة نعبد أصناماً في محل نصب مقول القول ، فنظل الفاء عاطفة ونظل فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره نحن ولها متعلقان بعاكفين وعاكفين خبر نظل ، وفي الكلام اطناب سيأتي في باب البلاغة • (قال : هل يسمعونكم إذ تدعون) هل حرف استفهام ويسمعونكم فعل مضارع وفاعل والكاف

مفعول به ولا بد من تقدير محـذوف أي يسمعون دعاءكـم فتكون متعدية لواحد أو يسمعونكم تدعون فتكون متعدية لاثنين وقد قامت الجملة المقدرة مقام المفعول الثاني ، وإذ ظرف متعلق بيسمعونكم وهو كما يقول الزمخشري ، لحكاية الحـال الماضية ومعنـاه استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم إذ دعوتم ، وهو أبلـغ في التبكيت ، وجمـلة تدعون مجرورة بإضافـة الظرف اليهـا •
(أو ينفعونكم أو يضرون) عطف على يسمعونكم • (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) بل إضراب انتقالي تفادوا به الاجابة عن استفهامه وكأنهم وجدوا أنفسهم حقيقة في معزل عن التفكير والمساءلة وانهم لم يرجعوا الى عقولهم فيناقشوا ما يعبدون ، هل يسمع ؟ هل ينفع ؟ هل يضر ؟ وإنما هو مجرد تقليد درجوا عليه دون التأمل في مغابّه أو النظر الى عواقبه ونتائجه • ووجدنا فعل وفاعل وآباءنا مفعول أول لوجدنا وجملة يفعلون هي المفعول الثاني ، وكذلك نعت لمصدر محذوف أي يفعلون فعلاً مثل ذلك أو تجعل الكاف مفعولاً به مقـدماً ليفعلون ولعله أولى• (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون) الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية ، وقد تقدم أن « رأيتم » في مثل هذا التعبير إما أن تكون بمعنى أخبروني فتكون متعدية لمفعولين أولهما اسم الموصول وثانيهما محـذوف وهو جملة تقديرها هـل هو جدير بالعبادة ، وإما أن تكون رأى بمعنى عرف وهي تنصب مفعولاً واحداً والمعنى هل تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون ، والفاء عاطفة على محذوف كما قدرناه ، وقد تقدمت نظائر كثيرة له في مثل هذا التركيب ، وجملة كنتم صلة ما وجملة تعبدون خبر كنتم • (أنتم وآباؤكم الأقدمون) أنتم تأكيد للضمير في تعبـدون وآباؤكم عطف عـلى أنتم والأقدمون صفة لآباؤكم • (فإنهـم عدو لي إلا رب العالمين) الفاء تعليلية وإن

واسمها وعدو خبرها ولي صفة لعدو والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة ، قال :

وقـوم عليّ ذوي مئرةٍ أراهم عدوّاً وكانوا صديقا

ويروى مرة بالكسر وهي القوه وشدة الجدال والمئرة العداوة . يقول : رب قوم أصحاب قوة عليّ أراهم اليوم أعداء وكانوا أصدقاء .

وإلا أداة استثناء ورب نصب عـلى الاستثناء والاستثناء منقطع ولذلك تقدر إلا بمعنى لكن ، وفي الآية فن التعريض وسيأتي في باب البلاغـة .

(الذي خلقني فهو يهدين) الذي يجوز فيه النصب على النعت لرب العالمين أو البدل أو عطف البيان ، أو الرفع عـلى أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو الذي خلقني ، وغلط أبو البقاء فأعرب الذي مبتدأ وخبره جملة هو يهدين ولم يتكلم عن الفاء وهذا مردود لأن الموصول معين ليس عاماً ولأن الصلة لا يمكن فيها التجـدد فلم يشبه الشرط ، والصحيح أنها استئنافية وهو مبتدأ وجملة يهديني خبره وحذفت الياء لمراعاة الفواصل . (والذي هو يطعمني ويسقين) عطف على ما سبق وهو مبتدأ وجملة يطعمني خبر . (وإذا مرضت فهو يشفين) الواو عاطفة ومرضت فعل وفاعـل أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى تأدباً ، كما قال الخضر « فأردت أن أعيبها » وقال « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » وسيأتي مزيد بحث في هذا الصدد في باب البلاغة . (والذي يميتني ثم يحيين) عطف على ما تقدم وعطف يحيين على يميتني بثم خلاف ما تقدم لتراخي المـدة واتساع الأمر بين

الإماتة والإحياء في الآخرة • (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) والذي عطف على ما قبله وجملة أطمع صلة وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن يغفر ولي متعلقـان بيغفر وخطيئـتي مفعول يغفر ويوم الدين ظرف متعلق بيغفر أيضاً • (رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين) رب منادى مضاف لياء المتكلم حذف منه حرف النداء وهب فعل أمر أراد به الدعاء ولي متعلقان بهب وحكماً مفعول به وألحقني عطف على هب وبالصالحين متعلقان بألحقني • (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) واجعل عطف على ما تقدم ولي مفعول اجعل الثاني ولسان صدق مفعول اجعل الأول والاضافة من اضافة الموصوف إلى صفته وفي الآخرين حـال أي الذين يأتون بعدي الى يوم القيامة • (واجعلني من ورثة جنة النعيم) من ورثة مفعول اجعلني الثاني وجنة النعيـم مضاف الى ورثة • (واغفر لأبي إنه كان من الضالـين) لأبي متعلقان باغفر وجملة إنه تعليل لطلب الغفران له وان واسمها وجملة كان خبرها ومن الضالين خبر كان • (ولا تخزني يوم يبعثون) الظرف متعلق بتخزني وجمـلة يبعثون في محـل جر بإضافة الظرف إليهـا • (يوم لا ينفع مال ولا بنون) يوم ظرف في محـل نصب بدل من يوم الأول وهذا يؤكد أنه من كلام ابراهيم ، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى في هذا اليوم ولا مانع من إعرابه بدلاً أيضاً أي متعلق بـما تعلق به الظرف الأول وجملة لا ينفع مال في محل جر بإضافة الظرف اليها ولا بنون عطف على مال • (إلا من أتى الله بقلب سليم) يجوز في هذا الاستثناء أن يكون منقطعاً أي من غير الجنس ومعناه لكن من أتى الله ، ويجوز أن يكون متصلاً وفيه وجهان أحدهما أن يكون بدلاً من المحذوف أو استثناء منه فهو في محـل نصب على الوجهـين والتقدير لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا من أتى ، ويجوز أيضاً أن يكون بدلاً

من فاعل فهو في محل رفع وغلب من يعقل ويكون التقدير إلا مال من وبنو من فإنه ينفع نفسه أو غيره ، وجعل الزمخشري من مفعول ينفع أي لا ينفع ذلك إلا رجلاً أتى الله . وبقلب متعلقان بأتى أو بمحذوف حال أي مصحوباً وسليم صفة لقلب .

البلاغـة :

في هذه الآيات سمو منقطع النظير من حيث البلاغة البيانية تتقطع دونه الأعناق وتخرس الألسن ، وسنجنح الى اختصار الكلام لأن فيه متسعاً من القول يضيق به صدر هذا الكتاب .

١ ــ الاطناب :

ــ في قوله : « قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » وكان مقتضى جواب السؤال وهو : « ما تعبدون » أن يقولوا : أصناماً ، لأنه سؤال عن المعبود وحسب كقوله تعـالى : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » و « ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق » ولكنهم أضافوا الى الجواب زيادة شرحوا بها قصتهم كاملة لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم ، واعلان افتخارهم ، وذلك شائع في الكلام تقول لبعضهم ماذا تلبس ؟ فيقول : ألبس البرد الأتحمي فأجر أذياله بين جواري الحي الحسان . وقالوا نظل لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل ، وهذه هي مزية الاطناب تزيد في اللفظ عن المعنى لفائدة مقصودة أو غاية متوخاة فإذا لم تكن ثمة فائدة في زيادة اللفظ فإنه يكون تطويلاً مملاً بادي الغثاثة ظاهر الركاكة .

٢ ــ التعريض :

وذلك في قولــه « فإنهم عدو لي إلا رب العالمــين » فإنه صور المسألة في نفسه ، والعداوة مستهدفة شخصه ، كأنه يعرض بهم قائلاً : لقد فكرت في المسألة ملياً وأمعنت النظر فيها طويلاً فرأيت عبادتي لها عبادة للعــدو الذي يتربص به الدوائر للايقاع ، فاذا بلــغ المرء من الاسفاف مدى يحب فيه عدواً ويؤثره بالعبادة فذلك هو الارتطام في مزالق الغيّ ومهاوي الضلال ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه التصريح لأنه يلفت انتباهــه ويسترعي أنظاره فيتأمــل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ، ومنه ما يحكى عن الشافعي : أن رجــلاً واجهــه بشيء فقال له : لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب •

٣ ــ أسرار حروف العطف :

وهنا موضع دقيق المسلك لطيف المرمى قلما ينتبه إليه أحد أو يتفطن إليه كاتب ، فإن أكثر الناس يضعون حروف العطف في غــير مواضعهافيجعلون ما ينبغي أن يجر بـ «على» بـ «في» في حروف الجر،كما أنهــم يعطفون دون أن يتفطنوا الى سر الحرف الذي عطف به الكلام فقد قال تعالى « والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين » فالأول عطفه بالواو التي هي لمطلق الجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء ، والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ، ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف الثالث بثم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي • وهذا من الأسرار التي يجدر بالكاتب الإلمــام بها حتى يقيس عليها ويعطف عــلى كل بما يناسبه ويقع موقع السداد منه •

٤ ـ التفويف :

ولم يسبق أن تحدثنا فيما غبر من كتابنا عن هذا الفن وهو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف والنسيب وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة من أختها بالسجع غالباً مع تساوي الجمل في الزنة ، ويكون بالجمل الطويلة والجمل المتوسطة والجمل القصيرة ، فمثال المركب من الجمل الطويلة : « الذي خلقني فهو يهـدين » إلى قوله « وألحقني بالصالحين » ففي هذه الآيات فنون شتى منها :

آ ـ المناسبة :

في قوله : « خلقني » و « يطعمني » •

ب ـ التنكيت :

في قوله : « وإذا مرضت فهو يشفين » فإن النكتة التي أوجبت على الخليل إسناد فعل المرض الى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عز وجل إذ أسند إليه أفعال الخـير كلها وأسند فعل الشر الى نفسه وللاشارة الى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الانسان في مأكله ومشربه وغير ذلك •

ج ـ حسن النسق :

فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق عـلى المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته ، فإنه أول نعمة ، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق عـلى الإيجاد والاختراع وحكمته ، ثم ثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الايجاد

من سائر النعم ، ثم تلّث بالاطعام والاسقاء اللذين هما مادة الحياة وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم ، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أدباً ، كما قلنا ، مع ربه ، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك الى ربه ، ثم ذكر الإماتة مسنداً فعلها الى ربه لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام ، ثم أردف ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والايمان بالبعث ، وكل هذه المعاني جملٌ ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة كما تقدم.

د ـ صحة التقسيم :

فقد استوعبت هذه لآيات أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية والإطعام والاسقاء والمرض والشفاء والموت والحياة والايمان بالبعث وغفران الذنب .

ه ـ التخلص :

وهو فن عجيب يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى غيره آخر وجعل الأول سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسكر العقول وتسحر الألباب ، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون ، سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ، ثم أنحى على آلهتهم باللائمة فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تعي ولا تسمع ، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر

الإله الذي لا تجب العبادة إلا له ولا ينبغي الرجوع والإنابة إلا إليه ، فصور المسألة في نفسه دونهم « فإنهم عدو لي » على معنى : إني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعــــدو وهو الشيطان فاجتنبتها ، وآثرت عبادة من بيده الخير كله ، وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا : ما نصحنا ابراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى الى القبول لقوله وأبعث على الاستماع منه ، ولو قال انهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليــه تلك الصفات العظام ، فعظــم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وأنشأه إلى حين يتوفاه مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ليعلم من ذلك أن من هــذه صفاته حقيق بالعبادة واجب عــلى الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته ، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الأوابين لأن الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعــه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لحصول الطلبة ، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار .. فتدبر هــذه التخلصات البديعة المودعــة في أثناء هذا الكلام .

٦ ــ التقديم :

وفي قوله : « رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين » التقديم فقد استوهب الحكم أولاً ثم طلب الإلحاق بالصالحــين ، والسر فيه دقيق جداً ، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به وعكسه غير ممكن لأن العلم صفة الروح

والعمل صفة البدن وكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الإصلاح .

٧ ــ المجاز المرسل :

وفي قوله « واجعل لي لسان صدق » مجاز مرسل إذ المراد باللسان هنا الثناء وذكر اللسان مجاز لأنه سببه فالعلاقة هي السببية وقد تقدم ذلك مراراً ، وقيل هو مجاز من اطلاق الجزء على الكل لأن الدعوة باللسان .

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ
لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ
﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾
قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ
نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن
شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

الاعراب :

(وأُزْلفتِ الجنةُ للمتقين) الواو عاطفة والجملة معطوفة على لا ينفع وإنما أورده بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع عندما تدنو الجنة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بما ينتظرهم فيها من نعيم وعندما تدنو النار من موقف الأشقياء ينظرون اليها ويتحسرون على أنهم مسوقون اليها . وأزلفت فعل ماض مبني للمجهول أي قربت والجنة نائب فاعل وللمتقين متعلقان بأزلفت . (وبرزت الجحيم للغاوين) عطف على الجملة المتقدمة . (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ؟) الواو عاطفة وقيل فعل ماض مبني للمجهول ولهم متعلقان بقيل أي على سبيل التوبيخ ، وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كنتم صلة وجملة تعبدون خبر كنتم . (من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) من دون الله حال وهل حرف استفهام وينصرونكم فعل مضارع وفاعل ومفعول به وأو حرف عطف وينتصرون فعل مضارع وفاعل . (فكبكبوا فيها هم والغاوون) الفاء حرف عطف وكبكبوا فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهم ضمير فصل والغاوون عطف على الواو في كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور ضمير الفصل . (وجنود إبليس أجمعون) وجنود عطف على الواو أيضاً وابليس مضاف اليه وأجمعون تأكيد للواو وما عطف عليها . (قالوا وهم فيها يختصمون) قالوا فعل وفاعل والواو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان بيختصمون وجملة يختصمون خبر هم ؛ والتخاصم بين الشياطين ومتبعيهم فالضمير يعود على الغاوون . (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف

تقديره نقسم وهو متعلق بقالوا وإن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف أي إنه وجملة كنا خبر إن وكان واسمها واللام الفارقة وفي ضلال خبر كنا ومبين صفة • (إذ نسويكم برب العالمين) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو متعلق بمبين أو بفعل محذوف دل عليه ضلال ولا يجوز أن يتعلق بضلال لأن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية والمعنى تالله لقد كنا في غاية الضلال المبين وقت تسويتنا إياكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة وأنتم أذل المخلوقات وأعجزهم • (وما أضلنا إلا المجرمون) الواو عاطفة أو حالية وما نافية وأضلنا فعل ومفعول به مقدم وإلا أداة حصر والمجرمون فاعل أضلنا وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما قال تعالى « ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » • (فما لنا من شافعين) الفاء الفصيحة وما نافية ولنا خبر مقدم ومن حرف جر زائد وشافعين مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه خبر مقدم • (ولا صديق حميم) عطف على شافعين وحميم صفة لصديق • (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) الفاء استئنافية ولو حرف للتمني في مثل هذا الموضع كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى « لو » و«ليت» من التلاقي في التقدير ، ويجوز أن تكون على أصلها للشرط ، والجواب محذوف تقديره لفعلنا كيت وكيت ، وأن حرف مشبه بالفعل وهي وما في حيزها مفعول لفعل محذوف تقديره تتمنى وقد نابت عنه لو ، أو فاعل لفعل محذوف إن كانت لو للشرط ، ولنا خبر أن المقدم وكرة اسم أن المؤخر ، فنكون الفاء للسببية ونكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء واسم نكون ضمير مستتر تقديره نحن ومن المؤمنين خبر نكون • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر وما نافية وكان واسمها وخبرها •

(وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو خبر هو والرحيم خبر ثان .

البلاغة :

١ ـ في قوله « فكبكبوا فيها هم والغاوون » قوة اللفظ لقوة المعنى ، وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جني في كتاب « الخصائص » فإن الكبكبة تكرير الكب ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وليست الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة بل ان المدار في ذلك على الذوق ، خذ لك مثالاً زيادة التصغير فهي زيادة نقص فرجيل أنقص من رجل في المعنى ولكنه أكثر حروفاً منه .

٢ ـ الايضاح :

وقد تقدم ذكره كثيراً وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والاشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها ومعاني النفس دون الفنون وهو هنا في قوله : « ولا صديق حميم » فإن الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة ويربو عليه وهو أن يكون حميماً ، فالحميم من الاحتمام وهو الاهتمام أي يهمه أمرنا ويهمنا أمره وقيل من الحامة وهي الخاصة من قولهم حامة فلان أي خاصته .

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ
﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن
لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ
﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

الاعراب :

(كذبت قوم نوح المرسلين) كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية القصة الثالثة وكذبت قوم نوح المرسلين فعل وفاعل ومفعول ، وأنث الفعل باعتبار معنى القوم وهو الأمة والجماعة وفي المصباح :

« القوم يذكر ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر » وفي الزمخشري والبيضاوي: « القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة » وهذا محمول على الأغلب فإن قلت : كيف قال كذبت قوم نوح المرسلين وهم لم يكذبوا إلا نوحاً وحده قلت هو كقولهم فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد . (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولهم متعلقان بقال وأخوهم فاعل قال ونوح بدل وانما جعله أخاهم جرياً على أسلوبهم في قولهم : يا أخا العرب وربا أخا تميم يريدون يا واحداً منهم ومنه بيت الحماسة :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وألا أداة عرض وتتقون فعل مضارع وفاعل . (إني لكم رسول أمين) تعليل لعرضه عليهم الجنوح الى التقوى وان واسمها ولكم متعلقان بمحذوف حال أو برسول ورسول خبر وأمين صفة . (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وأطيعون الفاء عاطفة وأطيعون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لمراعاة الفواصل مفعول به . (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) الواو عاطفة وما نافية وأسألكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وعليه متعلقان بمحذوف حال ومن حرف جر زائد وأجر مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول به وإن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى رب العالمين خبر . (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها قريباً وقد صدرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى للدلالة على اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق واتباعه وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهذه

الغاية السامية . (قالـــوا : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الهمـزة للاستفهام الإنكاري ونؤمن فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولك متعلقان بنؤمن والواو للحال واتبعك الأرذلون فعل ومفعول به وفاعل ، وحق واو الحال هنا أن يضمر بعدها قد وهــذا ضرب مــن السخافة يقيسون كفاءة الاتباع بمقدار ما يتمتعون به من مال وحطام أو بما يتميزون به من حسب وجاه ولكن الاسلام سوى بين المسلمين كافة . (قال وما علمي بما كانوا يعملون) الواو استئنافية وما يحتمل أن تكون استفهامية وأن تكون نافية فعلى الأول تكون في محل رفع بالابتداء وعلمي خبرها وبما متعلقان بعلمي على كل حال وعلى جعلها نافية يكون الخبر محذوفاً ليصير الكلام به جملة ، وجملة كانوا صلة ما وجملة يعملون خبر كانوا . (إنْ حسابهم إلا على ربي لو تشعرون) إن نافية وحسابهم مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى ربي خبر حسابهم ولو امتناعية وتشعرون فعل مضارع مرفوع وجواب لو محــذوف كما أن مفعول تشعرون محذوف تقديره ذلك وتقــدير الجواب ما عبتموهم وما نسبتم إليهم أي نقص . (وما أنا بطارد المؤمنين) الواو عاطفة وما حجازية وأنا اسمها والباء حرف جر زائد وطارد مجرور لفظاً خبر ما محلاً والمؤمنين مضاف إليه . (إن أنا إلا نذير مبــين) إن نافية وأنا مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر ومبــين صفة . (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونَنّ من المرجومين) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل ضمير مستتر تقــديره أنت ولتكونن الــلام جواب القسم وجواب الشرط محذوف على حسب القاعدة المشهورة :

واحــذف لــدى اجتمــاع شرط وقسم

جواب ما أخـــرت فهـــو ملتـــزم

وتكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة واسم تكونن ضمير مستتر تقديره أنت ومن المرجومين خبر • (قال : رب إن قومي كذّبون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وان واسمها وجملة كذبون خبرها وكذبون فعل ماض وفاعل ومفعول به وقد حذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل • (فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين) الفاء الفصيحة وافتح فعل أمر معناه الدعاء وفاعله مستتر تقديره أنت وبيني ظرف متعلق بافتح وبينهم عطف على بيني وفتحاً يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً ويجوز أن يكون مفعولاً به والفتح هنا من الفتاحة بمعنى الحكومة ، والفتاح الحاكم سمي بذلك لفتحه مغالق الأمور وفي القاموس : « الفتاحة بالضم والكسر ويقال بينهما فتاحات أي خصومات » والمعنى احكم بيننا بما يستحقه كل منا والمراد أنزل العقوبة بهم ولذلك قال ونجني • ونجني الواو عاطفة ونجني عطف على احكم ومن الواو عاطفة أو للمعية ومن عطف على الياء أو مفعول معه ومعي ظرف متعلق بمحذوف صلة من ومن المؤمنين حال • (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) الفاء استئنافية وهو من كلامه تعالى وأنجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن مفعول معه أو عطف على الهاء ومعه ظرف متعلق بمحذوف صلة وفي الفلك متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الظرف والمشحون صفة للفلك والمشحون المملوء • (ثم أغرقنا بعد الباقين) ثم حرف عطف للتراخي وأغرقنا فعل وفاعل وبعد ظرف زمان مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى والمراد بعد انجائهم ، والباقين مفعول أغرقنا • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) كلام مستأنف لبيان العبرة من هذه القصة وان حرف

مشبه بالفعل وفي ذلك خبر مقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر والواو عاطفة أو حالية وما نافية وكان واسمها ومؤمنين خبرها يعني أن أكثريتهم الساحقة لم تؤمن ولذلك أخذوا ولو كان نصفهم مؤمنين على الأقل لنجوا . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو هو والرحيم خبر ثان وقد تقدم إعراب نظائرها مراراً .

البلاغة :

التكرير في قوله : « فاتقوا الله وأطيعون » للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق على كل واحد منهما بسبب وهو الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني ، ونظيره قولك : ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً ؟ ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيراً ؟ .

وفيه أيضاً التقديم ، قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله علة لطاعته .

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾
قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا
خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

اللغـــة :

(ريع) : الريع بكسر الراء وفتحها قـال في الأساس واللسان : « ونزلوا بريع ورَيْع رفيع وريعـة ورَيعة رفيعة وهي المرتفع من الأرض وتقول : يبنون بكل ريعة وملكهـم كسراب بقيعة » وقال في القاموس : « والريع بالكسر والفتح المرتفع من الأرض أو كل فج أو كل طريق أو الطريق المنفرج في الجبل والجبل المرتفع الواحدة بهاء ... وبالكسر الصومعة وبرج الحمام والتلّ العالي ... وبالفتح فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبذر » قلت واستعمال بمعنى استغلال الريع صحيح يقال طعام كثير الريع ، وأراعت الحنطـة وراعت زكت ، وأراعها الله تعالى وأراع الناس هذا العام : زكت زروعهم ويقولون كم ريع أرضك وهو ارتفاعها قال المسيب بن علس :

في الآل يرفعهـا ويخفضهـا ريـع يلوح كأنه سحـل

والضمير في البيت للظعائن أي هي في الآل وهو السراب يرفعها تارة ويخفضها أخرى ريع أي طريق مرتفع تارة ومنخفض أخرى أو مكان عال ترتفع بصعوده وتنخفض بالهبوط منه • ويقال ليس له ريع أي مرجوع وغلة •

(آية) : الآية : العلم يهتدي به المارة وكان بناؤها للعبث واللهو لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها وقيل المراد بها القصور المشيدة ترفعون بناءها وتجتمعون فيها فتعبثون بمن يمر بكم •

(تعبثون) : في المصباح : « عبث عبثاً من باب تعب لعب وعمل مالا فائدة فيه فهو عابث » •

(مصانع) : جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهي الحوض أو البركة فقوله مصانع أي حيضاناً وبركاً تجمعون فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج ، وفي المختار : « المصنعة بفتح الميم وضم النون أو فتحها كالحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون » وفي القاموس وشرحه التاج : « المصنعة والمصنعة بفتح الميم وفتح النون وضمها ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض والجمع مصانع والمصانع أيضاً : القرى والحصون والقصور والمصنعة أيضاً الدعوة للأكل يقال كنا في مصنعة فلان وموضع يعزل للنحل بعيداً عن البيوت » وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير •

(بطشتم) : البطش : السطوة والأخذ بعنف وللباء مع الطاء فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة فهي تدل على السطوة والقوة وعدم المبالاة بالآخرين يقال : أبطأ علي فلان وبطؤ في مشيته وتباطأ في أمره وتباطأ

عني وفيه بطء وما كنت بطيئاً ولقد بطؤت وفرس بطيء من خيل بِطاء وما أبطأ بك عنا ؟ وما بطّأ بك ؟ وما بطّأك ؟ قال عمر بن ربيعة :

فقمت أمشي فقامت وهي فاترةٌ
كشارب الرّاح بطّا مشيه السكر

ولا يخفى مافي ذلك كله من الادلال بالنفس والزهو بها وعدم المبالاة بالآخرين ، ويقال بطحه على وجهه فانبطح وفيه كل الاذلال والصّغار والمهانة ونظر حويص الى قبر عامر بن الطفيل فقال : هو في طول بطحتي أراد في طول قدي منبطحاً على الأرض وبطاح بطح واسعة عريضة وتبطّح السيل اتسع مجراه ، قال ذو الرمة :

ولا زال من نَوْء السماك عليكما
ونوء الثريا وابلٌ متبطّح

وتبطّح فلان تبوّأ الأبطح قال :

هلاّ سألت عن الذين تبطحوا
كرم البطاح وخير سُرّة وادي

وأبطخ القوم وأقثئوا كثر عندهم البطيخ والقثاء ونظر الليث الى قوم يأكلون بطيخاً فقال :

لما رأيت المبطخين أبطخوا فأكلوا منه ومنه لطخوا

ورأيته يدور بين المطابخ والمباطخ ولا يفعل ذلك إلا تياه مفتخر

بَغناه وثرائه ، وبطر فلان تجاوز الحد في الزهو والمرح ورجل أشر بطر وأبطره الغنى ومن أقوالهم : « وما أمطرت حتى أبطرت » يعني السماء وان الخصب يبطر الناس كما قال :

قوم إذا اخضرّت نعالهم   يتناهقون تناهق الحُمُر

وامرأة بطيرة شديدة البطر وبيطر الدابة بيطرةً و « أشهر من راية البيطار » والدنيا قحبة يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار ومن أقوالهم أيضاً : «وعهدي به وهو لدوابنا مبيطر فهو اليوم علينا مسيطر » ومن حكمهم المأثورة : « لا تُبطرنّ صاحبك ذرعه » أي لا تقلق امكانه ولا تستفزه بأن تكلفه غير المطاق وذرعه من بدل الاشتمال وبطر فلان نعمة الله استخفها فكفرها ولم يسترجحها فيشكرها ومنه « بطرت معيشتها » وذهب دمه بِطراً أي مبطوراً مستخفاً حيث لم يُقتَصّ به وهو بهذا الأمر عالم بَيْطار ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ودعاني ما قال فيها عتيقٌ   وهو بالحسن عالم بيطار

والبطش معروف وقد تقدم ومن مجازه : فلانٌ يبطش في العلم بباع بسيط ، وبطشت بهم أهوال الدنيا ، ومن أقوالهم : « وسلكوا أرضاً بعيدة المسالك قريبة المهالك ، وقُذِفُوا بمباطشها ، وما انقذوا من معاطشها » وجاءت الركاب تبطش بالأحمال أي ترجف بها ، وبطّ القرحة بالمبط وهو المبضع وعنده بطة من السليط والبط والواحدة بطة للمذكر والمؤنث وهو طير مائي قصير العنق والرجلين وهو غير الإوز وجمعه بطوط وبطاط والبطة أيضاً إناء كالقارورة أبطح ، وهو باطل بين البطلان وبطّال بيّن البطالة بكسر الباء وقد بطل بفتح الطاء وبطل بيّن

البطالة بفتح الباء وقد بطل بضم الطاء وقد بطل بضم الطاء أيضاً يبطل بالضم بَطالة وبطولة صار شجاعاً فهو بطل وجمعه أبطال ومؤنثه بطلة وجمعها بطلات ، والبطن معروف وألقت الدجاجة ذات بطنها ونثرت المرأة للزوج بطنها إذا أكثرت الولد وبطنه وظهره أي ضربهما منه وقد ُبطن فلان بالبناء للمجهول إذا اعتل بطنه وهو مبطون وبطين ومبطان ومُبطن أي عليل البطن وعظيمه وأبطن البعير شدّ بطانه وباطنت صاحبي شددته معه وبطّن ثوبه بطانة حسنة واستبطن أمره عرف باطنه وتبطّن الكلأ : جوّل فيه وتوسطه ، قالت الخنساء :

فجاء يبشّر أصحابه : تبطّنتُ يا قوم غيثاً خصيبا

وتبطّن الجارية جعلها بطانة له ، قال امرؤ القيس :

كأني لم أركب جواداً للذّةٍ ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

ويقال أنت أبطن بهذا الأمر خبره وأطول له عشره ، وهو بطانتي وهم بِطانتي وفلان عريض البطان أي غني ، وشأو" بطين أي بعيد ، قال زهير :

فبصبص بين أداني الغضى وبين عنيزة شأواً بطينا

الاعراب :

(كذبت عاد المرسلين) فعل وفاعل ومفعول به والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الرابعة (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت وقال لهم أخوهم فعل وفاعل وهود بدل من أخوهم وألا أداة عرض وتتقون فعل مضارع وفاعل والجملة مقول

القول • (إني لكم رسول أمين) الجملة تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى وإن واسمها ولكم متعلقان بمحذوف حال أو برسول ورسول خبر إن وأمين صفة لرسول • (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها كثيراً • (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) وهذه تقدم إعرابها بحروفها قريباً • (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وتبنون فعل مضارع وفاعل وبكل ريع متعلقان بتبنون وآية مفعول به وجملة تعبثون في محل نصب على الحال • (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) وتتخذون عطف على بنون وتتخذون فعل مضارع وفاعل ومصانع مفعول به ولعلكم تخلدون لعل واسمها والجملة خبرها وجملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين ومؤملين أن تخلدوا في الدنيا • (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) الواو عاطفة واذا ظرف متعلق بالجواب وهو بطشتم الثانية ، وجملة بطشتم الأولى في محل جر بإضافة إذا اليها وجبارين حال أي غير مبالين بالنتائج والعواقب وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم وأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وأطيعون عطف على اتقوا • (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) واتقوا فعل أمر وفاعل والذي مفعول به وجملة أمدكم صلة وبما متعلقان بأمدكم وجملة تعلمون صلة • (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) جملة أمدكم الثانية بدل من جملة أمدكم الأولى بدل بعض من كل لأنها أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما فتكون داخلة في الأولى لأن ما تعلمون يشمل الانعام وغيرها وقيل هي مفسرة للجملة الأولى فتكون لا محل لها وسيأتي بحث بدل الجملة من الجملة في باب الفوائد • (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان واسمها وجملة أخاف خبرها وعليكم متعلقان بأخاف وعذاب مفعول به

ويوم مضاف إليه وعظيم صفة . (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) سواء خبر مقدم وعلينا متعلقان بسواء والهمزة للاستفهام ووعظت فعل ماض وفاعل وأم لم تكن من الواعظين معادل لقوله أوعظت وهمزة التسوية وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أي سواء علينا وعظك ، وأتى بالمعادل هكذا دون قوله أم لم تعظ لتواخي القوافي وقال الزمخشري : « وبينهما فرق لأن المعنى سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ » . (إن هذا إلا خلق الأولين) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وخلق خبر هذا والأولين مضاف إليه والمعنى ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون . (وما نحن بمعذبين) الواو عاطفة وما نافية حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما . (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الفاء الفصيحة وكذبوه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، فأهلكناهم عطف على فكذبوه وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن واللام المزحلقة وآية اسم ان والواو حرف عطف وما نافية وكان فعل ماض ناقص وأكثرهم اسمها ومؤمنين خبرها . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تكرر إعرابها كثيراً .

الفوائد :

تبدل الجملة من الجملة بشرط أن تكون الجملة الثانية أوفى من الأولى بتأدية المراد ولذلك لا يقع البدل المطابق في الجمل وإنما يقع بدل البعض من الكل كما تقدم في الآية أو بدل الأشتمال كقوله :

أقـول له ارحـل لا تقيمن عنـدنا
وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فلا تقيمن عنـدنا بدل اشتمال من ارحـل لما بينهما من المناسبة اللزومية وليس توكيداً له لاختلاف لفظيهما ، لا بدل بعض من كـل لعدم دخوله في الأول ، ولا بدل بدلاً مطابقاً لعدم الاعتداد به ، ولم يشترط النحاة الضمير في بدل البعض والاشتمال في الأفعال والجمل لتعذر عود الضمير عليها ، وقـد تبدل الجملة من المفرد بدلاً مطابقاً كقول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمـدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيـان

أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجـة وأخرى وهما مفردان وانما صح ذلك لرجوع الجملة الى التقـدير بمفرد أي الى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما ، فتعذر مصدر مضاف الى فاعله وهو بدل من هاتين ، ولم يسلم بعض النحـاة بذلك لاحتمال أن تكون جملة كيف يلتقيان مستأنفة نبه بهـا على سبب الشكوى وهو استبعاد اجتمـاع هاتين الحاجتين .

قال بعضهم : وهل يجوز عكسه ؟ أعني ابدال المفرد من الجملة أو لا ، وصرح أبو حيان في البحر بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى « ولم يجعل له عوجاً قيماً » فقيماً عنده بدل من جملة لم يجعل له عوجاً لأنها في معنى المفرد أي جعله مستقيماً ، وقال ابن هشام في مغني اللبيب : « ان جملة « كيف خلقت » بدل من الابل بدل اشتمال والمعنى الى الإبل كيفية خلقها ومثله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » وكل جملة فيها كيف من أسم مفرد » .

فائدة هامة :

إذا أبدل اسم من اسم استفهام أو اسم شرط وجب ذكر همزة الاستفهام أو « إن » الشرطية مع البدل ليوافق المبدل منه في المعنى نحو : كم مالك ؟ أعشرون أم ثلاثون فكم اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم ومالك مبتدأ مؤخر وعشرون بدل من كم ويسميه النحاة بدل تفصيل وهو ينحصر في المطابق ، ومن جاءك أعلي أم خالد ؟ فمن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة جاءك خبره وعليّ بدل من « من » الاستفهامية بدل تفصيل ، ونحو : من يجتهدْ إن علي أو خالد فأكرمه : فمن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ والجملة بعده خبره وإن حرف شرط لا عمل له هنا لأنه جيء به لبيان المعنى لا للعمل وعليّ بدل من الضمير المستتر في يجتهد وخالد معطوف على عليّ وجملة فأكرمه في محل جزم جواب الشرط ، ونحو : حيثما تنتظرني في المدرسة وإن في الدار أوافك ، فحيثما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول فيه متعلق بتنتظرني وفي المدرسة جار ومجرور في موضع النصب على البدلية من محل حيثما .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ
ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا

تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾
قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ
يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا
كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

اللغة :

(نخل) : النخل والنخيل شجر التمر المعروف له ساق مستقيم طويل ذو عقد واحدته نخلة ونخيلة وفي المصباح ما ملخصه : النخل اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً .

(طلعها هضيم) ما يطلع منها كنصل السيف في جوفها شماريخ القنو ، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل وفي المختار : « ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج لدخول بعضه في بعض » من قولهم كشح هضيم ، وفي القاموس والتاج : « الطلع : المقدار ، تقول : الجيش طلع ألف ومن النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها » والهضيم النضيج الرخص اللين اللطيف .

(فارهين) : وقرىء فرهين : بطرين حاذقين في العمل من الفره وهو شدة الفرح ، وقال في الكشاف : « والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة » .

(شرب) : بكسر الشين أي نصيب .

(فعقروها) : أي ضربها بعضهم بالسيف في ساقيها وكان اسمه قدار وسنورد القصة التي نسجت حول هذه القصة لتكون حافزاً للأقلام على صوغ قصة فنية منها .

الاعراب :

(كذبت ثمود المرسلين) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الخامسة وهي فعل وفاعل ومفعول وثمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح وفي التعبير عن صالح بالجمع ما تقدم . (إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت والجملة تقدم إعرابها . (إني لكم رسول أمين) تقدم إعرابها أيضاً . (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها أيضاً . (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) تقدم إعرابها أيضاً . (أتتركون فيما هاهنا آمنين) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتتركون فعل مضارع مبني للمجهول وفيما متعلقان بتتركون وها حرف تنبيه وهنا اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول وآمنين حال من الواو في تتركون أي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله : (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) في جنات بدل من قوله فيما هاهنا بإعادة الجار ، وما بعده

عطف على جنات وطلعهـا مبتدأ وهضيم خبر والجملة صفة لنخـل • (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) الواو حرف عطف وتنحتون عطف على تتركون فهو في حيز الاستفهـام الانكاري التوبيخي ومحل جملة الاستفهام التوبيخية نصب على الحال ومن الجبال جار ومجرور متعلقان بتنحتون وبيوتاً مفعول به وفارهين حـال وقد مرت جملة مماثلة فيها النحت الذي هو النحر والبري • (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها • (ولا تطيعوا أمر المسرفين) الواو للحال ولا ناهية وتطيعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وأمر المسرفين مفعول وسيأتي معنى إطاعة الأمر في باب البلاغة • (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الذين صفـة للمسرفين وجمـلة يفسدون صلة وفي الارض متعلقـان بيفسدون ولا يصلحون عطف على قوله يفسدون وسيأتي سر العطف في باب البلاغة • (قالوا : إنما أنت من المسحرين) إنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومن المسحرين خبر أي الذين سحروا كثـيراً حتى غلب السحر على عقولهم والجملة مقول القول • وقيل المسحر هو المعلَّل بالطعام والشراب فيكون المسحر الذي له سَحْر وهو الرئة فكأنهم قالوا : إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب •

(ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين) ما نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلنا صفة ، فأت الفاء الفصيحة أي إن كنت صادقاً كما تزعم فأت ، وبآية متعلقان بقولـه فأت وإن شرطية وكنت كان واسمها وهو في محل جزم فعل الشرط ومن الصادقين خبر كنت وجواب إن محـذوف دل عليـه ما قبله أي فأت بآيـة • (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) هذه مبتدأ وناقة خبر والجملة مقول القول ولها خبر مقدم وشرب مبتدأ مؤخر والجملة صفة

لناقة ولكم خبر مقدم وشرب يوم مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة ليوم . (ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) الواو عاطفة ولا ناهية وتمسوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به وبسوء متعلقان بتمسوها فيأخذكم الفاء هي السببية ويأخذكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء والكاف مفعول به وعذاب فاعل ويوم مضاف اليه وعظيم صفة يوم . (فعقروها فأصبحوا نادمين) الفاء عاطفة وعقروها فعل وفاعل ومفعول به ، فأصبحوا الفاء عاطفة وأصبحوا نادمين فعل ماض ناقص والواو اسمها ونادمين خبرها ، ولك أن تجعل أصبحوا تامة والواو فاعل ونادمين حال وسيأتي في قصة صالح ما يرجح أنها تامة . (فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الفاء عاطفة وأخذهم فعل ماض ومفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر وجملة إن في ذلك لآية تعليل للأخذ والواو حالية أو عاطفة وما نافية وكان واسمها وخبرها . (وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

١ ـ في قوله «ولا تطيعوا أمر المسرفين» مجاز عقلي لأن الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه أي ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم .

٢ ـ الارداف :

فقد كان يكفي أن يقول « الذين يفسدون في الأرض » ولكنه لما كان قوله يفسدون لا ينفي صلاحهم أحياناً أردفه بقوله « ولا يصلحون » لبيان كمال افسادهم وإسرافهم فيه .

الفوائـد :

قصة صالح :

في القرطبي : « أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال لهم صالح : انه سيولد في شهركم هذا غـلام يعقرها ويكون هلاككم عـلى يديه ، فقالوا : لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه ، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح أبنه وكان لم يولد له قبـل ذلك ، فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً فكـان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا : لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا ، وغضب التسعة على صالح لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا : نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليـل وخرج صالح الى مسجـده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقونا ويعلمون أنا قد خرجنا الى سفر ، وكان صالح لاينام معهم في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهـم فرأى ذلك الناس ممن كان قد اطلع عـلى ذلك فصاحوا في القرية : يا عباد الله أما رضي صالح أن أمر بقتلهم أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة .

رواية عقر الناقة :

وروي أن مسطعاً ألجأ الناقـة الى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وقيـل انه قال لا أعقرها حتى

ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون : أترضين ؟ فتقول : نعم وكذلك صبيانهم .

هذا وقد ضرب بقدار المثل في الشؤم فقال زهير مشيراً إليه وقد غلط فجعله أحمر عاد مع أنه أحمر ثمود وذلك في أبيات له يصف الحرب ويحذر قومه من مغابها ونوردها هنا جملة لأهميتها :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتَضْرَ إذا ضرّيتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقحْ كِشافاً ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

أي أنها تلد لكم أبناء كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة وهو قدار بن سالف .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ
إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ
﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

اللغـــة :

(الذكران) : أحد جموع الذكر والذكر خلاف الأنثى وفي المختار: الذكر ضد الأنثى وجمعه ذكور وذكران وذكارة كحجارة » وأورد له في القاموس جموعاً عـديدة فقال « وجمعـه ذكور وذكورة وذكران وذِكار وذكارة وذِكَرة » .

(القالين) : المبغضين والقلى البغض الشديد كأنـه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي المصباح : « وقليت الرجل أقليه من باب رمى ِقلىً بالكسر والقصر وقد يمـد إذا أبغضته ومن باب تعب لغـة » وعبارة القاموس : « قلاه كرماه ورضيه ِقلىً وقَلاء ومَقْلية أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو قلاه في الهجر وقليه في البغض » .

(الغابرين) : قال في الكشاف « ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك : غير الناجين » » وفي المصباح : « غبر غبوراً من باب قعد بقي وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد ، وقال الزبيدي : غبر غبوراً مكث وفي لغة بالمهملة للماضي وبالمعجمة للباقي وغُبَّر الشيء وزان سكر بقيته » وفي القاموس : « غبر غبوراً مكث وذهب ضد ، وهو غابر من غُبَّرٍ كركّع وغُبْر الشيء بالضم بقيته » .

الاعراب :

(كذبت قوم لوط المرسلين) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة السادسة . (إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون) لم يكن لوط أخاهم في النسب وانما جعله آخاهم جرياً على أساليبهم كما تقدم أو باعتبار انه كان ساكناً ومجاوراً لهم في قريتهم . (إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) صدّر كل قصة بهذه الآيات وقد تقدم إعرابها فجدد به عهداً . (أتأتون الذكران من العالمين) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتأتون الذكران فعل مضارع وفاعل ومفعول به ومحل جملة الاستفهام التوبيخية النصب على الحال ومن العالمين حال . (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وتذرون عطف على تأتون داخل في حيز الاستفهام التوبيخي وهو فعل مضارع وفاعل وما مفعول به وجملة خلق لكم ربكم صلة ومن أزواجكم حال على أن « من » للتبيين ويجوز أن تكون للتبعيض وسيأتي تفصيل هذا كله في باب البلاغة ، وبل حرف اضراب انتقالي وأنتم مبتدأ وقوم خبر وعادون صفة أي متجاوزون الحلال الى الحرام لأن معنى العادي

المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد . (قالوا : لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) قالوا فعل ماض وفاعل ولئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم ولتكونن اللام واقعة في جواب القسم وتكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والواو اسم تكونن ومن المخرجين خبر أي من جملة من أخرجناهم وسيأتي تفصيل مسهب عن هذا التعبير في باب البلاغة . (قال إني لعملكم من القالين) إن واسمها ولعملكم متعلقان بالقالين ومن القالين خبر إن والجملة مقول القول وتشدد بعضهم فقال في حواشي البيضاوي ما يلي : « من القالين » متعلقان بمحذوف أي لقالٍ من القالين وذلك المحذوف خبر إن ومن القالين صفة ولعملكم متعلقان بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي الى تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع أنه لا يجوز . قلت : وهذا على دقته وملاءمته للقواعد فيه تكلف شديد يخرجه الى الإحالة ولا داعي لهذا التشدد مع أن استعمال أل موصولاً يكاد يكون نادراً .

(رب نجني وأهلي مما يعملون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وقد حذف منه حرف النداء ونجني فعل أمر للدعاء والياء مفعول به وأهلي مفعول معه أو معطوف على الياء ومما متعلقان بنجني وجملة يعملون صلة ما . (فنجيناه وأهله أجمعين) الفاء عاطفة على محذوف مقدر لتتساوق القصة ونجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وأهله مفعول معه أو معطوف على الهاء وأجمعين تأكيد . (إلا عجوزاً في الغابرين) إلا أداة استثناء وعجوزاً مستثنى بإلا وهي امرأته وفي الغابرين صفة لعجوزاً كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة . (ثم دمرنا الآخرين) عطف على ما تقدم . (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)

وأمطرنا عطف على دمرنا وعليهم متعلقان بأمطرنا ومطراً مفعول به ، فساء الفاء حرف عطف وساء فعل للذم ومطر المنذرين فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم والمراد بالمطر الحجارة التي انثالت عليهم . (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر والواو حالية وما نافية وكان واسمها وخبرها . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

١ ــ قوله تعالى « وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم » في هذه الآية الابهام بقوله « ما خلق لكم » وقد أراد به إقبالهنّ ، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتصون و « من » تحتمل البيان وتحتمل التبعيض .

٢ ــ العدول الى الصفة :

في قوله « لتكونن من المخرجين » وقوله « من القالين » عدول عن الجملة الفعلية الى الصفة ، وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل الى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون « لأجعلنك من المسجونين » وأمثاله كثيرة ، والسر في ذلك أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة ، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فانه يفهم أمراً زائداً على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة ، استمع الى قوله

تعالى « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » كيف ألحقهم لقباً رديئاً وصيّرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لاصقاً به ، وهذا عام في كل ما يرد عليك وورد فيما مضى من أمثال ذلك فتدبره واقدره قدره .

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا
تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩)
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٠)
* أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ
ٱلْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ
أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
(١٨٧) قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ
إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١)

اللغـــة :

(الأيكة) : في اللغــة الشجرة الكثيفة وجمعهــا أيك ، قال في القاموس « أيك يأيك من باب تعب أيكاً واستأيك الشجر : التف وصار أيكة والأيك الشجر الكثيف الملتف الواحدة أيكة » فتطلق الأيكة على الواحدة من الأيك وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين ، قالوا : وكان شجرهم الدوم وهي قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام ، وقد اختلف المفسرون واللغويون فيها وسننقل لك بعض ما قالوه .

قال الزمخشري :

« قرىء أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجــه ، ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلــد فتوهم" قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة (ص) بغير ألف ، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين عــلى حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا عــلى هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن عــلى الاصل والقصة واحدة عــلى أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكــة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم » .

وقال الجلال السيوطي :

« وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء وهي غيضة شجر قرب مدين » وهذا الصنيع يقتضي أن اللام الموجودة

لام التعريف وحينئذ لا يصح قوله وفتح الهاء إذ الاسم المقرون بأل سواء كانت معرفة أو غيرها يجر بالكسرة سواء وقع فيه نقل أم لا ، ووجه بعضهم فتح الهاء بأن الاسم بوزن ليلة فاللام من بنية الكلمة ولا نقل بل حركة اللام أصلية فجره بالفتحة حينئذ ظاهر .

وقال الشهاب الخفاجي :

« وقد استشكل هذه القراءة أبو علي الفارسي وغيره بأنه لا وجه للفتح لأن نقل حركة الهمزة لا يقتضي تغيير الاعراب من الكسر الى الفتح وأجيب بأن ليكة على هذه القراءة اسم البلدة وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث واللام فيها جزء من الكلمة لا المعرفة لأنها توجب الصرف فقول القائل انها على النقل غير صحيح وبهذا اندفع ما قاله النحاة فانهم نسبوا هذه القراءة الى التحريف » .

وقد أطال السمين الحلبي في توجيه هذه القراءة جداً ونصه :

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسماً غير معرف بأل مضافاً إليه أصحاب هنا وفي « ص » خاصة ، والباقون الأيكة معرفاً بأل موافقة لما أجمع عليه في « الحجر » وفي «ق» وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى وتجرأ بعضهم على قارئها وسأذكر لك من ذلك طرفاً : فوجهها على ما قال أبو عبيدة أن ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والأيكة اسم للبلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين مكة وبكة » .

وقال صاحب القاموس :

« ومن قرأ الأيكة فهي الغيضة ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية وموضعه اللام ووقع في البخاري اللايكة جمع أيكة وكأنه وهم » .

وقال شارحه في التاج :

« قوله وكأنه وهم لأنه ليس له وجه ولم يتكلم به أحد من الأئمة ولكنه رضي الله عنه ثقة فيما ينقل فينبغي أن يحسن الظن به وقد أجاب عنه شراحة وصححوه » .

وقال أبو البقاء :

« أصحاب الأيكة يقرأ بكسر التاء مع تحقيق الهمزة وتخفيفها بالإلقاء وهو مثل الأثنى والانثى وقرىء ليكة بياء بعد اللام وفتح التاء وهذا لا يستقيم إذ ليس في الكلام ليكة حتى يجعل علماً فإن ادعي قلب الهمزة لاماً فهو في غاية البعد » .

الايك والحمام في الشعر :

هذا وقد استهوى الأيك وحمامه الشعراء فكثرت أشعارهم فيه ، أنشد أبو حاتم لرجل من بني نهشل :

ألام على فيض الدموع وإنني
بفيض الدموع الجاريات جدير
أيبكي حمام الأيك من فقد إلفه
وأصبر عنها إنني لصبور

وأنشد الرياشي عن الأصمعي ، قال : أنشدني منتجع بن نبهان لرجل من بني الصّيداء :

دعت فوق أفنـــان من الأيك موهنـاً
مطوقـــة ورقـــاء في إثـر آلف
فهـــاجت عقابيــل الهوى إذ ترنمت
وشبت ضــرام الشوق تحت الشراسف
بكت بجفـون دمعهـــا غـــير ذارف
وأغـرت جفوني بالـدموع الـذّوارف

والطريف في هذا الباب قول عوف بن محلّم :

ألا يا حمـــام الأيك إلفك حاضـــر
وغصنك ميّـــاد ففيـــم تنـوح
أفق لا تنـــح من غـــير شيء فإنـــني
بكيـــت زماناً والفؤاد صحيـــح
ولوعـــاً فشطّت غربـــةً دار زينبٍ
فهـــا أنا أبكـــي والفؤاد جريـــح

(القسطاس) : بكسر القاف وضمهـا وقد قرىء بهما : الميزان السوي فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل .

(ولا تعثوا) : ولا تفسدوا يقال عثا في الأرض وعثي وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وفي المختار : « عثا في الأرض

أفسد وبابه سما وعثي بالكسر عثواً أيضاً وعثى بفتحتين بوزن فتى قال الله تعالى : « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » قلت قال الأزهري : القراءكلهم متفقون على فتح الثاء دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية ».

(والجبلّة) : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام المفتوحة : الخلق المتحد الغليظ وفي القاموس « الجَبْلة والجبْلة والجَبَلة والجبلّة وهي التي قرىء بها : الوجه وما استقبلك منه والخلقة والطبيعة والأصل والقوة وصلابة الأرض » والجبل بفتح الجيم مع سكون الباء مصدر جبله الله على كذا أي طبعه وخلقه واسم الطبيعة جبلة ، ولهذه الكلمة بهذا المعنى ألفاظ كثيرة وهي الجبلة والخيم والطبع والنحيزة والطبيعة والنبيتة والضريبة والسجية والشنشنة والخليقة والسليقة والشيمة والغريزة والنجار وقد نظم بعضهم معاني الجبل فقال :

قد جبل الله الطباع جَبْلا وسمي المال الكثير جِبْلا
وعدد الناس الكثير جُبْلا بالضم إن أردت أو بالكسر
وجه وقوة وغيث جَبْلة وامرأة غليظة والجِبْلَه
جماعة أو كثرة كالجُبله لقدح من خشب ذي كبر

(كسفاً) : بكسر الكاف وفتح السين وقرىء كسْفاً بسكون السين وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقال أبو عبيدة : « الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة وقرأ السلمي وحفص كِسَفاً جمع كسفة أيضاً وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر » وفي الصحاح: « الكَسفة من الشيء يقال أعطني كسفة من ثوبك أي قطعة ويقال الكسف والكسفة واحد » وقال الأخفش « من قرأ كسفاً من السماء جعله واحداً ومن قرأ كسفاً جعله جمعاً » .

(الظلــة) : المظلة الضيقــة وما يستظــل به من الحر أو البرد وما أظلك كالشجر والجمع ظُلل وظلال ويوم الظلة اشتهر بعذابهم فقد رنقت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .

الاعراب :

(كذب أصحاب الأيكة المرسلين) كلام مستأنف مسوق لذكر القصة السابعة والأخيرة في هــذه السورة . (إذ قــال لهم شعيب ألا تتقون) تقدمت هذه الآية وما بعدها في جميع القصص السبع وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة . ولم يقل أخوهم كما قال في الأنبياء قبله لأنه لم يكن من أصحــاب الأيكة في النسب ، فلما ذكر مدين قال أخاهــم شعيباً لأنه كان منهم . (إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) آيات تقدمت في القصص السبع . (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أوفوا فعــل أمر وفاعل والكيــل مفعول به والواو حرف عطف ولا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها ومن المخسرين خبر تكونوا ، قال الزمخشري : « الكيل عــلى ثلاثة أضرب : واف وطفيف وزائد ، فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل عــلى أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه » . (وزنوا بالقسطاس المستقيم) اعرابها واضح . (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو عاطفة ولا ناهية وتبخسوا فعــل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والناس مفعول به أول وأشياءهم مفعول به ثان .

وفي أقوالهم « لا تبخس أخاك حقه » . ولا تعثوا عطف على ولا تبخسوا وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتعثوا ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها وأما لفظهما فمختلف . (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر وفاعل والذي مفعول به وجملة خلقكم صلة والجبلة عطف على الذي والأولين صفة للجبلة . (قالوا إنما أنت من المسحرين) إنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومن المسحرين خبر والجملة مقول القول . (وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) الواو عاطفة وما نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلنا نعت لبشر والواو حرف عطف وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ونظنك فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به واللام الفارقة ومن الكاذبين خبر قال الزمخشري : « فإن قلت إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه ؟ قلت : أصلهما أن تتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقاً وإن ظننته لمنطلقاً » . (فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) الفاء الفصيحة وأسقط فعل أمر وعلينا متعلقان بأسقط وكسفاً مفعول به ومن السماء صفة لكسفاً وإن شرطية وكنت فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومن الصادقين خبر كنت وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأسقط علينا . (قال ربي أعلم بما تعملون) ربي مبتدأ وأعلم خبر والجملة مقول القول وبما متعلقان بأعلم وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول . (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) الفاء عاطفة وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به فأخذهم فعل ومفعول به وعذاب يوم الظلة فاعل وان واسمها

وجملة كان خبرها ، واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وعذاب خبر كان ويوم مضاف اليه وعظيم صفة . (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم اعرابها .

البلاغـة :

فن التكرير :

في هذه القصص السبع كرر في أول كل قصة وفي آخرها ما كرر مما أشرنا اليه لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وترسيخاً لها في الصدور مع تعليق كل واحدة بعلة ، وفن التكرير فن دقيق المأخذ وربما اشتبه على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى ، وهو ينقسم الى قسمين :

القسم الاول من التكرير :

يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عنـد مثلهـم مقـام

القسم الثاني من التكرير :

يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك : أطعني ولا تعص أوامري ، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية .

وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره .

وزعم قوم أن أبا الطيب المتنبي أتى بتكرير لا حاجة به إليه في قولـــه :

العارض الهتـــن بن العارض الهتـــن بن العا
رض الهتـــن بن العـــارض الهتـــن

وليس في هذا البيت من تكرير فإنه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا أي انه عريق النسب في هذا الوصف ، وقد ورد في الحديث النبوي مثله كقولـه صـلى الله عليه وسلم في وصف يوسف النبي:«الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » فالبيت كالحديث النبوي مـن جهة المعنى لكنه انحط عـن الحديث مـن جهـة ألفاظـه ، وهي ألفـاظ إذا استعملت مفردة كانت حسنة ولكن إيرادهـا عـلى هـذا الوجه المتداخـل هو الذي شوه جمالها وأحالها الى ضرب من المغالطة اللفظية غضت منها وهذا أمر مرده الى الذوق وحده فهو الفيصل الذي يحكم في هذه الامور وما أحسن ما قـال الفيلسوف الفرنسي فولتير « ذوقك أستاذك » .

التكرير غير المفيد :

أما إذا كان التكرير غير مفيد فهو العي الفاحش ، ومن العجيب أن يتورط شاعر كأبي الطيب المتنبي فيورد البيت الـذي أوردناه في مستهل هذا البحث وهو :

ولم أر مثـل جيراني ومثلي لمثلي عنـد مثلهم مقـام

ألا ترى أنه يقول لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في

مسايرتهم ومقامي عندهم إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين ، ومثله قوله :

وقلقلت بالهـــم الذي قلقـــل الحشا
قلاقـــــل دهـــر كلهـــن قلاقـــــل

وكذلك قوله :

عظمـــت فلمـــا لـــم تكلـــم مهابة
تواضعت وهو العظـــم عظماً على عظـــم

قال أحد النقاد القدامى فيه : « ولو سمي هذا البيت جبانة لكان لا ثقاً به » والظاهر أن هذا الناقد يكره التكرير وقد صور له كرهه إياه قصيدة ابن الرومي في المرأة التي أولها :

أجنت لك الوجـــد أغصـــان وكثبـــان
فيهنّ نوعـــان تفّـــاح ورمــــــان

غير جميلة أو من هذا الضرب فقال : « هذه دار البطيخ فاقرءوا نسيبها تعلموا ذلك » .

ولسنا ننكر أن ابن الرومي قد بالـــغ في غزلهـــا وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس ولكنه واقع موقعه ولا سبيل الى النيل منه . ونعود الى أبي الطيب فقـــد أكثر من التكرير حتى أسف في كثـــير من أبياته مع أنه شاعر العربية الأول فقال :

أســد فرائسهــا الأسود يقودهــا

أســـد تصـــير له الاسود ثعالبـــا

قال ابن رشيق : « ما أدري كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً » وقال الاصمعي لمن أنشده قوله :

فما للنوى جـذ النوى قطـع النوى

كـــذاك النوى قطّاعـــة لوصـــال

« لو سلط الله على هذا النوى شاة لأكلته كله » .

وأما قول أبي نواس :

أقمنا بهــا يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحــل خامس

فقال ابن الأثير في المثل السائر : « مراده أنهم أقاموا أربعة أيام ويا عجباً له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن وهي :

ودار نــدامى عطلـــوها وأدلجـــوا

بهـــا أثر منهـــم جـــديد ودارس

مساحب منجر الزقـــاق عـــلى الثرى

وأضغـــاث ريحـــان جـني ّ ويابس

حبست بهــا صحبي فجـددت عهـدهم

وإني عـــلى أمثـــال تلك لحابس

تــــدار علينـــا الراح في عسجـــدية
حبتهـــا بأنواع التصـــاوير فـــارس
قرارتهـــا كســرى وفي جنباتهـــا
مهـــا تدريهـــا بالقسيّ الفـــوارس
فللـــرّاح ما زرّت عليـــه جيوبهـــا
وللمـــاء ما دارت عليـــه القـــلانس

وقد أخطأ ابن الأثير وفهم البيت خطأ ولم يمعن النظر فيه فنقده ولو أنه أمعن النظر لما قال فيه هذا القول ، والمعنى الصحيح : ان المقام سبة أيام لأنه قال وثالثاً ويوماً آخر له اليوم الذي رحلنا فيه خامس .

وأبو نواس أجل قدراً من أن يسف ويأتي بهذه العبارة لغير معنى طائل وله في الخمر أبيات منقطعة النظير وقد تدق على الافهام ، حكي عنه أنه ذكر عند الرشيد قوله :

فاسقني البكر التي اعتجرت بخمـــار الشيب في الرحـــم

فقال الرشيد لمن حضر : ما معناه ؟ فقال أحدهم : إن الخمر إذا كانت في دنّها كان عليهـــا شيء مثل الزبد فهو الشيب الذي أراده ، وكان الاصمعي حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا علي أجـــل خطراً وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال : إن الكرم أول ما يخرج المنقود في الزرجون يكون عليه شيء يشبه القطن فقـــال الأصمعي : ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما قلتم .

عود الى الآيات :

ونعود فنقول إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر وقلوب غلف ، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح مغالقها ويجلو ما تحيفتّها من صدأ . وسيأتي من التكرير في القرآن ما يسكر النفوس ويخلب الألباب .

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾
وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

اللغة :

(الأعجمين) : قال الزمخشري : الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ، وقرأ الحسن : الأعجميين ، ولما كان من يتكلم بلسان غير

لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين ، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد :

ولا عربياً شاقه صوت أعجما

قلت : وهذا عجز بيت وصدره :

« ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها »

والبيت من أبيات لحميد بن ثور وقد رحلت صاحبته ومنها :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حر ترحة وتندما
عجبت لها أنّى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما
ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما

وساق حر مركب إضافي وهو ذكر الحمام مطلقاً يقول : وما حرك هذا الشوق وبعثه فتوقد في قلبي إلا حمامة دعت ذكرها ، والترحة : الحزن ضد الفرحة ، والتندم : التأسف على ما فات ، ويروى وترنما وهو تحسين الصوت وهما نصب على الحالية أي حزينة ومتأسفة أو ذات ترحة وذات تندم ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف والاستفهام معناه هنا التعجب وفغر فاه يفغره من باب قطع فتحه أي والحال أنها لم تفتح فمها بنطقها وانما يخرج صوتها من صدرها ، وشاقه تسبب له في الشوق ، والعربي المفصح والأعجم الذي لا يفصح من الحيوان نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه ولا يفقهون مراده وربما ألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة ، وبينه وبين عربي طباق التضاد .

واستشكل كيف يجمع الأعجم جمع المذكر السالم وهو وصف على وزن أفعل في المذكر وعلى وزن فعلاء في المؤنث وشرط الجمع بالياء والنون أو بالواو والنون أن لا يكون الوصف كـذلك ، وأجيب بأنه جمع أعجمي بياء النسب وحـذفت للتخفيف كأشعرين في أشعري ، والكوفيون يجيزون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم وقال صاحب التحرير : « قوله على بعض الاعجمين جمع أعجمي ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة » . وعبارة القاموس : « العجم بالضم وبالتحريك خـلاف العرب رجـل وقوم أعجم والأعجم من لا يفصح كالأعجمي والأخرس وزياد الشاعر والموج لا يتنفس فـلا ينضح ماء ولايسمع له صوت والعجمي منجنسه العجم وان أفصحوجمعه عَجَم».

الاعراب :

(وانه لتنزيـل رب العالمـين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص وتأكيد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإن إخباره عن الامم المتقـدمة وهو الأمي الـذي لا يقرأ ولا يكتب لا يكون إلا عن طريق الوحي والضمـير يعود عـلى القرآن لأن هذه القصص جزء منه . وان واسمها واللام المزحلقة وتنزيل رب العالمين خبرها . (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) الجملة صفة لتنزيل وبه في موضع الحال أي ملتبساً به فالباء للملابسة والروح فاعل والأمين صفة وعلى قلبك متعلقان بنزل واللام للتعليل وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام ومن المؤمنين خبر تكون. (بلسان عربي مبين) بلسان جار ومجرور متعلقان بالمنذرين لأنه اسم مفعول أي من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالـح

وشعيب واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أو انه بدل من قوله به بإعادة العامل أي نزل بلسان عربي أي باللغة العربية . ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وفي زبر الأولين خبر إن يعني أن ذكره مثبت في الكتب السماوية . ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي التقريعي والواو عاطفة على مقدر ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لآية وتقدم عليها وآية خبر يكن المقدم وأن يعلمه في تأويل مصدر اسم يكن وعلماء بني إسرائيل فاعل يعلمه . وهؤلاء العلماء هم خمسة قد أخبروا بالقرآن وهم عبد الله بن سلام وأسد وأسيد وثعلبة وابن يامين وقد أسلموا وحسن إسلامهم . ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين ﴾ الواو عاطفة ولو شرطية امتناعية ونزلناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وعلى بعض الأعجمين متعلقان بنزلناه . ﴿ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ الفاء عاطفة وقرأه فعل ماض وفاعل مستتر يعود على بعض الأعجمين ومفعول به وعليهم متعلقان بقرأه وجملة ما كانوا مؤمنين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبه متعلقان بمؤمنين ومؤمنين خبر كانوا . ﴿ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف مقدم أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها وسلكناه فعل وفاعل ومفعول به وفي قلوب المجرمين متعلقان بسلكناه . ﴿ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴾ الجملة مستأنفة أو حالية من الهاء في سلكناه أو من المجرمين فعلى الاول تكون الجملة بمثابة الايضاح والتلخيص لما تقدم وعلى الثاني يكون التقدير سلكناه حالة كونه غير مؤمن به ، ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع وفاعل وبه متعلقان بيؤمنون وحتى حرف غاية

وجر ويروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعل والعذاب مفعول به والاليم صفة • (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) الفاء حرف للتعقيب قال الزمخشري : « فإن قلت : ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا ••• ؟ قلت : ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود ، وانما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه ، إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله عقيب مقت الصالحين ، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء » وهكذا سبر الزمخشري أغوار القرآن الكريم وألمّ بخفاياه إلمام الخبير بمواقع الأسرار • ويأتيهم معطوف على يروا والفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول به وبغتة حال والواو واو الحال وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر • (فيقولوا هل نحن منظرون) الفاء عاطفة كما تقدم والكلام كله مقدم من تأخير ويقولوا عطف على يأتيهم وهل حرف استفهام ونحن مبتدأ ومنظرون خبر والجملة مقول القول ومعنى الاستفهام هنا التحسر والاستبعاد لما هو محال وهو إمهالهم بعد حلول العذاب بهم •

الفوائد :

شروط جمع المذكر السالم :

يشترط في كل ما يجمع جمع المذكر السالم من اسم أو صفة ثلاثة شروط :

آ ـ الخلو من تاء التأنيث فلا يجمع هذا الجمع من الأسماء نحو طلحة ، ولا من الصفات نحو علاّمة بتشديد اللام لئلا يجتمع فيهما علامتا التأنيث والتذكير .

ب ـ أن يكون لمذكر فلا يجمع هذا الجمع علم المؤنث نحو زينب ولا صفة المؤنث نحو حائض .

جـ ـ أن يكون لعاقل لأن هذا الجمع مخصوص بالعقلاء فلا يجمع نحو واشق علماً لكلب وسابق صفة لفرس ، ثم يشترط أن يكون إما علماً غير مركب تركيباً مزجياً ولا إسنادياً فلا يجمع المركب المزجي نحو معدي كرب وسيبويه ، وقيل إن المختوم بويه يجمع هذا الجمع فيقال سيبويهون ومنهم من يحذف ويه فيقول سيبون ، أما المركب الاضافي فيجمع أول المتضايفين ويضاف للثاني فيقال غلامو زيد وغلامي زيد ، والكوفيون يجمعونهما معاً ، وأما صفة تقبل التاء المقصود بها معنى التأنيث فلا يجمع هذا الجمع نحو علامة ونسابة لأن التاء فيهما لتأكيد المبالغة لا لقصد معنى التأنيث ، أو صفة لا تقبل التاء ولكنها تدل على التفضيل فالصفة التي لا تقبل التاء نحو قائم ومذنب تقول قائمة ومذنبة والصفة التي تدل على التفضيل نحو أفضل فهذه الصفات الثلاث تجمع هذا الجمع كما تجمع بالألف والتاء فيقال قائمون ومذنبون وأفضلون كما يقال قائمات ومذنبات وفضليات ، فلا يجمع هذا الجمع نحو جريح بمعنى مجروح وصبور بمعنى صابر وسكران وأحمر وأعجم فإنها لا تقبل التاء ولا تدل على تفضيل لأن جريحاً وصبوراً مما يستوي فيه المذكر والمؤنث وسكران مؤنثه سكرى وأحمر مؤنثه حمراء وأعجم مؤنثة عجماء فلا يقال جريحون وصبورون وسكرانون وأحمرون كما

لا يقال جريحات وصبورات وسكرانات وحمراوات وعجماوات فلو جعلت أعلاماً جاز الجمعان .

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

الاعراب :

(أفبعذابنا يستعجلون) الهمزة للاستفهام التوبيخي والتهكمي والإنكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام وقد سبق تقريره والتقدير : أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون ، هكذا قدره بعض المعربين ولكنه لا يخلو من إيهام،

فالأولى أن يقدر : أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون ، وقدم الجار والمجرور لأمرين : لفظي وهو مراعاة الفواصل ومعنوي وهو الإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به العذاب ، والجار والمجرور متعلقان بيستعجلون . (أفرأيت إن متعناهم سنين) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف ورأيت معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض والتاء فاعل رأيت ورأيت بمعنى أخبرني فتتعدى الى مفعولين أحدهما مفرد والآخر جملة استفهامية غالباً وإن شرطية ومتعناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وسنين ظرف متعلق بمتعناهم .

(ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) ثم حرف عطف وجاءهم فعل ومفعول به وما فاعل جاءهم وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وجملة يوعدون خبرها .

ثم : تنازع أفرأيت وجاءهم في قوله « ما كانوا يوعدون » فإن أعملت الثاني وهو جاءهم كما تقدم في الاعراب رفعت به « ما كانوا » فاعلاً به ، ومفعول أرأيت الأول ضميره ولكنه حذف والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله « ما أغنى عنهم » ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر تقديره : أفرأيت ما كانوا يوعدونه ، وإن أعملت الاول نصبت به «ما كانوا» مفعولاً به وأضمرت في جاءهم فاعلاً به والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضاً والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف . وقد تقدم البحث مستوفى في هذا التعبير في سورة الأنعام وهذا كله إنما يتأتى على قولنا إن « ما » استفهامية ولا يضيرنا تفسيرهم لها بالنفي فإن الاستفهام قد يرد للنفي ، وأما إذا جعلتها نافية ، فتكون حرفاً ، ولا يتأتى ذلك لأن مفعول أرأيت الثاني

لا يكون إلا جملة استفهامية وقد ذكر هذا مفصلاً كما ذكرت أقوال المعربين في سورة الانعام فجدد به عهداً . (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ما استفهامية كما تقدم مفعول مقدم لأغنى وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنى وما مصدرية أو موصولة وعلى كل حال هي ومدخولها أو هي وحدها فاعل أغنى والتقدير ما أغنى عنهم تمتعهم أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي وقيل ما نافية ولا فرق بينهما كما تقدم . (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية وأهلكنا فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وقرية مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول أهلكنا وإلا أداة حصر ولها خبر مقدم ومنذرون مبتدأ مؤخر والجملة صفة لقرية أو حال منه وسوغ ذلك سبق النفي وقد تقدم الزمخشري رأي جميل في مثل هذا التعبير ونعيده هنا قال : « فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله : وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ؟ قلت : الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله : سبعة وثامنهم كلبهم » .

(ذكرى وما كنا ظالمين) مفعول لأجله على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، وجوز أبو البقاء أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي هذه ذكرى والجملة اعتراضية ، وأعربها الكسائي حالاً أي مذكرين، وأعربها الزجاج مصدر والعامل منذرون لأنه في معنى مذكرون ذكرى أي هذه ذكرى والجملة اعتراضية،وأعربها الكسائي حالاً أي مذكرين ، (وما تنزلت به الشياطين) الواو عاطفة وما نافية وتنزلت فعل ماض وبه جار ومجرور متعلقان بتنزلت والضمير للقرآن والشياطين فاعل تنزلت (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) الواو عاطفة وما نافية وينبغي فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على

القرآن ولهم متعلقان بينبغي وما يستطيعون عطف على ما ينبغي ومفعول يستطيعون محذوف تقديره ذلك . (إنهم عن السمع لمعزولون) الجملة تعليل لعدم استطاعتهم أن يتنزلوا به وان واسمها وعن السمع متعلقان بمعزولون واللام المزحلقة ومعزولون خبر إن . (فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) الفاء الفصيحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره ، ولا ناهية وتدع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت ومع ظرف متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لإلهاً وتقدم عليه وإلهاً مفعول به وآخر صفة لإلهاً ، فتكون الفاء فاء السببية وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء واسم تكون مستتر تقديره أنت ومن المعذبين خبر تكون . (وأنذر عشيرتك الأقربين) الواو عاطفة وأنذر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعشيرتك مفعول به والأقربين صفة ، وسيأتي بحث واف عن هذا الانذار في باب الفوائد .

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) عطف أيضاً واخفض جناحك فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ولمن متعلقان باخفض وجملة اتبعك صلة من ومن المؤمنين حال . (فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) الفاء عاطفة وإن شرطية وعصوك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقل الفاء رابطة للجواب وان واسمها وبريء خبرها ومما متعلقان ببريء وجملة تعملون صلة وجملة اني بريء مقول القول ولذلك كسرت همزة إن . (وتوكل على العزيز الرحيم) عطف على ما تقدم وعلى العزيز متعلقان بتوكل . (الذي يراك حين تقوم) الذي صفة للعزيز الرحيم وجملة يراك صلة وحين ظرف متعلق بيراك وجملة تقوم مجرورة بإضافة الظرف اليها ومتعلق تقوم

محذوف أي الى الصلاة (وتقلبك في الساجدين) عطف على الكاف في يراك وفي الساجدين حال وفي بمعنى مع أي مصلياً مع الجماعة ، وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه : هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن ؟ فتلا هذه الآية ، وقال بعضهم المراد بالساجدين المؤمنون أي يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين منذ زمن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (إنه هو السميع العليم) ان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والسميع العليم خبران لإن أو للضمير والجملة الاسمية خبر إن .

الفوائـد :

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الأقرب فالأقرب، فلما أنزل الله تعـالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعاهـم الى دار عمه أبي طالب وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه وفيهم أعمامه ، فأنذرهم فقال يا بني عبد المطلب : لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . وروي انه قال : يا بني عبد المطلب ، يابني هاشم ، يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً ، ثم قال : يا عائشة بنت أبي بكر ، ويا حفصة بنت عمر ، ويا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئاً .

وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هـذا المعنى نجتزىء بمـا تقدم منها .

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ
﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ
ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

الاعراب :

(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) كلام مستأنف مسوق لإبطال كونه كاهناً يتلقى من الشياطين ، وهل حرف استفهام وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وعلى من جار ومجرور متعلقان بتنزل وقدم للاهتمام به ولأن للاستفهام صدر الكلام ، وهو معلق لفعل التنبئة عن العمل والجملة سدت مسد المفعولين الثاني والثالث وتنزل فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والأصل تتنزل ، والشياطين فاعل تنزل. (تنزل على كل أفاك أثيم) الجار والمجرور متعلقان بتنزل ، وهو بدل من الجار والمجرور قبله وأفاك مضاف الى كل وأثيم صفة وهم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطلحة . (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) يلقون فعل مضارع والواو فاعل وهو يعود على الشياطين فتكون الجملة حالية أو يعود على كل أفاك أثيم من حيث أنه جمع في المعنى فتكون الجملة مستأنفة أو صفة لكل أفاك أثيم ، ومعنى إلقائهم

السمع إنصاتهم الى الملأ الأعلى ليسترقو شيئاً أو القاء الشيء المسموع الى الكهنة ، والسمع مفعول به والواو حالية وأكثرهم مبتدأ وكاذبون خبر والجملة حالية • (والشعراء يتبعهم الغاوون) كلام مستأنف أيضاً مسوق لإبطال كونه شاعراً كما زعموا وسيأتي بحث ضاف عن الشعر ومن هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون في باب الفوائد والشعراء مبتدأ وجملة يتبعهم خبر ويتبعهم فعل مضارع ومفعول به مقدم والغاوون فاعل مؤخر • (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) الجملة مفسرة والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وفي كل واد متعلقان بيهيمون ويهيمون فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أنهم،ويجوز أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف هو الخبر وجملة يهيمون حالية ، وتمثيل ذهابهم في كل شعب من القول بالوادي سيأتي بحثه في باب البلاغة • (وأنهم يقولون مالا يفعلون) جملة معطوفة • (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) إلا أداة استثناء والذين مستثنى من الشعراء المذمومين وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة وذكروا الله عطف أيضاً وكثيراً صفة لمفعول مطلق محذوف أي ذكروا الله ذكراً كثيراً أو صفة لظرف زمان محذوف أي وقتاً كثيراً •

(وانتصروا من بعد ما ظلموا) عطف على ما تقدم وما مصدرية أي من بعد ظلمهم من إضافة المصدر لمفعوله • (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الواو استئنافية والسين حرف استقبال ويعلم فعل مضارع والذين فاعله وجملة ظلموا صلة وأي منقلب منصوب على المفعولية المطلقة لأن أياً تعرب بحسب ما تضاف إليه وقد علقت يعلم

عن العمل ، هذا والعامل في أي هو ينقلبون لا يعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها ، قال النحاس : « وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض » .

البلاغة :

في قوله تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » استعارة تمثيلية لطيفة وليس ثمة واد ولا شعاب ولا هيام وانما هو تغلغل الى مناحي القول ، واعتساف في الأوصاف والتغزل والتشبيب والنسيب وقلة مبالاة بما يهتكونه من أعراض ، ويرجفون به من أقوال ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الشعر في باب الفوائد ، وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله :

فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد ، فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله « وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

الفوائد :

١ ــ فضل الشعر :

واستثناء الشعراء الصالحين الذين ينافحون دون الأوطان ، ويدعون الى الفضائل والاصلاح ، ويصورون عيوب المجتمع وسيئاته لرأب صدوعه ، يدل على ما للشعر من مكانة سامية ومنزلة عالية ، وقد

روى البخاري عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الشعر حكمة ، وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال : إن من البيان سحراً وان من الشعر حكمة . أخرجه أبو داود ، وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر كلام منه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ، وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة رضي الله عنهم أجمعين .

بين النظم والنثر :

وقال صاحب العمدة : « وكلام العرب نوعان : منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ومتوسطة ورديئة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر ، وهو أخو اللفظ ونسيبه ، إليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ومن أجله انتخب ، وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع وتدحرج عن الطباع .

الكذب مذموم إلا من الشعراء :

ومن فضائله أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن" فيه ، وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخوه : ويحك ان النبي أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خَطَل وابن حُبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعْرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله فإنه لا يقتل من جاء تائباً وإلا فانج الى نجائك فإنه والله قاتلك ، فضاقت به الارض فجاء الى رسول الله متنكراً فلما صلى البني صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله ثم قال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً أفتؤمنه فآتيك به ؟ قال : هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير فأمنه رسول الله وأنشد كعب قصيدته التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيّم إثرها لم يفد مكبول

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أنبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسُول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القـ
ـرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة فلم
أذنب وقد كثرت فيّ الأقاويل

فلم ينكر عليه النبي قوله ، وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم وقال العتبي بعشرين ألفاً وهي التي توارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أرغاء كرغاء البعير ، فقال حسان : دعني عنك ياعمر فوالله انك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد لمن هو خير منك فما يغير عليّ ذلك فقال عمر : صدقت.

وقال صاحب العمدة : « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالا يفعلون » فهو غلط وسوء تأول لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسّوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا » يريد شعراء النبي الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وقد قال فيهم النبي صلى الله عليهم وسلم «هؤلاء النفر أشدّ على قريش من نضح النبل » وقال لحسان بن ثابت : « اهجهم — يعني قريشاً — وروح القدس معك فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً» فإنما هو من غلب الشعراء على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرضه ومنعه من ذكر الله تعالى . وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجِلّة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين :

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا : واسمه عبد الله بن عثمان ويقال : عتيق لقب له قال في غزوة عبيدة ابن الحارث :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت أوامر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدّها
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسولٌ أتاهم صادق فتكذّبوا
عليه وقالوا : لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا
وهرّوا هرير المجْمَرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهمُ بقرابة
وترك التقى شيء لهم غير كارث

فإن يرجعوا عن كفرهـــم وعقوقهـــم
فمــا طيبات الحـــلّ مثـــل الخبائث

وإن يركبــوا طغيانهـــم وضلالهـــم
فليس عـذاب اللـــــه عنهـم بلابث

فأولى برب الراقصـــــات عشيــــةً
حراجيــح تخـــدي في السريح الرثائث

كأدم ظبــــاء حول مكــــة عكف
يردن حيـــاض البئـــر ذات النبــائث

لئن لم يفيقوا عاجـــلاً من ضلالهـــم
ولست إذا آليـــت قـــولاً بحانــث

لتبتدرنهـــم غـــارة ذات مصـــدق
تحـــرم اطهـــار النســاء الطوامــث

تغادر قتــلى تعصِبُ الطـــيرُ حولهم
ولا يرأف الكفـــار رأف ابن حـــارث

فأبلـــغ بني سهـــم لديك رسالـــةً
وكـــل كفـــور يبتغي الشـــر باحث

فإن شتموا عرضي عــلى سوء رأيهـــم
فإني من أعراضهـــم غــير شاعــث

هذا ولا بد من الإلماع الى أن ابن هشام قال في سيرته : «وأكثرأهل العلم ينكر هذه القصيدة لأبي بكر» .

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة :

هــوّن عليك فإن الأمــو ... ر بكف الإلـــه مقاديرها
فليس يأتيــك منهيهـــا ... ولا قاصــر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه :

لا شيء ممـــا ترى تبقى بشاشتـــه
يبقى الإلـــه ويفنى المـــال والولـــد

لـــم تغن عن هرمز يومـــاً خزائنـه
والخلـــد قد حاولت عـــاد فما خلـــدوا

ولا سليمـــان إذ تجري الريـــاح لـه
والجـــن والإنس فيمـــا بينهـــا ترد

حوض هنـــالك مورود بـــلا كـــذب
لا بـــد من ورده يومـــاً كمـــا وردوا

ومن شعر عثمان بن عفان رضي اللـه عنه :

غنى النفس يغني النفس حتى يكفّهـا

وإن عضّهـا حتى يضـر بهـا الفقر

وما عسـرة ــ فاصبر لها إن لقيتهـا ــ

بكائنـة إلا سيتبعهـا يسـر

ومن شعر علي بن أبي طالب ما قالـه يوم صفين يذكر همـدان ونصرهم إياه :

ولمـا رأيت الخيـل ترجـم بالقنـا

نواصيّهـا حمـر النحـور دوامي

وأعرض نقـع في السماء كأنـه

عجاجـة دجـن ملبّس بقتـام

ونادى ابن هنـد في الكلاع وحمـير

وكنـدة في لخـم وحيّ جـذام

تيمّمت همـدان الـذين هـمُ هـمُ

ــ إذا نـاب دهر ــ جُنتي وسهـامي

فجاوبني من خيـل همـدان عصبةٌ

فوارس من همـدان غـير لئـام

فخاضوا لظاهـــا واستطاروا شرارهـا
وكانوا لــدى الهيجا كشَرب مـدام

فلـو كنت بوّاباً عـلى باب جنـة
لقلـت لهمـدان ادخـلوا بسـلام

ومن شعر الحسن بن علي وقـد خرج عـلى أصحابه مختضباً ، رواه المبرد :

تسوّد أعـلاها وتأبى أصولهـا
فليت الـذي يسودّ منهـا هو الأصل

ومن شعر الحسين بن علي وقد عاتبه أخوه الحسن في امرأته :

لعمـرك انـني لأُحـب داراً
تحـل بهـا سكينته والربـاب

أحبهـا وأبـذل جـلّ مـالي
وليـس للائمـي عنـدي عتـاب

ومن الخلفاء كثيرون قالوا الشعر فمن شعر عمر بن عبد العزيز :

أيقظـان أنت اليـوم أم أنت حالـم
وكيف يطيق النوم حـيران هائـم

فلـو كنت يقظـان الغـداة لحرقت
جفوناً لعينيك الـدموع السواجـم
نهـارك يا مغرور سهـو وغفـلة
وليـلك نـوم والـردى لك لازم
وتشغـل فيمـا سوف تكـره غبّه
كـذلك في الـدنيا تعيش البهائـم

واشتهر من الفقهاء محمد بن ادريس الشافعي بالشعر فكان من أحسن الناس افتناناً بالشعر ، وهو القائل :

ومتعـب العيس مرتـاحاً إلى بلـد
والمـوت يطلبـه في ذلك البلـد
وضاحـك والمنايـا فوق مفرقـه
لو كان يعلـم غيباً مات من كمـد
من كان لـم يؤت علماً في بقـاء غـد
ماذا تفكـره في رزق بعـد غـد

ومن روائعه المشهورة قوله في الحظ :

الجـدّ يدني كـلّ شيء شاسـع
والجدُّ يفتـح كـل باب مغلق

فإذا سمعت بأن مجدوراً حوى
عوداً فأورق في يديه فصدق

وإذا سمعت بأن محروماً أتى
ماء ليشربه فجف ّ فحقق

وأحق ّ خلق الله بالهم امرؤ
ذو همة يُبْلَى برزق ضيق

ولربّما عرضت لنفسي فكرة
فأود ّ منها أنني لم أخلق

وحسبنا ما تقدم من الاستشهاد فذلك قد يخرج بنا عن الغرض .

نصائح بوالو للشاعر :

هذا ونختم المبحث بالنصائح القيمة التي أوردها الكاتب الفرنسي بوالو للشاعر وخلاصتها : انه على الشاعر أن يتنزه عن الاباحية ، صحيح ان تصوير الحب مباح ولكن بحيث لا يكون في هذا التصوير أي نوع من أنواع التبذ ّل ، وينبغي أن يتجرد من الغيرة ، إنها آفة من آفات رجال الأدب وهي رذيلة إن وجدت في أحدهم دلت على ضعف مواهبه . ثم ينبغي عليه أن يكون طيب الصحبة ممتع الحديث ، ثم إن مما يشين شاعراً من الشعراء أن يوجه همه الى كسب المال ، كما يجدر به — على

العكس ــ أن يسعى لبلوغ المجد ، وعليه أن لا يحطّ من قدر الشعر ذلك الفن الإلهي الذي هذب فيما مضى النفوس وألهب فيها الوطنية وعلم الحكمة والفضيلة .

٢ ــ من هو سطيح الكاهن :

روى التاريخ أن سطحياً الغساني كان أكهن الناس وقد أنذر بسيل العرم وكان جسده يدرج كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها وكان أبداً منسطحاً على الأرض عاش ١٥٠ سنة على ما قيل، ومات في الليلة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كهانته انه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة فأعظم ذلك أهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام أن وادي السماوة قد انقطع في تلك الليلة وكتب إليه صاحب اليمن أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية وكتب إليه صاحب فارس أن النار خمدت تلك الليلة فلما تواترت عليه الكتب أظهر سريره وبرز الى أهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني ، رأيت إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي شيء ولكن أرسل الى عاملك في الحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان فوجه اليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني فأخبره كسرى بالخبر فقال : أيها الملك ما عندي فيها من شيء ولكن جهزني الى خالي سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال :

أصمُّ أم يسمع غطريف اليمن
أتاك شيخ الحيّ من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع اليه سطيح رأسه وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، أقبل الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت الواد وانتشرت في البلاد ، يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة ، وفاض وادي السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات ، بعدد ما سقط من الشرفات ، وكل ما هو آت آت ثم قال :

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم
فإن ذا الدهر أطوار دهارير

منهم بنو الصرح بهرام وأخوته
والهرمزان وسابور وسابور

وربما أصبحوا منهم بمنزلة
يهاب صولهم الأسد المهاصير

حثوا المطي وجدوا في رحيلهم
فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس أبنـــاء عـــلات فمن علمـــوا
أن قـــد أقـــل فمحقـــور ومهجـــور

والخـــير والشـــر مقرونـــان في قرن
والخـــير متبـــع والشـــر محـــذور

فأتى كسرى فأخبره فغمّه ذلك فقال : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان فملكوا كلهم في أربعين سنة •

سورة النمل
مكية وآياتها ثلاث وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

الاعراب :

(طس • تلك آيات القرآن وكتاب مبين) طس تقدم الكلام على اعرابها ومعناها في بحث فواتح السور • وتلك مبتدأ وآيات القرآن خبر وكتاب مبين عطف على القرآن ومبين صفة ، وسيأتي سر التنكير والعطف في باب البلاغة • (**هدى وبشرى للمؤمنين**) يجوز في هدى النصب على الحال والعامل فيها مافي تلك من معنى الاشارة أي هاديه ومبشرة ويجوز فيها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي هي هدى وبشرى ، ومعنى هداها للمؤمنين وهم مهديون زيادتها في هداهم •

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الذين نعت للمؤمنين ولك أن تقطعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يقيمون الصلاة صلة الذين وجملة يؤتون الزكاة عطف على يقيمون الصلاة وهم الواو للحال وهم مبتدأ أو للعطف وجملة يوقنون خبره وبالآخرة متعلقان بيوقنون وهم مبتدأ جيء للفصل بين المبتدأ وخبره ليتصل بالخبر في الصورة وسيأتي سر التغيير في النظم في باب البلاغة . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون) كلام مستأنف مسوق لبيان السبب في عدم إيمانهم وتحيرهم وتردّدهم في أعمالهم ، وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة الذين وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وجملة زينا خبر إن وزينا فعل وفاعل ولهم متعلقان بزينا وأعمالهم مفعول به والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يعمهون خبره أي يتحيرون ويترددون بين تركها لأنها واضحة البطلان ظاهرة السوء وبين الاستمرار عليها ، وقيل معنى يعمهون يستمرون من غير تردد إذ لم يدر في خلدهم لحظة الاقلاع عنها وهو جميل وقوي ولكن العمه هو كما يقول الزمخشري وغيره من أئمة اللغة التردد والتحير كما يكون حال الضالّ عن الطريق ، وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال : رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم ، وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن العمه مصدر عمه يعمه ويعمه من باب ضرب وفتح عمهاً وعموهاً وعموهية وعمهاناً أي تحير في طريقه أو أمره وتردد في الضلال فهو عَمِه وجمعه عمهون وعامه وجمعه عامهون وعمّه .

(أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون) أولئك مبتدأ والذين خبره ولهم خبر مقدم وسوء العذاب مبتدأ مؤخر

والجملة صلة وهم مبتدأ وفي الآخرة متعلقان بالأخسرون والأخسرون خبره وهم مبتدأ جيء به للفصل بين المبتدأ وخبره ليتصل بالخبر في الصورة وقد تقدم بحثه ، هذا ولا بد من الاشارة الى أن قوله « الأخسرون » يحتمل أنها على بابها من التفضيل وذلك بالنسبة للكفار ويحتمل أنها للمبالغة لا للتشريك لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة • (وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تلقى خبرها ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت والقرآن مفعول به ثان ومن لدن الجار والمجرور متعلقان بتلقى وحكيم مضاف اليه وعليم صفة •

البلاغـة :

١ ــ التنكير :

التنكير فقد نكر الكتاب المبين ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له ، ومثله في « مقعد صدق عند مليك مقتدر » أما عطفه على القرآن مع أنه هو القرآن نفسه فهو من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى كقولك : هذا فعل السخي والجواد الكريم ولأن المعطوف فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه •

٢ ــ تكرير الضمير :

وفي قوله« وهم بالآخرة هم يوقنون »كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق ، وقد سبق لنا أن ذكرنا أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر في قوله

تعالى : « هم ينشرون » ان معناه لا ينشر إلا هم ، وأما وجه تكراره هنا فهو انه كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطري ذكره ليلية الخبر ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور حيث بقي على حاله مقدماً ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية •

٣ ـ التعبير بالاسمية والفعلية :

قلنا في مواطن من هذا الكتاب إن التعبير يكون أحياناً بالجملة الاسمية وأحياناً بالجملة الفعلية على أن ذلك ليس متروكاً الى الاعتباط وإنما يعدل عن أحد التعبيرين لضرب من التأكيد والمبالغة والاستمرار والانقطاع ، فإن الايمان والايقان بالآخرة أمر ثابت مطلوب دوامه ولذلك أتى به جملة اسمية وجعل خبرها فعلاً مضارعاً فقال « وهم بالآخرة هم يوقنون » للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما المعينة ولذلك أتى بهما فعلين فقال « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » •

الفوائد :

أورد الامام الزمخشري سؤالاً في هذا الصدد بناء على قاعدته الاعتزالية وهو « فإن قلت : كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم • وقد أجاب بقوله : « قلت : بين الاسنادين فرق وذلك أن إسناده الى الشيطان حقيقة وإسناده الى الله عز وجل مجاز ، وله طريقان في علم البيان أحدهما : أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة ، والثاني أن

يكون من المجاز الحكمي ، فالطريق الاول انه لما متعهـم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه اليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم ، واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهـم في قوله « ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر » والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات • وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ، ويعزى الى الحسن •

وقد أجاب أهل السنة بأن هذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في ايجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة ، فمن ثم جعل التزيين الى الله تعالى مجازاً والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفـاز بالصواب ، وتأمـل ميله الى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض ، على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى : « ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » عـلى أن غالب وروده في غير البر كقوله : « زين للناس حب الشهوات » ، « زين للذين كفروا الحياة الدنيا » و « كذلك زين للمسرفين » ومما يبعـد حمله عـلى أعمال البر إضافة الأعمال اليهـم في قوله : أعمالهم ، وأعمال البر ليست مضافة اليهـم لأنهم لـم يعملوهـا قـط فظاهر الاضافة يعطي ذلك ، ألا ترى الى قوله تعالى : « ولما يدخـل الايمان في قلوبكـم » وقوله : « قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » فأطلق الايمان في المكانين عن اضافته اليهم لأنه لم يصدر منهـم ، وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لأنه صدر منهم •

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ
بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ
إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ
ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ
ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ
أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

اللغـــة :

(آنست) أبصرت من بعيد ، ويقال آنست ناراً وآنست فـزعاً وآنست منه رشداً ، فهو يطلق على المادي والمعنوي.

(بشهاب قبس) يقرأ بالاضافة وتركها كما سيأتي في الأعراب ، والشهاب كل مضيء متولد من النار ، وما يرى كأنه كوكب انقض ، والكوكب عموماً ، والسنان لما فيه من البريق ، وجمعه شُهُب وشُهْبان

وشِهْبان وأشْهُب، ويقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً فيها، والقبس بفتحتين النار المقبوسة تقول خذ لي قبساً من النار ومِقْبَساً ومِقباساً واقبس لي ناراً واقتبس ، ومنه ما أنت إلا كالقابس العجلان أي المقتبس ومازورتك إلا كقبسة العجلان ، وتقول ما أنا إلا قبسة من نارك ، وقبضة من آثارك ، وقبسته ناراً وأقبسته كقولك بغيته الشيء وأبغيته ومن المجاز قبسته علماً وخبراً وأقبست .

(تصطلون) : فيه الابدال لأن أصله تصتلون فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الاطباق وهو الصاد قلبت طاء على القاعدة وهو من صلي بالنار بكسر اللام وفي المصباح « صلي بالنار وصليها صَلىً من باب تعب وجد حرها والصلاء بوزن كتاب حر النار وصليت اللحم أصليه من باب رمى : شويته » وفي الأساس : « وصلي النارَ وصلي بها » « يصلى النار الكبرى » وتصلاّها وتصلّى بها وأصلاه وصلاّه ، وشاة مصليّة : مشوية وقد صليتها » .

(جان) : حية خفيفة الحركة ، وقال في القاموس والتاج : « والجانّ اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لاتؤذي كثيرة في الدور » قالوا وهي كبيرة جداً وإن كانت خفيفة في سرعة الحركة .

(ولم يعقب) : ولم يرجع ، يقال عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرار قال :

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب
ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

يصف قوماً بالجبن وانهم إن قيل : هل من معقب وراجع على عقبه للحرب لم يرجعوا إليها ، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها ،

وفي المختار : « وتقول : ولى مدبراً ولم يعقب بتشديد القاف وكسرها أي لم يعطف ولم ينتظر » .

(جيبك) : طوق قميصك وسمي جيباً لأنه يجاب أي يقطع ليدخل فيه الرأس .

(واستيقنتها) : الاستيقان أبلغ من الايقان فلا معنى لقول بعض المفسرين أن السين لمجرد الزيادة .

الاعراب :

(إذ قال موسى لأهله : إني آنست ناراً) كلام مستأنف مسوق لذكر قصص خمس من قصص الأولين الأولى قصة موسى وتليها قصة النمل وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها قصة لوط . والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر وقد تقدم كثيراً تقرير ذلك وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف اليها وموسى فاعل ولأهله متعلقان بقال وجملة إني آنست ناراً مقول القول وان واسمها وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به . وأهله عبارة عن زوجه بنت شعيب وولده وخادمه وذلك عند قفوله من مدين الى مصر ليجتمع بأمه وأخيه في مصر وقيل لم يكن معه غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل وتبعاً لذلك أورد الخطاب بالجمع . (سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) الجملة استئنافية وآتيكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وجاء بسين التسويف للاشارة إلى أنه عائد وإن أبطأ فربما كانت المسافة بعيدة ، ومنها متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لخبر وبخبر متعلقان بآتيكم ، وأو حرف عطف ، وللعدول عن الواو الى أو سر سيأتي في باب البلاغة ، وآتيكم عطف على آتيكم الأولى وبشهاب متعلقان بآتيكم وقبس بدل من شهاب أو

نعت له على تأويله بالمفعول أي شهاب مقتبس من نار وقرىء بالاضافة لأن الشهاب يكون قبساً وغيره كالكوكب فهو من إضافة النوع الى جنسه كخاتم فضة وثوب خز وهي بمعنى من ، ولعلكم تصطلون جملة الرجاء حالية ولعل واسمها وخبرها أي راجياً تأمين الدفء لكم وتوفيره.

(فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) الفاء عاطفة على محذوف للاختصار ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب فاعل نودي ضمير مستتر تقديره هو يعود على موسى ، وأن هي المفسرة لأن في النداء معنى القول دون حروفه والمعنى قيل له بورك ويجوز أن تكون على حالها أي ناصبة للفعل المضارع وقد دخلت على الماضي ، أو مخففة من الثقيلة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن بورك ، وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً لأنها واهنة ، وبورك فعل ماض مبني للمجهول ومن نائب فاعل وفي النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة من أي في مكان النار ، ومن حولها عطف على من في النار والمراد بمن إما الله تعالى على حذف أي قدرته وسلطانه وقيل المراد موسى وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها .

(وسبحان الله رب العالمين) الواو استئنافية وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف والله مضاف اليه ورب العالمين بدل أو نعت . (ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) يا حرف نداء وموسى منادى مفرد علم وان واسمها والهاء إما ضمير الشأن أو راجعة الى ما دل عليه ما قبلها يعني ان مكلمك ، وأنا مبتدأ والله خبر والجملة خبر إن والعزيز الحكيم صفتان . (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولى مدبراً ولم يعقب) الواو حرف عطف وألق فعل أمر مبني على حذف حرف

العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والكلام معطوف على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك وهذا ما يرجح كون أن مفسرة كما تقدم وعصاك مفعول ، فلما الفاء عاطفة على محذوف أي فألقاها فاستحالت حية فلما ، ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وجملة رآها في محل جر بإضافة الظرف اليه ورآها فعل وفاعل ومفعول به وجملة تهتز في محل نصب على الحال لأن الرؤية هنا بصرية ، وكأنها جان كأن واسمها وخبرها والجملة في محل نصب حال ثانية أو هي حال من ضمير تهتز فهي حال متداخلة وجملة ولى لا محل لها ومدبراً حال من فاعل ولى والواو حرف عطف ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعقب فعل مضارع مجزوم بلم • (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) الجملة مقول قول محذوف لا بد من تقديره أي قال تعالى ويا موسى منادى مفرد علم ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وان واسمها وجملة لا يخاف خبرها والجملة تعليلية للنهي عن الخوف ولدي ظرف متعلق بيخاف والمرسلون فاعل • (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع ومن اسم موصول مستثنى في موضع نصب ويجوز أن تكون شرطية فتكون مبتدأ والجملة مستثناة من أعم الأحوال وظلم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ثم بدل عطف على ظلم وحسناً مفعول به وبعد سوء ظرف متعلق بمحذوف صفة لحسناً • (فإني غفور رحيم) الفاء واقعة في جواب « من » على الوجهين وان واسمها وخبراها •

(وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) الواو عاطفة وأدخل عطف على وألق عصاك ويدك مفعول به وفي جيبك متعلقان بأدخل وتخرج فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وفاعل تخرج ضمير مستتر تقديره هي وبيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء

متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل وقد تقدم هذا في « طه » واختار أبو البقاء أن يكون الجار والمجرور حالاً أخرى واختار السمين أن يكون صفة لبيضاء . (في تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) كلام مستأنف وحرف الجر يتعلق بالفعل المحذوف أي اذهب في تسع آيات الى فرعون ، وقدره بعضهم بمحذوف أي مرسلاً فيكون محله النصب على الحال والأول أولى وله نظائر قال :

فقلت الى الطعام فقال منهم ... فريق يحسد الإنس الطعاما

وهناك أقوال متشعبة للمعربين سنوردها في باب الفوائد لصقل الأذهان .

وقومه عطف على فرعون وجملة انهم تعليل للأمر بالذهاب وجملة كانوا خبر إن وقوماً خبر كانوا وفاسقين صفة وقد تقدمت الآيات التسع . (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين) الفاء عاطفة على محذوف وقد تقدم ذلك كثيراً ومبصرة حال وسيأتي معناها في باب البلاغة وجملة قالوا لا محل لها وهذا مبتدأ وسحر خبر ومبين صفة والجملة مقول القول . (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وجحدوا عطف على قالوا وبها متعلقان بجحدوا والواو للحال وقد بعدها مضمرة واستيقنتها أنفسهم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وظلماً مفعول لأجله لأنه علة للجحد أو حال من فاعل جحدوا أي ظالمين مستكبرين . (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) الفاء الفصيحة وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان وعاقبة المفسدين اسم كان والجملة معلقة لانظر عن العمل فهي محل نصب بنزع الخافض لأن انظر بمعنى تفكر .

البلاغــة :

١ ــ استعمال « أو » بدل الواو :

في قوله : « آنست ناراً سآتيكم منهــا بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » آثر « أو » على الواو لنكتة بلاغية رائعة فإن أو تفيد التخيير وقد بنى رجاءه على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم واحــدة منهما وهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار هضماً لنفسه واعترافاً بقصوره نحو ربه ، وقد كانت الليلة شاتية مظلمة وقد ضل الطريق وأخذ زوجته المخاض ، وهذا موطن تزلق فيه أقلام الكتاب الذين لا يدركون أسرار البيان وخاصة في استعمال الحروف العاطفــة والجارة وقد تقدمت الاشارة الى هذا الفن •

٢ ــ المجاز العقلي :

في إسناد الإبصار الى الآيات في قوله « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة » ويجوز أن يكون المجاز مرسلاً والعلاقة السببية لأنها سبب الإبصار وهذا أولى من قول بعضهم إن « مبصرة » اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل عــلى المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر •

الفوائــد :

أقوال المعربين في « في تسع آيات » :

تشعبت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وهي « في تسع آيات الى فرعون وقومه » وقــد اخترنا لك في الاعراب أمثلهــا وأسهلها ،

وسنورد بقية الوجوه لأنها واردة ومعقولة لتشحذ ذهنك وتختار منها ما تراه أدنى الى المنطق فالاعراب منطق قبل كل شيء •

أما الزمخشري فقد اكتفى بالوجه الذي اخترناه في الاعراب قال: « في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ، ولقائل أن يقول: كانت الآيات احدى عشرة اثنتان منها اليد والعصا ، والتسع: الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم » •

وقال أبو البقاء: « في تسع » حال ثالثة ، وأراد بالحالين الأولى والثانية قوله بيضاء وقوله من غير سوء ، والى فرعون متعلقة بمحذوف تقديره مرسلاً الى فرعون ويجوز أن يكون صفة لتسع أو لآيات أي واصلة الى فرعون •

وجعل الزجاج « في» بمعنى « من » وعلقها بألق قال: كما تقول خذ لي من الابل عشراً فيها فحلان أي منها فحلان •

وأما ابن عطية فقد أيّد الزجاج في تعليقها بألق وجعل « في » بمعنى « مع » لأن اليد والعصا حينئذ داخلتان في الآيات التسع وقال: تقديره يمهد لك ذلك وينشره في تسع • وقال آخرون هو كما قال ابن عطية وتكون اليد والعصا خارجتين من التسع •

واختار الجلال أن تتعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة « طه » حيث قال هناك: « تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى » فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع •

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ
وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(منطق الطير) المنطق مصدر نطق ينطق من باب ضرب نَطْقاً ومنطِقاً ونطوقاً أي تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني ، والمنطق الكلام وقد يستعمل في غير الإنسان يقال : سمعت منطق الطير ، وقال البيضاوي : « والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً مفيداً كان أو غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية من حيث

أنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات لا سيما وفيهـا ما يتفاوت بتفاوت الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه » .

وزاد الزمخشري على ما قاله البيضاوي : « وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه باصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم » .

هذا ويبدو أن الأصل الاشتقاقي لكلمة المنطق يظهرنا على الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة فإن الحيوان المفكر هو وحده الحيوان المتكلم وليست اللغة مجرد أداة اصطنعها العقل البشري للتعبير عن أغراضه ومراميه بل هي أيضاً وسيلة الى التجرد عن الأعراض الحسية واصطناع بعض الرموز أو الدلالات المعنوية .

وعلم المنطق هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسده فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء وفي الأحكام كما انه يهتم بالتعرف على المناهـج المختلفة في دراساتهم المتعـددة وأبحاثهم المتباينة ، حقاً ان موضوع المنطق هو التفكـير الانساني بصفة عامة ولكن المنطق لا يقتصر على وصف العمليات الذهنية التي نقوم بها حين نفكر أو نحكم أو نجرد أو تتذكر أو نحل مشكلة بل هو يريد أيضاً أن يعيننا عـلى التمييز بين الحكم الصحيح والحكـم الخاطىء ، بين الاستدلال السليم والاستدلال الفاسد .

وقد اهتم فلاسفة اليونان الأقدمون بدراسة العـلاقة بين صورة الفكر ومادته أي بين الناحية الشكلية للأحكام أو القضايا ومضمون التفكير نفسه فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق ، وهكـذا اهتم سقراط وأفـلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين فوضعا للرد عليهم أصول التفكير الجدلي السليم ، ثم

جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات والقسمة المنطقية وطرق ايراد البرهنة ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم « التحليلات الأولى » وان كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبايعته بأمارة المنطق •

أما في العصور الحديثة فقد ثار كل من بيكون وديكارت على منطق أرسطو بدعوى أنه منطق صوري مجدب • ثم فطن المناطقة أخيرا الى ضرورة تخليص الفكر من سحر الألفاظ وتحريره من سلطان اللغة فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علماً رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية •

(يوزعون) : يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي وسلاف العسكر يعني متقدميهم كما في الصحاح ، وفي المختار : « وزعه يزعه وزعاً مثل وضعه يضعه وضعاً أي كفه فاتزع هو أي كفّ ، وأوزعه بالشيء أغراه به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استلهمته فألهمني والوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وجمعه وزعة ، وقال الحسن : لا بد للناس من وازع أي من سلطان يكفهم ، يقال وَزَعْتُ الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم »•

(نملة) : النمل والنمُل بضم الميم : حيوان حريص على جمع الغذاء يتخذ قرى تحت الأرض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات منعطفة يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء ، الواحدة نملة ونملة للذكر والانثى والجمع نمال •

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة أنه وقف على قتادة وهو يقول : سلوني فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت

ذكراً أم أنثى فلم يجب فقيــل لأبي حنيفة في ذلك فقــال كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة ، قال الزمخشري : « وذلك أن النملة مثــل الحمامة والشاة في وقوعها على المذكر والمؤنث فيميز بينهما بعلامة نحو حمامة ذكر وحمامة أنثى » .

ولا أدري أأعجب منه أم من أبي حنيفة ان يثبت ذلك عنه . وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لأنه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة أنثى كما يقال حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل ، ألا ترى الى قوله عليه الصــلاة والسلام لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء ، كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة ، فحينئذ قوله تعالى « نملة » روعي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء . وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث .

(أوزعني) : ألهمني ، وحقيقته اجعلني أزع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك . وقــد تقدم شرح هذه المادة .

الاعراب :

(ولقد آتينا داود وسليمان علمــاً) الواو استئنافية والكــلام مستأنف للشروع في القصة الثانية وهي قصة داود وسليمان ، واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وآتينا فعــل وفاعل وداود مفعول به وسليمان عطف على داود وعلماً مفعول به ثان . (وقالا الحمد لله الذي

فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الواو حرف عطف وقالا معطوف على مقدر تقديره فعملا بما أعطيا بالقلب بالعزم وعمــلا به بالجوارح بالمباشرة وعملا به باللسان فقالا • والحمد مبتــدأ ولله خبر والجملة مقول القول والذي اسم موصول صفة للــه وجملة فضلنا صلة وعلى كثير متعلقان بفضلنا ومن عباده صفة لكثير والمؤمنين صفــة لعباده • (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطــير) الواو استئنافية وورث سليمان داود فعل وفاعل ومفعول به وقال عطف على ورث ويا أيها الناس تقدم اعرابها وعلمنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل ومنطق الطير مفعول به ثان • (وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) وأوتينا عطف عــلى علمنا ومن كــل شيء متعلقان بأوتينا وإن هذا ان واسمها وهو كلام مستأنف مسوق على سبيل إيراد الشكر والمحمدة واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والفضل خبر إن أو خبر هو والجمــلة خبر إن والمبـــين صفــة للفضـــل • (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطــير فهــم يوزعون) الواو استئنافية وحشر فعل ماض مبني للمجهول ولسليمان متعلقان بحشر وجنوده نائب فاعل ومن الجن والانس والطير حال من جنوده والفاء الفصيحة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر وسيأتي في باب البلاغة ما يرويه التاريخ عن معسكر سليمان •

(حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) حتى حرف غاية لمحذوف تقديره فساروا حتى إذا أتوا ، ويجوز أن يكون غاية ليوزعون لأنه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض حتى اذا أتوا ، وعلى وادي النمل جار ومجرور متعلقان بأتوا وسيأتي سر تعليقه بأتوا في باب البلاغــة ، وجملة قالت نملة لا محل لها ويا أيها النمل تقدم اعرابها وادخلوا مساكنكم فعــل

وفاعل ومفعول به على السعة وسيأتي ما قاله السيوطي في الإتقان عن قول النملة . (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) نهي مستأنف لا تعلق له بما قبله أي لا تكونوا بحيث يحطمونكم ويجوز أن يكون الكلام بدلاً من جملة الأمر مثله وهو ادخلوا مساكنكم . وقد تصدى الزمخشري لهذا التعبير فقال « فإن قلت لا يحطمنكم ما هو ؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر وان يكون نهياً بدلاً من الأمر والذي جوز أن يكون بدلاً منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقه لا أرينك ها هنا » ولا ناهية ويحطمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به وسليمان فاعل وجنوده عطف على سليمان وهم الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر والجملة حالية . (فتبسّم ضاحكاً من قولها) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي فسمع قولها المذكور فتبسم وضاحكاً حال مؤكدة وسيأتي سر ما أضحكه في باب الفوائد ومن قولها متعلقان بضاحكاً . (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي) وقال عطف على فتبسم ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وأوزعني فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به وأن وما في حيزها مفعول ثان لأوزعني لأنه مضمن معنى الإلهام أو نصب بنزع الخافض أي بأن أشكر نعمتك ، والتي صفة لنعمتك وجملة أنعمت صلة وعليّ متعلقان بأنعمت وعلى والدي عطف على عليّ . (وأن أعمل صالحاً ترضاه) جملة معطوفة . (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الواو حرف عطف وأدخلني فعل دعاء وفاعل ومفعول به وبرحمتك متعلقان بمحذوف حال والباء السببية وفي عبادك متعلقان بأدخلني والصالحين نعت لعبادك .

البلاغـة :

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى ندرجها فيما يلي :

١ ــ التنكير وأسراره :

ففي قوله : « وقد آتينا داود وسليمان علماً » التنكير وفائدته إفادة التبعيض والتقليل أو إفادة التعظيم والتكثير ، والثاني هو المراد هنا ؛ فظاهر قوله في ولقد آتينا داود وسليمان علماً في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه كأنه قال علماً أي علم وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستغرب ويستعظم ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات ، على أن كل علم بالاضافة الى علم الله قليل ضئيل •

قصة رائعة :

ونورد هنا قصة مروية جرياً على عادتنا في إدراج القصص المروية لتكون مصدر إلهام للكتاب ومعالم صبح لهم ، قال مقاتل : كان سليمان جالساً في معسكره ، وكانت مساحته مائة فرسخ في مائة ، خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش ، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وابريسم فرسخاً في فرسخ ، فمر به طائر يطوف وفي رواية رأى بلبلاً على شجرة فقال لجلسائه : أتدرون ما يقول هذا الطائر ؟ قالوا : الله ونبيه أعلم قال : يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهدهد فوق شجرة فقال : استغفروا الله يا مذنبون ، وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاوس فقال يقول : كما تدين تدان ، وصاح طيطوى فقال يقول : كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وصاح قمري

فأخبر أنه يقول : سبحان ربي الأعلى ، وقـال الحدأ يقول : كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطـاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه ، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلون ، والنسر يقول : يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت ، والعقاب يقول في البعد من الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان ربي الاعلى .

٢ ــ استعمال حرف الجر :

وقال « حتى إذا أتوا على وادي النمل » فعدّى أتوا بعلى لأن الإتيان كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية فقال :

فلشد ماجاوزت قدرك صاعد ولشدّ ما قربت عليك الأنجم

فقد عنى بالأنجم أبيات شعره ويقول : ما أشد ما تجاوزت قدرك حتى بعثت تسألني المديح ومسألتك إياي مدحك تجاوز منك لقدرك حين طلبت أن تهبط الأنجم من سمواتها لتكون قريبة منك ، وهـذا البيت من أمض الهجاء وأقذعه وهو من قصيدة لأبي الطيب المتني فقد سافر من الرملة يريد أنطاكية فنزل بطرابلس وبها اسحق بن ابراهيـم الاعور بن كيغلغ وكان جاهلاً يجالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة فقالوا له أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ، وجعلوا يغرونه فراسله أن يمدحه فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمـدح أحداً الى مدة ، فعاقـه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ، ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يوماً فهجاه أبو الطيب المتنبي وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج

خرج كأنه يسير فرسه وسار الى دمشق فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فاعجزهم وظهرت القصيدة وأولها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضاً نظرتُ وخلت أني أسلم

ومن أبياته الحكيمة فيها :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى
يققاً يميت ولا سواداً يعصم

والهم يخترم الجسيم نحافةً
ويشيب ناصية الصبيّ ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلقٌ
ينسى الذي يولى وعاف يندم

لا يخدعنّك من عدوّ دمعُه
وارحم شبابك من عدوٍّ ترحم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتّى يراق على جوانبه الدّم

والظلـــم من شيم النفوس فإن تجـد
دا عفـــة فلعـــلـــة لا يظلـــم

ثم تطرق الى هجاء ابن كيغلغ فقال وأقذع :

يحمي ابن كيغلـــغ الطـريق وعرسُه
ما بـين رجليهـــا الطريق الأعظـــم
آقـــم المسالـــح وق شُفْرَ سكينةٍ
إن المـنيّ بحلقتيهـــا خِضْـــرم
وارفق بنفسك إنّ خلقـــك نـــاقص
واستر أبـــاك فإنّ أصلك مظلـــم
واحـــذر مناوأة الرجـــال فإنمـــا
تقوى عـــلى كسر العبيـد وتقـــدم
وغنـــاك مسألة وطيشك نفخـــة"
ورضـــاك فيشلة" وربك درهـــم

ثم يعود الى الحكمة الملائمة فيقول :

ومن البلية عـــذل من لا يرعوي
عن غيّـه وخطـــاب من لا يفهـــم
يمشـــي بأربعـــة عـــلى أعقابـــه
تحت العلـــوج ومن وراءٍ يلجـــم

وجفونـــه ما تستقـــر كأنهـــا
مَطْروفـةٌ أو فُتَّ فيهـا حصـــرم
وإذا أشـــار محـــدثاً فكأنـــه
قـــردٌ يقهقـــه أو عجـــوزٌ تلطـــم
يقـــلى مفارقـــة الأكفِّ قذالـــه
حتى يكـــاد عـــلى يد يتعمّـــم
وتـــراه أصغـــر ما تـــراه ناطقـــاً
ويكون أكـــذب ما يكون ويقســـم
والـــذل يظهـــر في الذليـــل مودةً
وأودُّ منـــه لمـــن يودُّ الأرقـــم
ومن العـــداوة ما ينـــالك نفعـــه
ومن الصـــداقة ما يضـــر ويؤلـــم

والقصيدة كلها من هذا النمط البديع فحسبنا ما أوردناه منها ، ونعود الى ما نحن بصدده فنقول : ويجوز أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا بلغ آخره •

٣ ــ التوليد :

وقد اشتملت الآية « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » على أحد عشر نوعاً من البلاغة يتولد بعضها من بعض وقد ذكرها السيوطي في كتابه « الاتقان » أي قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات والمراد قالته على وجه النصيحة وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعاً من البلاغة :

أولها : النداء بيا .

وثانيها : كنّت بأي .

وثالثها : نبّهت بها التنبيه .

ورابعها : سمّت بقولها النمل .

وخامسها : أمرت بقولها ادخلوا .

وسادسها : نصّت بقولها مساكنهم .

وسابعها : حذرت بقولها لا يحطمنكم .

وثامنها : خصّصت بقولها سليمان .

وتاسعها : عمّمت بقولها وجنوده .

وعاشرها : أشارت بقولها وهم .

وحادي عشرها: عذرت بقولها لا يشعرون .

هذا وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان وبقرة بني اسرائيل :

فما ميت أحيا له الله ميتاً
ليخبر قوماً أنذروا ببيان

وعجفاء قد قامت لتنذر قومها
واهل قراها رهبة الحدثان

الفوائد :

١ ــ ما الذي أضحك سليمان ؟ وانما ضحك سليمان من قول النملة لشيئين :

أولهما : ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا .

وثانيهما : سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قالته النملة وهي مثل في الضآلة والقماءة ، والانسان إذا رأى أو سمع مالا عهد له به ضحك .

٢ ــ الحال المبنية والمؤكدة :

الحال ضربان مؤسسة وتسمى أيضاً مبينة وهي التي لا يستفاد معناها بدونها كجاء زيد راكباً فلا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً، ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها بدون ذكرها ، وهذه تنقسم الى ثلاثة أقسام :

آ ــ مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولاً » فرسولاً حال من الكاف وهي مؤكدة لعاملها وهو أرسلنا لفظاً ومعنى .

ب ــ مؤكدة لعاملها معنى فقط واللفظ مختلف نحو « فتبسم

ضاحكاً » فضاحكاً حال من فاعل تبسم وهي مؤكدة لعاملها معنى فقط لأن التبسم نوع من الضحك واللفظ مختلف .

حـ ــ مؤكدة لصاحبها نحو « لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » فجميعاً حال من فاعل آمن وهو من الموصولة مؤكدة لها . وهناك أقسام أخرى للحال المؤكدة يرجع اليها في المطولات .

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ
(٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ
بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)
أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٢٦)

اللغـــة :

(الهُدْهُد) والهُدَهِد والهُداهِد طائر ذو خطوط وألوان كثيرة الواحدة هُدْهُدَة وهُدَهِدَة وهُداهِدة والجمع هَداهِد

وهَداهيد ، ويقولون أبصر من هدهد لأنهم يزعمون أنه يرى الماء تحت الأرض ، والهَدْ هد أيضاً كل ما يقرقر من الطير والحمام الكثير وستأتي قصته مع سليمان في باب الفوائد •

(فمكث) : بضم الكاف وفتحها والأول من باب قرب والثاني من باب نصر وفي القاموس وغيره : مكث يمكث من باب نصر مَكْثاً ومَكَثاً ومكوثاً ومُكثاناً ومِكِّيثَى ومِكِّيثاء بالمكان أقام ولبث فهو ماكث والاسم المُكث والمِكث ومكث يمكث من باب قرب مَكاثة : لبث ورزن •

(سبأ) : بلاد واقعة جنوب غربي الجزيرة العربية في اليمن ذكرت في كتب العهد القديم وفي مؤلفات العرب واليونان والرومان كانت على جانب عظيم من الحضارة ، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة •

وقال الزمخشري في الكشاف : « سبأ قرىء بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء ، وعن ابن كثير في رواية سبأ بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ، ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرف قال :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وقال :

الواردون وتيم في ذرا سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم » •

معنى ذهبوا أيدي سبا :

هذا ويقال ذهبوا أيدي سبا وفيه لغتان أيدي سبا وأيادي سبا وله حالتان : إما أن تركب الاسمين اسماً واحداً وتبنيهما لتضمن حرف العطف كما فعلوا بخمسة عشر والثانية أن تضيف الأول الى الثاني وموضعهما النصب على الحال والمراد ذهبوا متفرقين ومتبددين ونحوهما، واذا اعترض بأن سبا معرفة قيل بأن تركيبهما طاح بمعنى العلمية وصارا اسماً واحداً ، وأصل هذا المثل أن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد فقيل لكل جماعة تفرقت ذهبوا أيدي سبا ، والمراد بالأيدي الأبناء والأسرة لا نفس الجارحة لأن التفرق وقع بهم واستعير اسم الأيدي لأنهم في التقوى والبطش بهم بمنزلة الأيدي •

(الخبْء) : مصدر بمعنى المخبوء يقال خبأت الشيء أخبؤه خبئاً من باب نفع أي سترته ، والخبء في السموات المطر وفي الأرض النبات •

الاعراب :

(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) كلام مستأنف للشروع في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كانت فيه قصة النمل • وتفقد فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أي سليمان والطير مفعول به فقال عطف على تفقد وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ولي خبره وجملة لا أرى الهدهد حال وأم منقطعة وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على الهدهد

ومن الغائبين خبر كان • (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) اللام موطئة للقسم وأعذبنه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والهاء مفعول به وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صفة أو لأذبحنه عطف على لأعذبنه أو ليأتيني عطف عليه أيضاً وبسلطان متعلقان بيأتيني ومبين صفة • (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الفاء استئنافية ومكث فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الهدهد أو على سليمان وغير بعيد ظرف زمان متعلق بمكث أو على الأصح صفة لظرف محذوف نابت عنه أي وقت غير بعيد أو مكاناً غير بعيد فهو ظرف مكان ، فقال عطف على مكث وهذا يؤيد عودة الضمير الى الهدهد وجملة أحطت مقول القول وبما متعلقان بأحطت وجملة لم تحط صلة وبه متعلقان بتحط وجئتك عطف على أحطت ومن سبأ متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لنبأ وبنبأ متعلقان بجئتك ويقين صفة لنبأ • (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) ان واسمها وجملة وجدت امرأة خبر إني وجملة تملكهم صفة لامرأة وأوتيت الواو عاطفة أو حالية وجملة أوتيت إما معطوفة على جملة تملكهم وساغ عطف الماضي على المضارع لأن المضارع بمعنى الماضي أي ملكتهم وإما حالية من فاعل تملكهم وقد مقدرة ومن كل شيء متعلقان بأوتيت أو بمحذوف هو مفعول أوتيت الثاني والتقدير أيضاً من كل شيء ولها خبر مقدم وعرش مبتدأ مؤخر وعظيم صفة •

(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) جملة وجدتها بدل من وجدت امرأة فهي داخلة في حيز الخبر ووجدتها هنا تتعدى لواحد لأنها بمعنى لقيتها والهاء مفعول به وقومها عطف على الهاء أو

مفعول معه وجملة يسجدون حال من مفعولها وما عطف عليه وللشمس متعلقان بيسجدون ومن دون الله حال • (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) الواو حرف عطف وزين فعل ماض ولهم متعلقان به والشيطان فاعله وأعمالهم مفعوله فصدهم عطف على زين وعن السبيل متعلقان بصدهم ، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يهتدون خبر • (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) يجب حذف النون في الرسم اتباعاً لسنة المصحف وأن هي حرف مصدري ونصب ولا زائدة والمعنى أن يسجدوا ، وهذا المصدر المؤول معمول لقوله لا يهتدون لكن بنزع الخافض وهو الى والمعنى فهم لا يهتدون الى السجود وعلى هذا الاعراب لا يصح الوقوف على يهتدون ، ويجوز أن يكون المصدر بدلاً من أعمالهم والتقدير وزين لهم الشيطان أعمالهم عدم السجود ، ويجوز أن يكون بدلاً من السبيل ، وقرىء بتخفيف ألا فهي حرف تنبيه واستفتاح ويا حرف نداء والمنادى محذوف واسجدوا فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطاً لما سقطت لفظاً ووصلوا يا بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما ترى فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً واختلفتا تقديراً وسيأتي بحث اختلاف النحويين في « يا » الداخلة على فعل أو حرف في باب الفوائد • ولله متعلقان بيسجدوا والذي موصول نعت لله وجملة يخرج الخبء صلة وفي السموات والأرض متعلقان بالخبء أي المخبوء في السموات أو بيخرج على أن « في » بمعنى « من » أي يخرجه من السموات والأرض • (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) ويعلم عطف على يخرج فهو داخل في حيز الصلة وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله وما موصول مفعول به وجملة تخفون صلة وما تعلنون عطف على

ما تخفون . (الله لا إلـه إلا هو رب العرش العظيم) كلام مستأنف مسوق للثناء على عرش الله العظيم بعد الالماع الى عرش بلقيس وبينهما بون" عظيم .

البلاغـة :

جناس التصريف :

في قولـه « وجئتك من سبأ بنبأ يقـين » جناس التصريف وهو اختلاف صيغة الكلمتين بابدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب من مخرجه وهو من محاسن الكلام المتعلقـة باللفظ شريطة أن يأتي جارياً مع الطبع بعيداً عن التكلف محتفظاً بصحة المعنى ، ولقـد جاء هنا زائداً على الصحة فحسن ورق" ، ألا ترى أنه لو قال بخبر بدلاً من بنبأ لصح المعنى واستقام ، ولكنه جاء منغوماً عذب الجرس لاتفاق سبأ ونبأ وقد تقـدم مثله في قوله بسورة الانعـام « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

الفوائـد :

١ ــ قصة سليمان والهدهد :

وجرياً على عادتنا نورد إحدى الروايات المذكورة عن قصة سليمان والهدهد لما فيها من جـذور قصصية وتمهيداً للنابغـين الملهمـين من كتاب القصص :

روي أن سليمان حين فرغ من بنـاء بيت المقدس تجهز للحـج

حشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كلّ يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ؛ ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه أي دليله الهادي وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتفقده لذلك ، وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً آخر واقعاً فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد وتحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر الى الدنيا كالقصعة ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلاً فانقضّ العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال بحق الذي قواك وأقدرك إلا ما رحمتني فتركه وقال ويلك ثكلتك أمك ، إن نبيّ الله قد حلف ليعذبنك قال : وما استثنى نبي الله ؟ قال بلى قال : أو ليأتيني بسلطان مبين فقال : نجوت إذن ، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض متواضعاً لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه اليه فقال : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد : أحطت بما لم تحط به الخ ...

نكتة بيانية :

قال الزمخشري : « فإن قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه

على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان ؟ قلت : لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الأمور ، يعني إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية » •

٢ ــ من هي بلقيس ؟ :

أما بلقيس فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس ابن صيغي بن سبأ وقال ابن الكلبي : كان أبوها من عظماء الملوك وستأتي قصتها وذكر الحريري فيدرة الغواص :

ان صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لأن كل أعجمي يعرب فقياسه أن يلحق بأمثلة كلام العرب وعلى ذلك بلقيس ، وفي أخبار سيف الدولة ان الخالديين مدحاه فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشام فكتبا اليه :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً
إلا ومالك في النوال حبيس
خولتنا شمساً وبدراً أشرقت
بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ أتانا ، وهو حسنا يوسف
وغزالة هي بهجة ، بلقيس

هـــذا ولـم تقنــع بذاك وهــذه
حتى بعثت المــال وهــو نفيس

أتت الوصيفــة وهي تحمــل بدرة
وأتى عــلى ظهــر الوصيف الكيس

وكسوتنا مــا أجــادت حوكــه
مصـــر وزادت حسنه تنيـــس

فغــدا لنا من جــودك المأكول والــ
ـمشروب والمنكــوح والملبــوس

فلما قرأها سيف الـدولة قـال : أحسنا إلا في لفظ المنكوح إذ لبست مما يخاطب بها الملوك . هذا وقد كانت قصة بلقيس وصرحها الممرد مصدر إلهام للشعراء : فقد أورد البحتري ذلك كله في قصيدة له يمدح بها المتوكل ويذكر بناء البركة المشهورة ومنها :

يا من رأى البركــة الحسناء رؤيتهــا
والآنســات إذا لاحــت مغانيهــا

بحسبهــا أنهــا في فضل رتبتهــا
تعــدّ واحــدة والبحــر ثانيهــا

كــأن جن سليمــان الــذين ولوا
إبداعهــا فأدقــوا في معانيهــا

فلـــو تســر بهـــا بلقيس عن عَرْض
قالت هي الصـــرح تمثيـــلاً وتشبيهاً

٣ ــ سجدات القرآن :

وعلى ذكر قوله « ألاّ يسجدوا لله » أن أبا حنيفة والشافعي اتفقا على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا في سجدة « ص » فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج .

٤ ــ قصة سيل العرم وتفرق العرب أيادي سبا :

ونورد هنا بعض الاساطير المروية للطرافة والفائدة :

وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب الذين مزقهم الله كلّ ممزّق وسمي سبأ لأنه أول من سبى السبي وقيل سبأ اسم أمهم ومأرب اسم بلدهم ، وكانت سبأ من أحسن بلاد الله وأخصبها وأكثرها شجراً وماء وقد ذكر الله أنها كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر في شهر للمجدّ الراكب يسير في جنـان من أولهـا إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء ، فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، وكانت في بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم في دفع السيل فأجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف المـاء واتخـذ سداً في موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجاري للماء في استدارة

الذراع فإذا جاء السيل تصرف في المجاري الى جناتهم ومزروعاتهم بتقدير يعمهم نفعه ، وذكر الأعشى في شعره أن حميراً بنته فقال :

رخام بنته لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم
وأروى الزروع وأعنابهم على سعة ماؤهم قد قسم
فعاشوا بذلك في غبطة فحاق بهم جارف منهدم

ولما انتهى الملك الى عمرو بن عامر مزيقياء وسمي بذلك لأنه كان يمزق كل ليلة حلة كبراً من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمي بذلك لأنه مزق الأزد في البلاد ، وكان أخوه عمران كاهناً فأتته كاهنة تدعى ظريفة فأخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وأنذرته ، فجمع أهل مأرب وعمل لهم طعاماً فأخبرهم بشأن السيل فأجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه إني أصف لكم بلداناً فاختاروا أيتها شئتم فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة ، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الأوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والأمر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهي من أرض الشام فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والأوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الأزد وتخلف مالك بن اليمان في قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد

حروب فنزلوا بجبال الشراة على تخوم الشام فلما تفرقت البلاد هـذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا •

* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(أفتوني) : أشيروا عليّ والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السنّ والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم كما ذكرنا فيما حـدث لها من الرأي والتدبير • وفي الأساس : « وفلان من أهل الفتوى والفتيا وتعالوا ففاتونا ، وتفاتوا إليه : تحاكموا ، قال الطرماح :

هلمّ إلى قضـاة الغوث فاسأل ... برهطك والبيان لـدى القضاة

أنخ بفناء أشدقَ من عـديّ ... ومن جرْمٍ وهم أهل التفاتي

وقال عمر بن أبي ربيعة :

فبتّ أفاتيهـا فلا هي ترعوي بجود ولا تبدي إباء فتبخـلا

أي أسائلها » .

هذا ويجوز ضم الفاء وفتحها كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة قال: « قالوا: فتوى وفتيا وبقوى وبقيا وثنوى وثنيا ورعوى ورعيا ».

(أولو قوة) : اسم جمـع بمعنى أصحاب ، والواحد ذو بمعنى صاحب وقيل جمع ذو على غير لفظه وقد تقدم أنها من الملحقات بجمع المذكر السالم والمؤنث أولات وواحدتها ذات تقول : جاء أولو العلم وأولات الفضل .

الاعراب :

(قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ عن حكاية الهدهد وجملة سننظر مقول القول والهمزة للاستفهام وصدقت فعـل وفاعـل وأم متصلة معادلة للهمزة وكان واسمها ومن الكاذبين خبرها وعدل عن الفعل المطابق لما قبله الى الاسم لنكتة بلاغية تقدمت الاشارة اليها أكثر من مرة . وهي جعله واحد من الفئة الموسومة بالكذب . (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهـم فانظر ماذا يرجعون) لا بد من تقـدير كلام محذوف لتتناسق حوادث القصة أي ثم دلهم عـلى المـاء فاستخرجوه وارتووا وتوضئوا وصلوا ، ثم كتب سليمان كتاباً هذه صورته : من عبد الله

سليمان الى بلقيس ملكة سبأ ، بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ثم ختمه بخاتمه ، ثم قال للهدهد : اذهب ، فالجملة مقول قول محذوف ، واذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبكتابي متعلقان باذهب وهـذا نعت لكتابي أو بدل منه ، فألقه الفاء عاطفة وألقه فعل أمر وفاعـل مستتر ومفعول به وانهـم متعلقان بألقه ثم حـرف عطف وتول فعـل أمر عـلى حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقـديره أنت وعنهم متعلقان بمحذوف حال أي متجاوزاً إياهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ، فانظر عطف على تول ، وماذا يرجعون : في هذا التعبير وجهان :

أولهمـا : أن تكون انظر بمعنى تأمـل وتفكر فتكون ماذا اسم استفهام في محـل نصب مفعول مقـدم ليرجعون تقـديره أي شيء يرجعون ، أو تجعل ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذي خبر ما وجملة يرجعون صلة ذا والعائد محذوف تقديره أي شيء الذي يرجعونه ، وعلى كلا التقديرين فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل وهو انظر بالاستفهام فمحلها النصب على نزع الخافض أي انظر في كذا وفكر فيه .

وثانيهما : أن تكون انظر بمعنى انتظر من قوله تعالى : « انظرونا نقتبس من نوركم » فتكون ماذا كلها اسم موصول وهو أحد أوجه مـاذا التي ستأتي في باب الفوائـد وهي مفعول به أي انتظر الـذي يرجعونه وجملة يرجعون صلة والعائد محذوف كما تقدم والمعنى ماذا يردون من الجواب أو ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول .

(قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتابٌ كريم) لا بد من تقدير كلام محذوف روعي في حذفه الايجاز وتقديره كما قال مقاتل : « حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها وسيأتي مزيد من الروايات في تقدير هذا المحذوف . وإني إن واسمها وجملة ألقى خبرها وإليّ متعلقان بألقي وكتاب نائب فاعل وكريم صفة وسيأتي سر هذا الوصف في باب البلاغة .

(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال مقدر كأنهم قالوا ممن هو ؟ وما هي منطوياته ؟ فقالت أنه من سليمان وان واسمها ومن سليمان خبرها وانه الواو عاطفة وان واسمها وجملة البسملة خبرها وقد تقدم اعراب البسملة في صدر هذا الكتاب . (ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) أن مفسرة والمفسر كتاب لتضمنه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتعلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وعليّ متعلقان بتعلوا ويجوز أن تكون أن مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف أي مضمونه أن لا تعلوا أو في محل نصب بنزع الخافض أي بأن لا تعلوا ، وأتوني الواو عاطفة وائتوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به ومسلمين حال . (قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري) أفتوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية

والياء مفعول به وفي أمري متعلقان بأفتوني • (ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) ما نافية وكنت قاطعة كان واسمها وخبرها وأمراً مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتشهدون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وعلامة نصب حذف النون والنون الموجودة نون الوقاية وياء المتكلم المحذوفة مفعول به • (قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) جملة نحن مقول القول ونحن مبتدأ وأولو خبر وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وقوة مضاف اليه وأولو بأس شديد عطف على ما تقدم • (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) الواو حرف عطف والأمر مبتدأ وإليك خبر أي موكول إليك ونحن مطيعون لك ، فانظري الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن مقدر كأنما تصوروا أنهـا قد تكون راغبة في القتال أو أنهم راغبون فيه فإن أردت ذلك وعزمت على خوض الحرب فنحن أبناء بجدتهاوانظري أي فكريوماذا اسم استفهاموقدتقدم اعرابها وستأتي وجوهها وهي هنا في محل نصب مفعول مقدم لتأمرين والاستفهام معلق للنظر •

البلاغــة :

في هذه المحاورة التي جرت بين بلقيس وبين الملأ من قومها وفي الوصف لكتاب سليمان بعد ذكر العنوان والتسمية فنون عديدة نورد أهمها فيما يلي :

١ ــ الاشارة :

وهذا الفن سبقت إليه الاشارة في هذا الكتاب وقد فرعه قدامة

من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه فقال : هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد فإنها تشير بحركة واحدة الى أشياء كثيرة ، والفرق بينه وبين الايجاز أن الايجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له وألفاظ الإشارة لمحة خاطفة دالة ، فدلالة اللفظ بالإيجاز دلالة مطابقة ودلالة اللفظ في الاشارة إما دلالة تضمن أو دلالة التزام ، والدلالة هنا دلالة تضمن ، فقد وصفت كتاب سليمان بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو لأنه مختوم ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كرم الكتاب ختمه » وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به .

وروي أنها كانت راقدة وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل الهدهد من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وقالت لقومها ما قالت .

٢ ــ الايجاز :

في قولهم : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين » ايجاز عجيب فهو أولاً يدل على تعظيم المشورة وتعظيم بلقيس أمر المستشار ، وهو ثانياً يدل على تعظيمهم أمرها وطاعتها وفي قولهم « والأمر إليك » وقولهم « فانظري ماذا تأمرين » إيجاز يسكر الألباب ، قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

في كتابه إعجاز القرآن : « فإن الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز ، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه » الى أن يقول : « وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد وإذا اختصر كمل في بابه وجاد واذا سرح الحكيم في جوانبه طرف لخاطره وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه لم يقع إلا على محاسن تتوالى وبدائع تترى » .

الفوائد :

عقد ابن هشام في المغنى فصلاً لـ « ماذا » نلخصه فيما يلي ونعرب أمثلته :

تأتي ماذا في العربية على أوجه :

١ ـ أن تكون ما استفهامية وذا اشارة نحو ماذا التواني ؟ ماذا الوقوف ؟ فما اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والتواني بدل أو عطف بيان أي : أي شيء هذا التواني ؟

٢ ـ أن تكون ما استفهامية وذا موصولة كقول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي أم ضلال وباطل

فما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة يحاول صلة والهمزة للاستفهام ونحب بدل من ما .

٣ ـ أن يكون ماذا كله استفهاماً على التركيب كقولك لماذا جئت وقولـــه :

يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى الديرين تحنانا

فماذا اسم استفهام مركب مبتدأ وبال نسوتكم خبر .

٤ ـ أن يكون مــاذا كله اسم جنس بمعنى شيء أو موصــولاً بمعنى الذي على خلاف تخريج قول الشاعر :

دعي مـــاذا علمـت سأتقيه ولكـــــن بالمغيّب نبئيني

فالجمهور على أن ماذا كله مفعول دعي ثم اختلف فقيل موصول بمعنى الذي وقيل نكرة بمعنى شيء وهناك وجهان ذكرهما ابن هشام ولم نر حاجة اليهما لأنهما لا يقعان في فصيح الكلام .

قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

الاعراب :

(قالت ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) كلام مستأنف مسوق للرد على مستشاريها أي لم ترض بما أشاروا به وهو خوض الحرب بل مالت للسلام وعقد الصلح وعللت ذلك بقولها إن الملوك ... وكأنها تلمع لهم بسوء مغبة الحرب وعواقبها المخيفة وآثارها الكثيرة . فإن واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دخلوا في محل جر بإضافة الظرف اليها وقرية مفعول به على السعة وجملة أفسدوها جواب شرط غير جازم لا محل لها وجملة الشرط وجوابه خبر ان . (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) الواو عاطفة وجعلوا فعل وفاعل وأعزة أهلها مفعول جعلوا الأول وأذلة مفعول جعلوا الثاني وكذلك الواو عاطفة لأن ذلك من جملة كلامها وكذلك نعت لمصدر محذوف تقدمت له نظائر ، أرادت هذه عاداتهم المستمرة وديدنهم الثابت . (وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) ان واسمها ومرسلة خبرها واليهم متعلقان بمرسلة وبهدية متعلقان بمرسلة أيضاً فناظرة عطف على مرسلة وبم الباء حرف جر وما الاستفهامية المحذوف ألفها في محل جر بالباء والجار والمجرور بيرجع ولا يجوز تعلقها بناظرة كما أعربها الحوفي لأن الاستفهام له الصدر،فلا يعمل ماقبله فيه وإلا خرج عما ثبت له ، وللمفسرين كلام طويل في هذه الهدية لا يحتمل ذكرها صدر هذا الكتاب ، ويرجع المرسلون فعل وفاعل والجملة مفعول به لناظرة .

(فلما جاء سليمان قال : أتمدونن بمال) الفاء عاطفة على محذوف لا بد من تقديره فأعدت الهدية مع رسول بكتاب وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة • ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وجاء سليمان فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو أي الرسول وسليمان مفعول به وجملة قال لا محل لها والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتمدونن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة مفعول به وبمال متعلقان بتمدونن أي تعاونونني بالمال • (فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) الفاء حرف تعليل لما تقدم من انكاره عليهم وتوبيخه إياهم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتاني صلة وآتاني الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وخير خبر ما وبل حرف اضراب انتقالي لبيان السبب الذي حداهم الى امداده بالمال وأنتم مبتدأ وبهديتكم متعلقان بتفرحون وجملة تفرحون خبر • (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) الخطاب لأمير الوفد وارجع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واليهم متعلقان بارجع وقيل الخطاب للهدهد محملاً إياه رسالة اخرى والفاء استئنافية واللام موطئة للقسم ونأتينهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والميم علامة جمع الذكور وبجنود متعلقان بنأتينهم ولا نافية للجنس وقبل اسمها المبني ولهم خبر وبها متعلقان بقبل لتضمنه معنى المصدر لأن حقيقته المقابلة والمقاومة ، يقال : مالي به قبل أي طاقة ويقال لي قبل فلان دين أي عنده ، وأتاني من قبله أي من

عنده ، فتكون بمعنى المصدر وبمعنى الظرف • (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ولنخرجنهم عطف على فلنأتينهم ومنها متعلقان بنخرجنهم والضمير يعود الى سبأ أي بلادهم وأذلة حال وهم الواو حالية وهم مبتدأ وصاغرون خبر والجملة حال ثانية من الهاء في لنخرجنهم •

البلاغة :

الايجاز :

في هذه الآيات ايجاز بليغ يحسن بنا أن تتدبره لأن المدار فيه على المعاني دون الألفاظ فرب لفظ قليل ينطوي على معنى كثير وقد تقدم معنا أن الايجاز قسمان أحدهما ايجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد وايجاز بالقصر ، وفي هذه الآيات ايجاز بالحذف وهو قوله « بم يرجع المرسلون » ثم قوله « فلما جاء سليمان » فقد حذف هنا ما لو أظهر لظهر الكلام غثاً لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن ، لأن الخاطر قد يذهب كل مذهب ، وقد يترك العنان للخيال ليجول في آفاق لا نهاية لها ليتصور الهدية التي أعدتها مما يتولى الشرح إظهاره . فقد روي أن بلقيس كانت امرأة عاقلة لبيبة قد ساست الأمور، وسبرت أغوار الناس وكانت تعرف أن سليمان لو كان نبياً لترفع عن أخذ الهدية ولو كان ملكاً لأخذها ، فأحبت أن تتأكد من هذه المسألة ، وروي أيضاً أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج ومحلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك أي اناث الخيل في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً

بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها وهما المنذر بن عمرو وآخر ذا عقل ورأي ثم قالت للمنذر : إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنّك أمره وان رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي ، فأقبل الهدهد فأخبر سليمان بما تم فأمر سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فربطوها عن يمين الميدان ويساره وأمر أولاد الجن وهم خلق كثير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم ، فقالت هو نبي وما لنا به من طاقة وتجهزت الى المسير الى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثنى عشر ألف قيل أي ملك وهو بفتح القاف سمي قيلاً لأنه ينفذ كل ما يقول ، الى أن قربت منه على فرسخ فشعر بها .

هذا والهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى اليه ، تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو اهديت اليه والمضاف اليه في قوله « بل أنتم بهديتكم » هو المهدى اليه .

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠

ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ
أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا
عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾
قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ
قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ
مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

اللغة :

(عفريت) : العفريت : الخبيث المنكر والنافذ في الأمر مع دهاء وذلك من الانس والجن والشياطين وجمعه عفاريت ومؤنثه عفريتة والعفرية مثله وقد قرىء به ويقال رجل عفرية وعفر وعفير إذا كان صحيحاً شديداً موثق الخلق أخذ من عفر الأرض وهو التراب أي من علق به من عفره بالأرض ، ومنه ليث عفرين أي ليث ليوث معفر فريسته ، قال الخليل ، رجل عفار بين العفارة إذا وصف بالشيطنة ،

والعفير أيضاً الظريف الكيس ، ويقال للشيطان عفريت وعفرية وفي الحديث « إن الله ليبغض العفريت النفريت » قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدي دخل رجل عظيم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : متى عهدك بالحمى قال : ما أعرفها قال فبالصداع قال : ما أدري ما هو قال : أفأصبت بمالك قال لا قال : أفرزئت بولدك قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليبغض العفريت النفريت وهو الذي لا يرزأ .

(الصرح) : قال في الكشاف : الصرح : « القصر وقيل صحن الدار » وأصله من التصريح وهو الكشف ، وكذب صراح أي ظاهر مكشوف ، ولؤم صراح ، ولبن صريح أي ذهبت رغوته وخلص ، وعربي صريح من عرب صرحاء : غير هجناء ، وكأس صُراح : لم تمزج ، وصرحت الخمرة : ذهب عنها الزبد ، ولقيته مصارحة : مجاهرة ، وصرح النهار : ذهب سحابه وأضاءت شمسه ، قال الطرماح في وصف ذئب :

إذا امتلّ يعدو قلت ظلّ طخاءة
ذرَى الريح في أعقاب يوم مصرّح

(ممرّد) : الممرّد : المملّس وسيأتي سر بنائه في باب الفوائد ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي نعومته لعدم وجود الشعر به وفي القاموس: « التمريد في البناء التمليس والتسوية وبناء ممرد : مطول والمارد المرتفع والعاتي » .

(قوارير) : في المصباح : « القارورة إناء من زجاج والجمع القوارير والقارورة أيضاً وعاء الرطب والتمر وهي القوصرة وتطلق

القارورة على المرأة لأن الولد أو المني يقر في رحمها كما يقر الشيء في الإناء أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها ، قال الأزهري : والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة » وفي القاموس « والقارورة حدقة العين وما قر فيه الشراب أو نحوه أو يخصّ بالزجاج ، وقوارير من فضة أي من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج » •

الاعراب :

(قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) فاعل قال سليمان والخطاب لكل من هو عنده من الجن والانس وغيرهما ، وأيكم مبتدأ وجملة يأتيني بعرشها خبر والظرف متعلق بيأتيني أيضاً وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف اليه ومسلمين حال• (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال فعل ماض وعفريت فاعل ومن الجن صفة وأنا مبتدأ وجملة آتيك به خبر والظرف متعلق بآتيك ومن مقامك متعلق بتقوم أي قبل أن تبارح مجلسك الذي تجلس فيه للقضاء من الغداة الى منتصف النهار • (وإني عليه لقوي أمين) الواو عاطفة وان واسمها وعليه متعلقان بقوي واللام المزحلقة وقوي خبر وأمين خبر ثان أي قوي على حمله أمين به لا أختلس منه شيئاً ولا أعبث به • (قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) لا بد من تقدير محذوف على طريق الايجاز كما تقدم وهو قال سليمان أريد أن يتم ذلك في أسرع وقت • وقال فعل ماض والذي فاعل والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعلم مبتدأ مؤخر ومن الكتاب صفة لعلم والجملة صلة الموصول وأنا مبتدأ وجملة آتيك به خبر والجملة مقول القول وتقدم اعراب الباقي وسيأتي معنى ارتداد الطرف في باب البلاغة • (فلما رآه مستقراً

عنده قال هذا من فضل ربي) الفاء عاطفة علـى محذوف يقدر بحسب المقام ويروى أن آصف بن برخيا وهو الذي عنـده علم من الكتاب المنزل قال لسليمان مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك فمـد سليمان عينيه ونظر نحو اليمين ودعا آصف بالعلم الذي لديه فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبغ بمجلس سليمان ، ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة ورآه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ومستقراً حال لأن الرؤية بصرية أي ثابتاً والظرف متعلق بمستقراً وجملة قال لا محل لها من الاعراب وهذا مبتدأ ومن فضل ربي خبر •

(ليبلوني أأشكر أم أكفر) اللام للتعليل ويبلوني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام التعليل وفاعـل يبلوني يعود على ربي والياء مفعول وأأشكر الهمزة للاستفهام وأشكر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وجملة أأشكر بدل من الياء في يبلوني فهو بمثابة المفعول به وأم أكفر عطف علـى أأشكر • (ومن شكر فإنمـا يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وشكر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان حرف مشبه بالفعل و مامصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر اسم ان أي فإن ثواب شكره ، ولنفسه هو الخبر وفعل الشرط وجوابه خبر من ومن كفر فإن ربي غني كريم جمـلة معطوفه على الجملة السابقة مماثلة لها في الاعراب • (قال : نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) نكّروا فعل أمر والواو فاعل ولها متعلقان بنكروا وعرشها مفعول به أي غيّروه ، وننظر فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وقرىء بالرفع على الاستئناف وجملة أتهتدي في محل نصب على المفعولية لأن الاستفهام علق ننظر عن العمل

وأم حرف عطف معادلة للهمزة وتكون فعل مضارع ناقص معطوف على أتهتـدي واسمها مستتر تقـديره هي ومن الذين خبر تكون وجملة لا يهتدون صلة الذين . (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) الفاء عاطفة على محذوف اقتضاه الايجاز كما تقدم ، أهكـذا : الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر للتشبيه وذا اسم اشارة في محل جر بالكاف والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر ، والأصل اتصال هاء التنبيه باسم الاشارة فكان مقتضاه أن يقال أكهذا عرشك ؟ وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً ، فلو قلت أبهذا أمرت أو ألهذا فعلت ؟ لم يجز فيه ذلك الفصل،فلا يجوز أن تقول أها بذا أمرت ، وأها لذا فعلت ؟ وسيأتي السر في الاتيان بكاف التشبيه وعدم الاكتفاء بالقول أهذا عرشك في باب البلاغة . قالت : فعل وفاعل مستتر تقديره هي يعود على بلقيس وكأنـه هو وكأن واسمها والضمـير هو خبرها وسيأتي السر في عـدولها عن مطابقة الجواب للسؤال في باب البلاغة أيضاً .

(وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) الواو عاطفة عـلى كلام محذوف للايجاز أي لما سمعوا قولها كأنه هو قالوا أصابت في الجواب فقال سليمان : وأوتينا وهو فعـل ماض مبني للمجهول ونا نائب الفاعل والعلم مفعول أوتينا الثاني ومن قبلها متعلقان بأوتينا وكنا الواو عاطفة وكان واسمها ومسلمين خبرها ، ويحتمل أن يكون وأوتينا من كلام بلقيس فالضمـير في قبلها راجـع للمعجزة والحالة التي دل عليها سياق الكلام والمعنى وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة والأول أرجح . (وصدّها ما كانت تعبد من

دون الله إنها كانت من قوم كافرين) من جملة كلام سليمان أو من كلام الله ، وصدها فعل ماض ومفعول به وما موصول فاعل وجملة كانت صلة واسم كانت مستتر تقديره هي وجملة تعبد خبر ومن دون الله حال ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وصدّها عبادة الشمس عن الاسلام وجملة إنها تعليل للصد عن الاسلام وعبادة غير الله ، وان واسمها وجملة كانت خبرها واسم كانت هي ومن قوم خبرها وكافرين صفة وقرىء أنها بالفتح على انه بدل من فاعل صدها أو نصب بنزع الخافض • (قيل لها ادخلي الصرح) قيل فعل ماض مبني للمجهول والجملة مستأنفة وجملة ادخلي الصرح مقول القول والصرح مفعول به على السعة وستأتي قصة الصرح في باب الفوائد • (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) الفاء عاطفة على محذوف للايجاز أي فدخلته ، لما حينية أو رابطة وجملة حسبته لامحل لها والهاء مفعول به أول ولجة مفعول به ثان وكشفت عن ساقيها عطف على حسبته • (قال إنه صرح ممرد من قوارير) إن واسمها وصرح خبرها وممرد صفة ومن قوارير صفة ثانية أي إن الذي ظننته ماء فوقه هو صرح ممرد أي مسقف بسطح فمن أراد مجاوزته لم يحتج الى تشمير ثيابه • (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) رب منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وان واسمها وجملة ظلمت نفسي خبرها وأسلمت عطف على ظلمت ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال أي كائنة مع سليمان وإنما قدر حالاً لأن تعليقه بأسلمت يوهم اتحاد اسلاميهما في الزمان ، ولله متعلقان بأسلمت ورب العالمين بدل من الله أو صفة له •

البلاغـة :

١ ـ الكناية في ارتداد الطرف :

في قولـه : « قبـل أن يرتد اليك طرفك » كناية عن الاسراع ، والطرف هو تحريك أجفانك إذا نظرت ، فوضع موضع النظر ، ولمـا كان الناظر موصوفاً بإرسال الطـرف وصف برد الطـرف ووصف الطرف بالارتداد وعليه قوله :

وكنـت إذا أرسلـت طرفك رائـــداً
لقبلـك يومـــاً أتعبتـك المنـــاظر
رأيت الـــذي لاكـــله أنت قـــادر
عليـــه ولا عن بعضـــه أنت صـــابر

وهذان البيتان لأعرابية نظرها أعرابي فخاطبها بشعر يسألها عن أحوالهـا ومحاسنها كأنـه يراودها عن نفسها فأجابته بذلك وقيـل هو لشاعر حماسي ، وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام الركب يتعرف لهـم مكان الخصب عـلى طريق الاستعارة التصريحية ورائداً ترشيح للاستعارة ويوماً ظرف له .

٢ ـ السر في التشبيه :

وفي قوله «كأنه هو» تشبيه مرسل عدلت إليه عن مقتضى السؤال ، ومقتضاه أن تقول: هو هو لسر دقيق جداً وذلك ان «كأنه» عبارة من قرب الشبه عنده حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول هو هو ،

وتلك حال بلقيس ولما كانت هكذا هو عبارة جازم بتغاير الامرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها •

٣ ــ التجنيس :

وهو تآلف الكلمتـــين في تأليف حروفهما وهو هنا في قولـه « وأسلمت مع سليمان » •

الفوائـد :

١ ــ قصة الصرح :

هذا ونلخص ما يروى من قصة الصرح لانها قصة شعرية مجنحة الخيال فقد روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صـــدره فجلس عليه ، فلما رأت اللجــة فزعت وظنت أنه قصد إغراقها وتعجبت من كون كرسيه على الماء ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فكشفت عن ساقيها والمقصود من ذلك كله اختبار عقلهـا وارهاصها بالمعاجز لا ما يروى انه قيل له انهـا شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار مما لا يتلاءم ووقار النبوة وترفعها عن الصغائر •

٢ ــ هل تزوج سليمان بلقيس ؟ :

قيل تزوجها بعد ذلك وأقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له ، وقيل بل زوجها ذاتبع من ملوك اليمن ويقال لهم الأذواء لأن أعلامهم تصدر بكلمة (ذو) والمراد صاحب هذا الاسم •

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ
فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ
لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ
ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ
أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

اللغـــة :

(اطّيرنا) : وتطـيرنا : تشاءمنا والطائر هنـا : ما تيمنت به أو تشاءمت والمقصود هنا الثاني ، كان الرجل يخرج مسافراً فيسر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن وإن مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير أو الشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد ، وقد مر هذا في سورة الاعراف فجدد به عهداً .

(المدينة) : البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن إذا قـام فيه فهي فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهي مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له خضعت له وأطعت ويقال للأمة مدينة لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

ثوت وثوى في كرمهـا ابن مـدينة
يظـل عـلى مسحاته يتوكـل

وفي معاجم اللغة : مدن بالمكان يمدُن من باب نصر مُدوناً أقام وهو فعل ممات ومدن المـدينة أتاها ومدّن المـدائن بالتشديد بناها ومصّرها ، وتمدّن تخلق بأخلاق أهل المدن وانتقـل من الهمجية الى حالة الانس والظرف ، وتجمع المدينة على مُدْن بسكون الدال ومدن بضمها ومدائن ، والمدينة علم أطلق عـلى يثرب ومدينة السلام بغـداد والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيهـا ايوان كسرى وسميت بالجمع لكبرها والنسبة اليها مدائني •

(رهط) : الرهط قوم الرجل وقبيلته وعدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهـم امرأة ، ولا واحـد له من لفظه وجمعه أرْهُط وأرهاط وجمع الجمع أراهط وأراهيط ، وإذا أضيف الى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس نحو عشرون رهطاً ، أي شخصاً ، ويقال نحن ذوو رهط أي مجتمعون وفي المصباح « الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهـم امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها وهو جمـع لا واحد له من لفظه وقيل الرهط من سبعة الى عشرة وما دون السبعة الى الثلاثة نفر وقال أبو زيد : الرهط والنفر ما دون العشرة من الرجال

وقال ثعلب أيضاً : الرهط النفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم وهو للرجال دون النساء وقال ابن السكيت : الرهط والعترة بمعنى ويقال : الرهط ما فوق العشرة الى الاربعين قاله الأصمعي ونقله ابن فارس أيضاً ورهط الرجل قومه وقبيلته الأقربون » وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الاعراب .

الاعراب :

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله) كلام مستأنف مسوق لتقرير القصة الثالثة أو الرابعة إذا استقلت قصة النمل عن قصة سليمان وبلقيس ، وهي قصة صالح . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل ماض وفاعل والى ثمود متعلقان بأرسلنا وأخاهم مفعول به وصالحاً بدل من أخاهم أو عطف بيان وأن مصدرية وهي ومدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ويصح كونها مفسرة لأن الارسال يتضمن معنى القول واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به . (فإذا هم فريقان يختصمون) الفاء عاطفة واذا فجائية تقدم القول فيها وهم مبتدأ وفريقان خبر وجملة يختصمون نعت لفريقان على المعنى نحو قوله تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » لأن كل فريق يضم جماعة . (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفه لدخول الجار ، والجار والمجرور متعلقان بتستعجلون وبالسيئة متعلقان بتستعجلون وقبل الحسنة ظرف متعلق بمحذوف حال والمراد بالسيئة العذاب وبالحسنة الرحمة كما سيأتي . (لولا تستغفرون الله لعلكم

ترحمون) لولا حرف تحضيض بمعنى هلا وتستغفرون الله فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعوله ولعلكم ترحمون لعل واسمها والجملة خبرها . (قالوا اطّيرنا بك وبمن معك) اطيرنا فعل ماض وفاعل وأصله تطيرنا ادغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل للتوصل الى النطق بالساكن لأن المدغم ساكن دائماً ، وبك متعلقان باطيرنا وبمن عطف على بك ومعك ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة من والجملة مقول قولهم .

(قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) طائركم مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف هو الخبر والجملة مقول قوله وبل حرف اضراب فقد أضرب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وأنتم مبتدأ وقوم خبر وجملة تفتنون نعت لقوم. (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) الواو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وفي المدينة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وتسعة اسمها المتأخر ورهط مضاف اليه وسيأتي بحث تمييز العدد مفصلاً في باب الفوائد وجملة يفسدون صفة لتسعة ولا يصلحون عطف على يفسدون، وسيأتي سر قوله ولا يصلحون في باب البلاغة . (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) تقاسموا فعل أمر أي احلفوا ، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً كأنه قيل: ما قالوا ؟ فقيل : تقاسموا ، ويجوز أن يكون مع فاعله جملة في محل نصب على الحال أي قالوا متقاسمين باضمار قد والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف ، لنبيتنه : اللام واقعة في جواب القسم ونبيتنه من البيات ، وقد تقدم معناه في مكان آخر ، فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر

تقديره نحن والهاء مفعول به أي لنباغتنه ليلاً ، وأهله الواو عاطفة وأهله معطوف على الهاء ويجوز أن يعرب مفعولاً معه فتكون الواو للمعية . (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) ثم حرف عطف للتراخي واللام موطئة للقسم ونقولن تقدم اعراب مثيلتها ولوليه متعلقان بنقولن أي الذين لهم ولاية دمه ، ومهلك مفعول به وهو إما مصدر ميمي أو اسم زمان أو اسم مكان وقرىء بضم الميم وفتح اللام على أنه من الرباعي وأهله مضاف اليه وإنا الواو عاطفة أو حالية وإنا ان واسمها واللام المزحلقة وصادقون خبر إن .

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون) الواو عاطفة ومكروا فعل وفاعل ومكراً مفعول مطلق ومكرنا مكراً عطف على الجملة السابقة والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر . (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين) الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مكرهم المبيت وتآمرهم الدنيء فإن البيات مما يستكره ، ويروى عن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر أي من عادته وطرائقه. وكيف خبر كان المقدم وعاقبة اسم كان المؤخر والجملة في محل نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بانظر المعلقة عن العمل بالاستفهام وإنا جملة مستأنفة ولذلك كسرت همزة إنا وقرىء بفتحها على أن المصدر بدل من العاقبة أو خبر لمبتدأ محذوف وان واسمها وجملة دمرناهم خبرها وأجمعين تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه أي صالح وأهله المؤمنين به وكانوا كما يروى أربعة آلاف . (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) الفاء عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها مقررة لها وتلك مبتدأ وبيوتهم خبر

وخاوية حال من بيوتهم والعامل فيها معنى الاشارة وبما ظلموا متعلقان بخاوية وما مصدرية والباء للسببية أي بسبب ظلمهم وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسمها ولقوم صفة لآية وجملة يعلمون صفة لقوم • (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) فعل وفاعل ومفعول به وجملة آمنوا صلة وكانوا يتقون عطف على آمنوا فهو في حيز الصلة وكان واسمها وخبرها •

البلاغـة :

١ ـ التمام أو التتميم :

في قولـه « ولا يصلحون » فن التمام كما سماه قدامة في نقد الشعر وابن رشيق في العمدة وابن عساكر في الصناعتين ، أو التتميم كما سماه الحاتمي ، وقد تقدم ذكره في البقرة والنحل ، ونعيد تعريفه مختصراً هنا وهو أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه في ذاته أو في صفاته ولفظه تام فإن قوله « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض » شأنهم الإفساد البحت وقد كانوا كما يروى عتاة غلاظاً وهم الذين أشاروا بعقر الناقة لمراغمة صالح وإثارة حفيظته ومنهم قدار بن سالف المشهور بالشؤم وقد تقدم ذكره ، ولكن قوله يفسدون في الأرض لا يدفع أن يندر منهم أو من أحدهم بعض الصلاح فتمم الكلام بقوله « ولا يصلحون » دفعاً لتلك العذرة أن تقع أو أن يخالج بعض الاذهان شك في أنها ستقع وبذلك قطع كل رجاء في اصلاح أمرهم وحسن حالهم •

٢ ـ المشاكلة :

في قوله « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً » فن المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته لأن الله تقدس عن أن يستعمل في حقه المكر ، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة وهو كثير في القرآن ومنه « تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك » والله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة النفس ، أما مكرهم فهو ما بيتوه لصالح وما انتووه من إهلاكه وأهله ، وأما مكر الله فهو إهلاكهم من حيث لا يشعرون على سبيل الاستعارة المنضمة الى المشاكلة ، فقد شبه الاهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء لأن حقيقة المكر هو الايقاع بالآخرين قصداً وعن طريق الغدر والحيلة ، وقد تقدمت قصة اهلاكهم في الشعب .

الفوائد :

١ ـ تمييز العدد :

مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما إن كان اسم جنس وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء كشجر وتمر ، أو اسم جمع وهو ما دل على الجمع وليس له مفرد من لفظه كقوم ورهط جُرّ بمن ، تقول ثلاثة من التمر أكلتها وعشرة من القوم لقيتهم وتسعة من الرهط صحبتهم ، قال تعالى : « فخذ أربعة من الطير » وقد يجر بإضافة العدد إليه فاسم الجمع نحو الآية المتقدمة « وكان في المدينة تسعة رهط » وفي الحديث : « ليس فيما دون خمس ذود صدقة » وقال الشاعر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود ... لقد جار الزمان على عيالي

والذود من الابل ما بين الثلاث الى العشرة وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها كما في الصحاح ، والأنفس جمع نفس وهي مؤنثة وإنما أنّث عددها وكان القياس تذكيره لأن النفس كثر استعمالها مقصوداً بها الانسان ، أما اسم الجنس فكقول جندل بن المثنى :

كأن خصييه من التـدلـدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظـل

فحنظل اسم جنس مجرور بالاضافة على حد تسعة رهط ، هذا ويروي بدل التدلدل التهـدل وهو أولى ويروى سحق جراب وخص العجوز لأنها لا تستعمـل الطيب حتى يكون في ظرفهـا ما تتزين به والبيت من أقذع الهجاء .

وان كان مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما جمعاً جر باضافة العدد اليه نحو ثلاثة رجال وثلاث إماء ، ويعتبر التذكير والتأنيث مع اسمي الجمع والجنس بحسب حالهما باعتبار عود الضمير عليهما تذكيراً وتأنيثاً فيعطى العدد عكس ما يستحقه ضميرهما ، فإن كان ضميرهما مذكراً أنث العـدد وإن كان مؤنثاً ذكر ، فتقول في اسـم الجنس ثلاثة من الغنـم عندي بالتاء في ثلاثة لانك تقول غنم كثير بالتذكير للضمير المستتر في كثير ، وروى صاحب المصباح أنه يجوز في غنم تذكير ضميره وتأنيثه ، وثلاث من البط بترك التاء مـن ثلاث لأنك تقول بط كثيرة بالتأنيث للضمير المستتر في كثير ، وثلاثة أو ثلاث من البقر لأن ضمير البقر يجوز فيه التذكير والتأنيث وذلك أن في البقر لغتين التذكير والتأنيث ، قال الله تعالى : « إن البقر تشابه علينا » بتـذكير الضمير وقرىء تشابهت بتأنيثه ، وأما اسم الجمع فحكمه حكم المذكر إن كان لمن يعقل كالقوم

والرهط والنفر وان كان لما لا يعقل فحكمه حكم المؤنث كالجامل والباقر . هذا ما ذكره النحاة ولكن فيه نظراً لأن نسوة اسم جمع وحكمه حكم المؤنث باتفاق فيقال ثلاث نسوة ، والتذكير والتأنيث مع الجمع يعتبران بحال مفرده فان كان مفرده مذكراً أنث عدده وإن كان مؤنثاً ذكر عدده فلذلك تقول ثلاثة اصطبلات جمع اصطبل بقطع الهمزة المكسورة وثلاثة حمامات لأن الاصطبل والحمام مذكران ، وتقول ثلاث سحابات بترك التاء اعتباراً بالسحابة فهي مؤنثة ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه حتى يقال ثلاث طلحات بترك التاء ، ولا يعتبر حال معناه حتى يقال ثلاث أشخص بتركها أيضاً يريد نسوة لأن الشخص يقع على المذكر والمؤنث ، بل ينظر الى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره فيعكس حكمه في العدد فأما قول عمر بن أبي ربيعة :

فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فضرورة وكان القياس فيه ثلاثة شخوص بالتاء ولكنه كنى بالشخوص عن النساء والذي سهل ذلك قوله : « كاعبان ومعصر » فاتصل اللفظ بما يعضد المعنى المراد وهو التأنيث ، والكاعب الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والمعصر بضم الميم وكسر الصاد الجارية أول ما أدركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب كما قال الخليل . هذا وقد جمح بنا عنان القول فحسبنا ما تقدم أوردناه لاهميته وفائدته ولا بد من الرجوع الى المطولات لمن أراد المزيد .

٢ ــ اعلم أنهم قد كسروا شيئاً من الأسماء لا على الواحد المستعمل بل نحملوا لفظاً آخر مرادفاً له فكسروه على ما لم يستعمل فمن ذلك رهط وأراهط قال الشاعر :

يـا بؤس للحـرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

وليس القياس في رهط أن يجمع على أراهط لأن هذا البناء من جموع الرباعي وما كان على عدته نحو جعفر وجعافر وجدول وجداول وأرنب وأرانب . وليس أرهط بجمع رهط اذ لو كان كذلك لم يكن شاذاً ويدل على ذلك أن الشاعر قد جاء به لما احتاج اليه قال :

وفاضـح مفتضـح في أرهُطِـه من أرفع الوادي ولا من بُعثُطه

والبُعثط والبعثوط : سُرّة الوادي وخير موضع فيه .

هذا وقد اختلف النحويون في أراهط ، فزعم قوم منهم أنه جمع أرهط الذي هو جمع رهط وهو النفر من ثلاثة الى عشرة ، وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رهط على خلاف القياس.والبيت مطلع قصيدة لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد الشاعر وبعده :

والحـرب لا يبقـى لجـا حمهـا التخيـل والمـراح

إلا الفتى الصبـار في النـ ـجدات والفرس الـوقاح

والنثـرة الحصـداء والـ ـبيض المكلّـل والرمـاح

وتساقط الأوشـاظ والـذ نبات إذ جهـد الفضـاح

والكــــر بعــد الفـــر إذ كـــره التقــدم والنطــــاح
كشفت لهــم عــن ســـاقها وبدا مــن الشـــر الصراح

لفظ الآيين في شعر أبي نواس :

وردت في باب الاعراب كلمة الاسكندر وفيها يقول : ليس من آيين الملـــوك استراق الظفــر ، ونحب أن نورد أبياتاً لأبي نواس استعمل فيها كلمة الآيين فجــاءت خفيفة ظريفة رغم غرابتها ، قال أبو نواس يصف ما جرى له في دير نهراذان :

بدير نهــراذان لي مجلســـ وملعب وســـط بساتينـه
رحت إليـــه ومعـي قينــة تـزوره يـــوم سعانينــه
بكــلّ طلاب الهــوى فاتك قــد آثر الدنيا عــلى دينـه
حتـى توافينــا الى مجلســ تضحــك ألــوان رياحينــه
والنرجـــس الغض لدى ورده والورد قــد خفّ بنســرينه
وجيء بالــدن عــلى مرفــع وخاتم العلـــج عــلى طينـه
وطاف بالكــأس لنا شــادن يدميــه مس الكف من لينــه
يكــاد مــن اشراق خديه أن يختطف الابصـــار من دونه
فلـــم يزل يسقي ونلهــو به ونأخـــذ القصف بآيينـــه

حتى غدا السكران من سكره كـالميت في بعض أحايينه

فقوله نأخذ القصف بآيينه أي برسومه وقوانينه وشروطه .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لذكر القصة الخامسة والأخيرة من قصص السورة، ولوطاً مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر أو أرسلنا، فإن جعلته اذكر كانت إذ ظرفاً لما مضى من الزمان متعلقاً باذكر ، وان جعلته أرسلنا كانت إذ بدل اشتمال من لوطاً وجملة قال مجرورة بإضافة الظرف اليها ، ولقومه جار ومجرور متعلقان بقال ، والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتأتون فعل مضارع والواو فاعل والفاحشة مفعول به والجملة مقول القول ، وأنتم الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة تبصرون خبر أنتم والمراد بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة ومع ذلك

تفعلونها • (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وكرر التوبيخ زيادة في التقبيح واستسماج هذه الفعلة الشنعاء المخالفة لنواميس الطبيعة ، وسيرد في باب الفوائد بحث عن هذه الميول الجنسية الشاذة التي لا يبلغ كنه قبحها ، وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تأتون الرجال خبرها وشهوة مفعول لأجله أو حال من الفاعل أو المفعول ومن دون النساء متعلقان بمحذوف حال من الفاعل • (بل أنتم قوم تجهلون) بل حرف اضراب وأنتم مبتدأ وقوم خبر وتجهلون صفة لقوم • (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجواب قومه خبر كان المقدم وإلا أداة حصر وأن قالوا مصدر مؤول في موضع الرفع اسم كان المؤخر وجملة أخرجوا مقول القول وهو فعل أمر وفاعل وآل لوط مفعول به ومن قريتكم متعلقان بأخرجوا وإنهم تعليل لإخراجهم وان واسمها وأناس خبرها وجملة يتطهرون صفة أي يتنزهون عن هذا العمل القذر • (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) الفاء عاطفة على مقدر محذوف يفهم من السياق أي فخرج لوط بأهله من أرضهم بعد أن أحس بمكرهم وكيدهم وتربصهم الدوائر• وأنجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه وإلا أداة استثناء وامرأته مستثنى وجملة قدرناها حال وقدرناها فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن الغابرين متعلقان بقدرناها أي الباقين في العذاب • (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) الواو عاطفة وأمطرنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأمطرنا ومطراً مفعول به ، فساء الفاء عاطفة وساء فعل ماض للذم ومطر المنذرين فاعل •

الفوائـد :

النرجسية والشذوذ الجنسي :

يرجـع الفلاسفة المحدثون ظواهر الشذوذ في غرائز الجنس الى النرجسية ، ولهذا كان لابد من أن نشرح هـذه النرجسية كما يفهمها المحللون النفسيون :

كان اليونانيون الأقدمون يطلقون اسم نرجس على فتى من فتيان الأساطير بارع الحسن ساحر الشمائل يفتن من يراه ويشقي بجمالـه وتيهـه قلوب العـذارى الخفرات ، فـلا يلتفت إليهن ولا يستجيب لضراعتهن ، ولم يزل كـذلك حتى ضجت السماء بدعـــاء عاشقاته وصلواتهن الى الأرباب أن يصرفوهن عنه أو يصرفوه عنهن واستجابت « نسسي » ربة القصاص والجزاء الى هذا الدعاء فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه ويلقى منهـا الشقاء الذي تلقـاه منه عاشقاته ، قال رواة الأساطـير : فما هو إلا أن ذهب يشـرب من ينبوع صاف حتى لمح بصورته في مائه فوقف عندها يعجب من جمالها وأذهلته الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقاً الى الماء ليتملّى تلك الصورة ويرتوي من النظر إليها فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقاً ولا تزيده اللهفة إلا هزالاً وذبولاً حتى فني ، وذهبت عرائس الماء تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غـير نرجسة مطرقة ترنو الى الماء ولا ترفع بصـرها الى السماء ، فالنرجس أبداً مطرق مفتوح العـــين لا يشبع من النظر الى خياله عـلى حوافي الجداول والغدران . وهناك روايات أخرى حول هذه الأسطورة تمثل الصدى والحذر والسبات لا تخرج عن هذا الفحوى وتلحق بما تنطوي

عليه آفة النرجسية من الغرائزأو من الميول والأحاسيس ولهذاوقع عليها اختيار المحللين النفسيين فلم يجدوا اصطلاحاً أوفق منها لأعراض تلك الظاهرة النفسية مع عراقة الاصطلاح في اللغة اليونانية التي يختارونها لابتداع الأسماء الجديدة في العلوم ، وأول من أدخل هذا المصطلح في الطب النفسي الدكتور هافلوك اليس رائد المباحث الجنسية المشهور، ثم توسّع الأطباء النفسيون في دراسة هــذه الآفة وتتبعوا أعراضها ولوازمها واستقصوا ما هو من لوازمهــا الأولية وما هو من لوازمها الثانوية أو التبعية ، وتعنينــا هنا من شعابهــا التي تتصــل بدراسة المنحرفين شعبتان :

١ ــ تسمى إحداهما الاشتهاء الذاتي .

٢ ــ تسمى ثانيتهما التوثين الذاتي .

فالاشتهــاء الذاتي يغلب عــلى الحالات الجسدية التي تقترن باختلال وظائف الجنس في صاحبها ويبلغ من اختلال هذه الوظائف أن المصاب به يمني إذا أطال النظر الى بدنه عارياً في المرآة وما إليها وأنه يشتهي بدنه كأنه بدن إنسان غريب عنه ولكنهــا شهوة يبالــغ فيها المريض .

والتوثين الذاتي يغلب على الحالات العاطفية والفكرية ، فيتخذ المصاب به من نفسه وثناً يعبــده ويعزه ويدللــه ، فلازمــة التلبيس والتشخيص لاغنى في الشذوذ الجنسي ، وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوية ، فالشاذ في حب جنسه أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ويقضي مأربه ، أما الذي يشتهي بدنه فليس في وسعه أن يقضي

مأربه منه بغير الاحتيال لـذلك بالتلبيس والتشخيص ، فهو يلبس شخصيته شخصاً آخر يتوهم أنه هو ذاته أو يحل محلّ ذاته وكما يفعل جالد عميرة حين يضع أمامه صورة .

هذا ومن المفيد أن يرجع الذي يتوق الى معرفة تطور النظريات في مسائل الجنس الى الكتب المؤلفة في هذا الصدد فهي تلقي أضواء على المشكلة ولكنها لا تحلها ، لأنها كلها لم تنته الى تهوين الفوارق بين الجنسين ولا إلى زعم الزاعمين أن الانسان مزدوج الجنسين مختلط الذكورة والأنوثة بطبيعته ، وأن الشذوذ الجنسي فيه فطرة عامة تتخذ أطوارها على حسب العمر من الطفولة الى تمام النمو في الجنسين كما يقول فرويد ومتبعوه .

وقد صور أبو نواس وهو قطب من أقطاب النرجسيين هذه الأطوار خير تمثيل وهو يغشى معاهد الدرس على هذا المثال في عرفه بقوله :

إذا ما وطىء الأمر د للعلم حصى المسجد
فقل حلّ لنا عقداً من الفقه واستفسد
فإن كان عروضياً فقولوا سجد الهدهد
وإن أعجبه النحو فهـا ذاك له أجود
وإن مال الى الفقه فللفقه له أفسد
وان كان كلامياً فحرّك طرف المقود
وميله الى الخير ففيه قرب ما يبعد

وخـــذه كيفمـــا شئت ـ اقتضاباً أو عـلى موعـد
وقـل : هـــذا قضاء اللــــــه هـل يدفع أو يجحـد

وانتهى مصرحاً :

فيا من وطىء المسجـــد من ذي بهجـــة أغيـد
أنا قست عــــلى نفسي فهــذا الأمر لا أجحـد

وننتهي من هذا البحث وقد كان أمراً لا بد منه وإن لم يكن هذا موضعه .

تصحيح رواية بيت في الكشاف لأبي نواس :

ذكر الزمخشري في كشافه بصدد الحديث عن قوم لوط قال : « ... كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنـين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعـة ومجانة وانهماكاً في المعصية وكأن أبا نواس بنى عـلى مذهبهم قوله :

وبح باسم ما تأتي وذرني من الكـــنى
فلا خـير في اللـــذات من دونهـا ستر

وصواب الرواية « وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى » البيت وهو من قصيدة رائعة أولها :

ألا فاسقني خمراً وقـل لي هي الخمر
ولا تسقني ســـراً إذا أمكن الجهر

وبعد البيت :

فعيش الفتى في سكرة بعــــد سكرةٍ
فإن طـــال هـــذا عنده قصـــر العمر

وبعــــــده :

وما الغــــرم إلا أن تراني صاحيـــاً
وما الغنـــم إلا أن يتعتعني الســكر

ولا نمرّ بك دون أن نقف عند البيت الأول فقد قال « وقل لي هي الخمر » وقد يبدو هذا حشواً للوهلة الأولى ولكن القارىء إذا ذكر أن للانسان خمس حواس علم أن أبا نواس قصد أن يشرك حاسة السمع التي تظل محرومة من لذة الخمر حال شربها فطالب ندمانه أن يخاطبه باسمها ليشرك حاسة سمعه وهذا من أعاجيب فطنته .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

اللغــــة :

(حدائق) : جمع حديقة أي بستان من أحدق بالشيء أحاط به ، ولما كان البستان محوطاً بالحيطان سمي حديقة وإلا فلا يسمى بها ، وفي المصباح : « والحـديقة البستان يكون عليـه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لأن الحائط أحدق بهـا أي أحاط ، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة عـلى البستان وإن كان بغير حائط والجمـع الحدائق » وفي الصحاح : « الحديقة : كل بستان عليه حائط » ومن أقوالهم : « ورد عليّ كتابك فتنزهت في آنق رياضه ، وبهجة حدائقه » .

الاعراب :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) كلام مستأنف مسوق لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بحمده تعالىٰ وبالسلام عـلى

المصطفين الأخيار من خلقه وكأن هذا الحمد براعة استهلال لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية والعلم والقدرة التي سيرد ذكرها وذلك بعد أن فرغ من قصص هذه السور الخمس • وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت أي يا محمد ليكون نموذجاً يتأسى به كل كاتب وخطيب ويحتذى على مثاله في كل علم مفاد ، والحمد مبتدأ ولله خبره وسلام مبتدأ سوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء وعلى عباده خبر والـذين صفة لعباده وجمـلة اصطفى صلة والعائد محذوف أي اصطفاهم وهم المؤمنون المتأهلون للـدنيا والآخرة • (آلله خـير أم ما يشركون) الهمزة للاستفهام والله مبتدأ وخير خبر وأم عاطفة وما اسم موصول واقع على آلهتهم وجملة يشركون صلة • (أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) أم منقطعة لفقدان شرطها وهو تقدم همزة الاستفهام وهي بمعنى بل والإضراب بمعنى التبكيت والتوبيـخ ومن مبتـدأ وجمـلة خلق السموات والأرض صلة وخبر من محذوف تقديره خير أم ما يشركون فيقدر ما أثبت في الاستفهـام الأول تعويلاً عليه وهـذا ما اختاره الزمخشري وهو جميل متناسب مع الكلام ، وقال أبو الفضل الرازي : « لا بد من إضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة : أمن خلق السموات والأرض كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر فيها كقوله تعالى : أفمن يخلق كمن لا يخلق » و لانرى خلافـاً بينـاً بين الوجهين • وأنزل عطف على خلق ولكم حال ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به والفاء عاطفة وأنبتنا عطف على ما تقدم على طريق الالتفات، وسيأتي في باب البلاغة ، وبه متعلقان بأنبتنا وحدائق مفعول به وذات بهجة صفة لحدائق وسوغ إفراده أن المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل •

(ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) الجملة نعت ثان لحدائق أو حال منها لتخصصها بالصفة ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولكم خبر كان المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وتنبتوا فعل مضارع منصوب بأن والواو فاعل وشجرها مفعول • (أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى النفي وإله مبتدأ وساغ الابتداء به لإفادته بسبب الاستفهام ومع الله ظرف متعلق بمحذوف خبر وبل حرف اضراب معناه التبكيت ، وقد تكرر هذا التعبير خمس مرات كما سترى ، وهم مبتدأ وقوم خبر وجملة يعدلون صفة • (أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً) تقدم إعراب هذا التركيب فقس عليه ، وقراراً مفعول جعل الثاني ، وجعل خلالها أنهاراً عطف على الجملة الأولى ، وخلالها يجوز أن يكون ظرفاً لجعل بمعنى خلق المتعدية لواحد وأن يكون في محل المفعول الثاني على أنها بمعنى صيّر وعلى الوجه الأول يكون قراراً حالاً • (وجعل لها رواسي) جملة معطوفة • (وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الجملة معطوفة على ما تقدم وقد تقدم إعرابها • (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) تقدم إعرابها وجملة دعاه في محل جر بإضافة الظرف اليها والمضطر اسم مفعول ، وطاؤه أصلها تاء الافتعال • (ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون) تقدم إعرابها ، وقليلاً نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف وما زائدة لتقليل القليل وتذكرون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والواو فاعل • (أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر) تقدم إعرابها • (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) تقدم اعرابها أيضاً • (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض) تقدم اعرابها أيضاً • (أإله مع الله

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) إن شرطية وجوابها محـذوف تقديره فهاتوا برهانكم ، وقد قدمنا أن قوله أإلـه ذكر خمس مرات وختم الأول بقوله « بل هم يعدلون » وختم الثاني بقوله « بل أكثرهم لا يعلمون » والثالث بقوله : « قليلاً ما يذكرون » والرابع بقوله : « تعالى الله عما يشركون » والخامس بقوله « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

البلاغـة :

الالتفات في قوله : « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » بعد قوله « أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء » فقـد انتقل في نقل الإخبار من الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا ، والسر فيه تأكيد اختصاص فعل الإنبات بذاته تعالى وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف وما يبدو فيها من تزاويق الألوان وتحاسين الصور ، ومتباين الطعوم ، ومختلف الروائح المتفاوتة في طيب العرف والأريج كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق وهو الله وحده ، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك «ما كان لكم أن تنبتوا شجرها» وقد أدرك أبو نواس هذه الحقيقة فقال :

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثـار ما صنـع المليك
عيون من لجـين شاخصات ... بأظـار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن اللـه ليس لـه شريك

هل تاب أبو نواس ؟ :

هـذا ولعلك تعجب من هـذه الأبيات تنضح بالإيمان العميق وتصدر عن رجل كأبي نواس لم يظلمه الذين اتهموه ولم تعوزهم الأدلة على اتهامه بالفساد ولكنهم ظلموا الفلسفة فظنوها مدرجة المطلعين عليها الى الزندقة ومذاهبها ، ولا زندقة هنا عند أبي نواس ولا مذهب غير المجون وحب الظهور ، ولقد كان ابراهيم النظام من أعلم أهل زمانه بما يسمونه علوم الأوائل وكان أبو نواس يحضر عليه فينهاه عن التبذل ويذكره بالوعيد ويقول له : إن من ترقب وعد الله فعليه أن يحذر وعيده ، فلا يرعوي عن لغوه ومجونه حتى يئس منه فطرده من مجلسه ، فنظم فيه قصيدته التي اشتهرت بالابراهيمية ومطلعها مشهور متداول :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وفيها يسخر من النظام :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

لا تحظر العفو إن كنت امرأً حرجاً
فإن حظرك بالدين إزراء

فأبو نواس لم يكن سوى ماجن مستهتر وقد كان المجون في

عرف بيئته هو الظرف ، نصح له الأمير أبو العباس محمد أن يتوب عن المجون ، فقال له : أما المجون فما كل أحد يقدر أن يمجن وإنما المجون ظرف ولست أبعد فيه عن حد الأدب أو أتجاوز مقداره ، أما المعاصي فإني أثق فيها بعفو الله عز وجل وقوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » وقد تلقف أبو نواس أضاليل المرجئة وقولهم : « لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلاً ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً » فنادى بذلك ويظهر أنه استهواه :

ترى عندنا ما يسخط الله كله
من العمل المردي الفتى ما خلا الشركا

ثم عدل نظريته بعض الشيء فاكتفى بالقول إن الكبائر لا تسلك صاحبها مع الكفار ولا تحرمه الرجاء بعفو الله وقوله مشهور في ذلك :

تكثر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ رباً غفورا
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ومن ذلك قوله :

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

على أنه تاب في أخريات عمره ، وقد نستشف من أشعاره التي نظمها في تلك السن المشارفة على النهاية صدق توبته ، فقال معترفاً بتأخيرها بعد فوات حينها :

دب فيّ الفناء سفلاً وعلوا وأراني أموت عضواً فعضوا

ذهبت شرّتي وجـدة نفسي | وتذكرت طاعـــة الله نضوا
ليس من ساعة مضت بي إلا | نقصتني بمرهـــا لي جزوا
لهف نفسي على ليـــال وأيا | م سلكتهـن لعبـــاً ولهوا
قد أسأنا كـــل الإساءة يا | رب فصفحاً عنا إلهي وعفوا

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ
أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون) شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين والنحاة وخاضوا فيها كثيراً وسنختار هنا أسهل أقوالهم على أن نورد في باب الفوائد جميع ما قيــل حولها لما في ذلك من رياضة ممتعــة للذهن . والجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم وقد سألوه عن وقت قيام الساعة ، ف «لا»

نافية ويعلم فعل مضارع ومن اسم موصول فاعل يعلم وفي السموات والأرض صلة من ، أي لا يعلم الذي ثبت واستقر وسكن في السموات والارض والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء بمعنى لكن اشارة الى أن الاستثناء منقطع والله مبتدأ خبره محذوف تقديره يعلم ويصح أن تكون من في محل نصب مفعول به والغيب بدل اشتمال منها والله فاعل يعلم والمعنى قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السموات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى والواو عاطفة وما نافية ويشعرون فعل مضارع وفاعل وأيان اسم استفهام بمعنى متى وهي منصوبة بيبعثون ومعلقة ليشعرون عن العمل فالجملة المؤلفة منها ومما بعدها في محل نصب بنزع الخافض أي ما يشعرون بذلك . (بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون) بل حرف اضراب انتقالي وقال الجلال هي بمعنى هل وهو غريب بالرغم من أن شراح الجلال قالوا ان طريقة الجلال أسهل من الطرق التي سلكها غيره ، وادارك فعل ماض أي لحق وتتابع ، وأورد الزمخشري اثنتي عشرة قراءة لها ، وعلمهم فاعل وفي الآخرة متعلقان بادارك أو بعلمهم وادارك وإن كان ماضياً لفظاً فهو مستقبل معنى لأنه كان حتماً كقوله « أتى أمر الله » ، بل حرف اضراب انتقالي أيضاً وهم مبتدأ وفي شك خبر ومنها صفة لشك وبل حرف اضراب انتقالي أيضاً وهم مبتدأ ومنها متعلقان بعمون وعمون خبر هم ، والعمى هنا عمى القلب ، والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها .

(وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون) الواو للعطف وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة الذين والهمزة للاستفهام الانكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة

كنا في محل جر بإضافة الظرف اليها وكان واسمها وتراباً خبرها وآباؤنا عطف على اسم كان وسوغ العطف عليه الفصل بالخبر والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً وإن واسمها واللام المزحلقة ومخرجون خبر إن والجملة تأكيد للجملة الأولى • (لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) الجملة تأكيد ثان للجملة السابقة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ووعدنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل وهذا مفعول به ثان لوعدنا ونحن تأكيد لنا وآباؤنا عطف على الضمير البارز في وعدنا وسوغ العطف تأكيده بالضمير المنفصل والفصل بالمفعول الثاني ومن قبل متعلقان بوُعدنا والظرف مبني على الضم لانقطاعه على الإضافة لفظاً لا معنى أي من قبل مجيء محمد من الرسل السابقين ، وهنا لا بد من تقدير حذف اقتضاه الإيجاز فلو كان الموعود به حقاً لحصل وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وأساطير خبر هذا والأولين مضاف إليه •

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) سيروا فعل أمر معناه التهديد لهم على التكذيب والتحذير من أن ينزل بهم ما حاق بالمكذبين من قبلهم وفي الأرض متعلقان بسيروا ، فانظروا عطف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة المجرمين اسم كان المؤخر • (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) الواو عاطفة على قل و لاناهية وتحزن فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت وعليهم متعلقان بتحزن ولا تكن عطف على لا تحزن واسم تكن مستتر تقديره أنت وفي ضيق خبر ومما صفة لضيق وجملة يمكرون صلة •

الفوائـد :

منشأ الاضطراب في هذه الآية أنهم ــ أي النحاة ــ أعربوا لفظ الجلالة بدلاً من « من » وفي ذلك إبدال المستثنى المنقطع وهي لغـة مرجوحة لتميم ، ولما كانت القراءة مما اتفق عليه السبعة بالرفع حصل ذلك الاشكال ، وفيما ذكرناه أي إعراب لفظ الجلالة مبتدأ مخلص من هذا كله قالوا : « والله مرفوع عـلى البدلية من « من » لأنه تعـالى لا يحويه مكان » .

وجوز الصفاقسي أن يكون الاستثناء متصلاً والظرفية في حقه تعالى مجازية وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز في الظرفية وعلى هذا فيرتفع على البدل أو عطف البيان . وقد سبق لنا تقرير الجمع بـين الحقيقة والمجاز في كلمة وأرجحنا جواز اجتماعهما وعلى ذلك قولهم « القلم أحد اللسانين » وجميـع أهـل الأصول من أتبـاع الإمام الشافعي لا يشترطون في المجاز القرنية المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

وفي الجمع بين الحقيقة والمجاز اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو نوع من البديع يسمى التنويع ، وهو ادعاء أن مسمّى اللفظ نوعان : متعارف وغير متعارف على طريق التخيل وهو نوع واسع يجري في أبواب كثيرة ، منه أن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عنه منزلته بدون تشبيه ولا استعارة كقولهم « تحية بينهم ضرب وجيع » وقولهم عقابه السيف .

وقال ابن الكمال : فإن قلت : كيف استثني الله وانه تعالى منزه ومتعـال عن أن يكون في السموات والأرض ؟ قلت كمـا استثني « غير أن سيوفهم » من قوله أي النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلـول من قراع الكتائب

يعني إن كان الله تعالى ممن في السموات والأرض كان فيهم من يعلم الغيب ، والغرض المبالغة في نفي العلم بالغيب عنهم وسد الطريق الى ذلك الاحتمال ، فالاستثناء متصل كما في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » فإن شراح الكشاف قاطبة صرحوا بأن الاستثناء فيه متصل.

والعجب أن البيضاوي جوّز اتصال الاستثناء في آية النكاح على الوجه المذكور وجزم هنا بانقطاعه ، والظاهر من كلام الزمخشري أيضاً القطع بالانقطاع حيث قال : « جاز رفع اسم الله تعالى على لغة بني تميم حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمار ، كأن أحداً لم يذكر فإنه على تقدير الكلام على النسق المذكور يصح رفع اسم الله على لغة أهل الحجاز أيضاً .

واعترض بعضهم على الاعراب الثاني أي نصب « من » واعراب الغيب بدلاً من « من » بدل اشتمال فقال إن بدل الاشتمال يحتاج الى ضمير يكون رابطاً ولا ضمير هنا وليس البدل بعد أداة الاستثناء ليقـال إن قوة المستثنى بالمستثنى منه تغني عنه ، وعلى هـذا فالوجه الأول خال من كل محذور .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

اللغـــة :

(ردف) : في القاموس : « ردفه كسمع ونصر تبعه » ولكنه ضمن هنا معنى دنا أو قرب ولذلك عدي باللام أو أن اللام زائدة كما سيأتي في الاعراب وقد عدي بمن أيضاً قال :

فلما ردفنا من عمـير وصحبه تولـــوا ســراعاً والمنية تعنق

ردف كتبع يتعدى بنفسه وضمن هنا معنى الدنو فعدي بمن ، وأعنق الفرس سار سيراً سريعاً سهلاً والعنق اسم منه ، يقول الشاعر فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أدبروا مسرعين والحال أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا ، شبه المنية بالأسد على طريق الاستعارة المكنية فأثبت لها العنق تخييلاً كأنهم كانوا تبعوهم برمي النبال .

ويجوز أنه استعار المنية لنفسه وقومه عـلى طريق التصريح أي ونحن نسرع خلفهم فذكر العنق تجريد لأنه يلائم المشبه والعنق ضرب من سير الدواب كما في الصحاح .

وقال ابن الشجري :

معنى ردف لكم تبعكم ومنه ردف المرأة لأنه تبع لها من خلفها ومنه قول أبي ذؤيب •

عـــاد الـسواد بيـاضاً في مفارقـــه
لا مرحباً ببيـاض الشيب إذ ردفـــا

قال الجوهري : وأردفه لغة في ردفه مثل تبعــه وأتبعــه بمعنى قال خزيمة بن مالك بن نهــد :

إذا الجـوزاء أردفت الثريــا ظننت بآل فاطمـــة الظنونا

الاعراب :

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية والخطاب للنبي ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وكان واسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله •

(قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) عسى ولعل وسوف إذا خوطب بها من هو أكبر منك قدراً فهي بمثابة الجزم بدخولها وإنما يطلقونهــا للوقار وعسى فعــل ماض جامد من أفعال الرجاء واسمها مستتر تقديره هو وان يكون مصدر مؤول خبرها واسم يكون مستتر تقديره هو وردف فعل ماض ضمن فعل يتعدى باللام

وبعض فاعل والذي مضاف اليه وجملة تستعجلون صلة وجملة ردف خبر يكون وقيل إن ردف على بابها بمع تبع واللام زائدة • (وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبرها وعلى الناس متعلقان بفضل أو صفة له والواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب وأكثرهم اسمها وجملة لا يشكرون خبرها • (وان ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة يعلم خبر إن وما مفعول به وجملة تكن صدورهم صلة والعائد محذوف وما يعلنون عطف على ما تكنّ • (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) الواو عاطفة وما نافية ومن حرف جر زائد وغائبة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لدخول النفي عليها ، والغائبة كل ما يخفى : سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة والنصيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن تكون هذه صفات والتاء فيها للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة • وفي السماء والأرض صفة لغائبة وإلا أداة حصر وفي كتاب خبر غائبة ومبين صفة • (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي فيه يختلفون) الجملة مستأنفة لبيان نوع آخر من ميزات القرآن وان واسمها والقرآن بدل من اسم الاشارة وجملة يقص خبر إن وعلى بني اسرائيل جار ومجرور متعلقان بيقص وأكثر مفعول به والذي مضاف اليه وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون صلة الذي • (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وهدى خبرها ورحمة عطف على هدى وللمؤمنين صفة • (إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو

العزيز العليم) إن واسمها وجملة يقضي خبرها والظرف متعلق بمحذوف حال وبحكمه متعلقان بيقضي وهو مبتـدأ والعزيز خبر أول والعليم خبر ثان •

الفوائـد :

أحكام التاء المتحركة اللاحقة بالأسماء والصفات :

هذه التاء إحدى علامات التأنيث المختصة بالأسماء لأنه لما كان التأنيث فرعاً للتذكير احتاج لعلامة تميزه ، عـلى أن العرب قد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة ويستدل على ذلك التقدير بالضمير العائد عليها نحو : « النار وعدها الله الذين كفروا »و« حتى تضع الحرب أوزارها » و « إن جنحوا للسلم فاجنح لها » وبالإشارة اليها نحو: « هذه جهنم » وبثبوتهـا في تصغـير الاسم نحو عيينة وأذينة مصغر عين وأذن من الأعضاء المزدوجة فإن التصغير يرد الأشياء الى أصولها ، فإن القاعدة المشهورة هي : أن ما كان من الأعضاء مزدوجاً فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين والمنخرين والخدين فإنها مذكرة ، على أن المرجع السماع فإن من المزدوج الكف وهي مؤنثة ، وزعم المبرد أنها قد تذكر وأنشد :

ولو كفي اليمـين تقيك خونا ... لأفردت اليمـين عن الشمال

ولكن هذا وهم من المبرد فإن اليمين بمنزلة اليمنى فهي مؤنثة • وقال ابن يسعون : على انه رجـع الى التأنيث فقال تقيك • ونعود الى طرق الاستدلال فنقول ويستدل على التقدير أيضاً بثبوتها في فعله نحو: « ولما فصلت العير » وبسقوطها من عدده كقول حميد الأرقط يصف قوساً عربية :

أرمي عليها وهي فرع أجمـــع   وهي ثـــلاث أذرع وأصبـــع

فأذرع جمع ذراع وهي مؤنثة بدليل سقوط التاء من عـددها وهو ثلاث والواو في قوله « وهي » فرع للحال يقـال قوس فرع إذا عملت من رأس القضيب ولم يرد بقوله وإصبع حقيقة مقدار الإصبع ولكنه أشار بذلك الى كمـال القوس كمـا تقول : الثوب سبع أذرع وزائد تريد أنها موفاة هذا العدد .

والغالب في هـذه التاء أن تكون لفصل صفة المؤنث من صفة المذكر كقائمة وقائم ، ومن غير الغالب في الأسماء غير الصفات نحو رجل ورجلة وغلام وغلامة وفي الصفات التي تنزل على مقصدين وهي الصفات المختصة بالمؤنث كحائض وطامث فإن قصد بها الحدوث في أحد الأزمنة لحقتها التاء فقيل حائضة وطامثة وإن لم يقصد بها ذلك لم تلحقها فيقال حائض وطامث بمعنى ذات أهلية للحيض والطمث .

وقال في المفصّل : « للبصريين في نحو حائض وطامث مذهبان : فعند الخليل انه على النسب كلابن وتامر كأنه قيل ذات حيض وذات طمث ، وعند سيبويه أنه مؤول بانسان أو شيء حائض كقولهم غلام ربعة على تأويل النفس وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة وأما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فتقول حائضة وطالقة الآن أو غداً » وقد أوضحنا الفرق بين الصفـة الحادثة والثابتة في الكلام عن قوله تعالى « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » بأن المرضع هي التي من شأنها الإرضاع والمرضعة هي التي فيحالة الإرضاع ملقمة ثديها للصبي فانظره هناك .

وقال في المفصل : « إن مذهب الكوفيين ان حذف التاء في حائض للاستغناء عنها » وهذا يوجب اثبات التاء في محـل الالتباس كضامر وعاشق وأيم وثيّب وعانس وهذا الاعتراض بيّن ، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإناث من امرأة مصيبة وكلبة مجرية على ما في الصحاح فليس بسديد لأن ما ذكروه مجوز لاموجب لأنهم يقولون الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء عن الأصل كحاملة في المرأة ، قال الجوهري في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى ، فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للإناث ، ومن قال حاملة بناء على حملت فهي حاملة ، وأنشد لعمرو بن حسان :

تمخضت المنون لـــه بيوم   أتى ولكـــل حاملة تمـــام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حاملة لا غير .

هذا ولا تدخل هذه التاء في خمسة أوزان :

١ ـ فعول بفتح الفاء بمعنى فاعل كرجل جسور وامرأة جسور « وما كانت أمك بغيّا » وقد سبق ذكرها في سورة مريم.

٢ ـ فعيل بمعنى مفعول نحورجل جريح وامرأة جريح ، فإن قلت مررت بقتيلة بني فلان ألحقت التاء خشية الالتباس بالمذكر لأنك لم تذكر الموصوف .

٣ ـ مفعـال بكسر الميم نحو منحار يقال رجل منحار وامرأة منحار .

٤ ـ مفعيل بكسر الميم كمعطير من العطر وشذّ امرأة مسكينة وسمع امرأة مسكين على القياس .

٥ ـ مفعل كمغشم وهو الذي لا ينتهي عما يريده ويهواه من شجاعته •

تاء الفصل : وتأتي التاء لفصل واحد من الجنس كتمرة وتمر ، أو فصل الجنس من الواحد نحو كماة وليس منه سيارة في قوله تعالى « وجاءت سيارة » فإنها جمع سيار لا من أسماء الاجناس •

تاء العوض : وتاء العوض وهي التي تأتي عوضاً من فاء كعدة ، أو عين كإقامة ، أو لام كسنة ، أو من حرف زائد لغير معنى كزنديق وزنادقة فالتاء عوض من ياء زناديق •

تاء التعريب : وتاء التعريب وهي التي تأتي لتعريب الأسماء الأعجمية كموازجة جمع موزج بفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاي بعدها جيم وهو الخف أو الجورب والقياس موازج فدخلت التاء في جمعه لتدل على أن أصله أعجمي فعرب •

تاء المبالغة : وتاء المبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية ونسّابة لكثير العلم بالانساب •

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ
عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ *
وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ
أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

الاعراب :

(فتوكل على الله انك على الحق المبين) الفاء الفصيحة لأنها تفريع على قوله العزيز العليم أي ان عرفت هذه الصفات لله تعالى وآمنت بها فتوكل . وتوكل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل وجملة انك على الحق المبين لا محل لها لأنها تعليل للتوكيل وإن واسمها وخبرها والمبين صفة . (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) تعليل ثان للأمر بالتوكل ، يقطع طمعه عن متابعتهم . وان واسمها وجملة لا تسمع خبر والموتى مفعول به ولا تسمع الصم عطف على سابقتها والصم مفعول به أول والدعاء مفعول به ثان وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ولوا مجرورة باضافة الظرف اليها ومدبرين حال . (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) الواو عاطفة وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وأنت اسمها والباء حرف جر زائد وهادي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما والعمي مضاف اليه وعن ضلالتهم متعلقان بهادي وعدي بعن لتضمنه معنى تصرفهم ، وأجاز أبو البقاء وجهاً آخر وهو أن يتعلق بالعمى لأنك تقول عمي عن كذا وهو وجه سائغ مقبول ، ومثل الزمخشري للوجه الأول بقولهم : سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي ، والعيمة شهوة اللبن كما في الصحاح . (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) إن نافية وتسمع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر ومن مفعول به وجملة يؤمن صلة وبآياتنا متعلقان بيؤمن والفاء الفصيحة وهم مبتدأ ومسلمون خبر . (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان بعض أمائر الساعة الدالة عليها والمراد

بالقول ما نطق به القرآن من الآيـات التي تنبيء عن الساعـة والمراد بوقوعه وهو لم يقع قرب حصوله • وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة وقع القول في محـل جر بإضافة الظرف اليهـا والقول فاعل وقع وعليهم متعلقان بوقع وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ولهم متعلقان بأخرجنا ودابة مفعول به ومن الأرض صفة لدابة وسيأتي ما قيل في دابة الأرض في باب الفوائد •

(تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) جملة تكلمهم صفة ثانية لدابة أو حال منها لأنها وصفت ، وأن بفتح الهمزة على تقدير الباء أي بأن الناس والجار والمجرور متعلقان بتكلمهم وقرىء بكسرها على الاستئناف ، وان واسمها وجملة كانوا خبر ان وكان واسمها وبآياتنا متعلقـان بيوقنون ولا نافية وجملة لا يوقنون خبر كانوا والكـلام إما من الله تعـالى وإما من كلام الدابة ، وقد اختار الزمخشري هـذا الوجه وردّ على المعترضين بأن قوله بآياتنا يعكر على ذلك بأن قولها حكايـة لقول الله تعالى أو عـلى معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وانها من خواص خلقه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده •

البلاغـة :

في قوله « ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » فن الايغال وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه ، فإذا أريد الاتيان به أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام ، فقد انتهى الكلام عند قوله ولا تسمع الصم الدعاء فما معنى قوله ولوا مدبرين ؟

والجواب أنه أتى بها وقد أغنى عنها ذكر التولي في الظاهر أما في الحقيقة فهو لم يغن عنها لأن التولي قد يكون بجانب دون جانب كما يكون الاعراض ، ولما أخبر سبحانه بذكر توليهم متمماً للمعنى في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الاشارة ، فإن الأصم يفهم من الاشارة ما يفهمه السامع من العبارة ، ثم علم سبحانه أن التولي قد يكون بجانب دون جانب كما قدمنا فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به فيدرك بعض الاشارة والمراد نفي كل الاشارة فجاءت الفاصلة « مدبرين » ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً فاحتجب المخاطَب عن المخاطِب إذ صار من ورائه فخفيت من غيبه الاشارة كما صمّت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة الكلية في عدم الاسماع البتة ، وهذا تمثيل مثلت به حال هؤلاء القوم أتى مدمجاً في الإيغال وهذا الضرب من الايغال يسمى ايغال الاحتياط .

وهناك ضرب آخر وهو ايغال التخيير وقد مضى شاهده في سورة المائدة ، وقد قدمنا في المائدة ما فيه الكفاية من أمثلة الايغال ، ونورد هنا نماذج منه : يحكى أن أخوة ليلى لما علموا بحب توبة بن الحميّر العقيلي لها نذروا دمه وارتحلوا بها ، فقال توبة :

وان يمنعوا ليلى وحسن حديثها
فلن يمنعوا عني البكا والقوافيا

فهلا منعتم إذ منعتم حديثها
خيالاً يوافيني مع الليل هاديا

فقد تم المعنى بقوله مع الليل ، ولما أتى بالقافية زاد على ذلك .

ولأبي تمام :

إن المنازل ساورتها فرقة
أخلت من الآرام كل كناس

من كل ضاحكة الترائب أرهفت
إرهاف خوط البانة المياس

فإن المعنى قد تمّ قبل اتيانه بالقافية في البيت الثاني فلما أتى بها زاد عليه ، وعلى هذا النحو الجميل يطرد له ذلك فيقول :

فتوح أمير المؤمنين تفتحت
لهن أزاهير الربا والخمائل

لقد ألبس الله الإمام فضائلاً
وتابع فيها باللها والفواضل

فأضحت عطاياه نوازع شردا
تسائل في الآفاق عن كل سائل

مواهب جدن الأرض حتى كأنما
أخذن بآداب السحاب الهواطل

الفوائـد :

دابة الأرض :

دابة الأرض هي الجسّاسة وتنوينهـا وتنكيرها لإبهـام تفخيمهـا ، لتسترعي الانتباه اليها وتلفت الأنظـار الى ترقب خروجها وقـد كثر الحديث عنهـا في المطولات وهي من الامور المغيبة التي تؤمن بهـا ولا يعنينا كنهها ولا حقيقتها .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا
أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا
يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ
أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ
ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

اللغــة :

(فوجاً) : الفوج : الجماعة والطائفة وجمعه أفواج وفئوج

وجمع الجمع أفاوج وأفايج وأفاويج ، والفائجة : الجماعة ومتسع ما بين كل مرتفعين من رمل أو غلظ ، وقال الراغب في مفرداته : « الفوج الجماعة المارة المسرعة وكأن هذا هو الأصل ثم أطلق وإن لم يكن مرور ولا إسراع والجمع أفواج وفئوج » •

(يوزعون) : تقدم قريباً في سورة النحل فجدد به عهداً ، أي يحبس أولهم على آخرهم لأجل تلاحقهم •

(داخرين) : صاغرين ، وفي القاموس : دخر الشخص كمنع وفرح دخراً ودخوراً صغر وذلّ ، وأدخرته بالألف للتعدية • والدال مع الخاء فاء وعيناً تفيدان معنىً خاصاً يدل على التضاؤل والتصاغر وما تنبو عنه النفس وتغثى الطباع ، فالدّخ والدُّخ الدخان وهو معروف يعمي العيون ويقذيها وقالت اعرابية لزوجها وكان قد كبر وأسنّ :

لاخير في الشيخ إذا ما اجلخّا وسال غرب عينيه ولخّا
وكان أكلاً قاعداً وشخّا تحت رواق البيت يغشى الدّخا
وانثنت الرجل فصارت فخّا وصار وصل الغانيات أخّا

ومعنى يغشى الدخ انه يكثر التردد على النساء عند التنور يقول اطعمنني ، ومعنى اجلخ سقط ولم يتحرك وقيل معناه اعوج ، وأخ بفتح الهمزة كلمة تقال عند التأوه كذا قال ابن دريد ثم قال وأحسبها محدثة وقال الصاغاني : يقال للصبي إذا نهي عن فعل شيء قذر إخ بكسر الهمزة بمنزلة قول العجم كخ كأنه زجر وقد تفتح همزته ، ودخدخ الرجل قارب الخطو مسرعاً وتدخدخ الرجل انقبض ، ودخس

الشيء في الرماد أدخله ودسه ودخس الحافر أصابه داء الدخَس وهو ورم في حافر الدابة والدخس بضم الدال دابة في البحر ، ودخل معروف وهو يفيد التواري والتضاؤل ودخل في عقله بالبناء للمجهول أو جسده ودخِل بكسر الخاء دَخَلاً بفتحتين داخله الفساد فهو مدخول عليه والدخل بفتح الدال وسكون الخاء ما دخل عليك من مالك لتختزنه وتواريه عن العيون والداء والعيب والدخل بفتحتين ما داخل الانسان من فساد في العقل والجسم والخديعة العيب في الحسب والدخيل من دخل في قوم وانتسب اليهم وليس منهم والجمع دخلاء وكل كلمة أعجمية ويقال داء دخيل أي داخل في أعماق البدن ويقال : إنه لخبيث الدِّخلة بكسر الدال المشددة وهي باطن أمره ، ودخمه دخماً دفعه بازعاج ، ودخن الطعام واللحم من باب تعب أصابهما الدخان في حال الطبخ ولا شيء أخبث من طعمه آنذاك ، وكم لهذه اللغة من عجائب .

الاعراب :

(ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وهو كلام مستأنف مسوق لبيان أحوال الكذابين بصورة اجمالية وجملة نحشر مجرورة بإضافة الظرف اليها ومن كل أمة متعلقان بنحشر و « من » هنا للتبعيض وفوجاً مفعول به وممن صفة لفوجاً و « من » هنا للتبيين وجملة يكذب صلة من والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يوزعون خبر . (حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون) حرف غاية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة

جاءوا في محل جر بإضافة الظرف اليها ومتعلق جاءوا محذوف أي الى مكان الحساب ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله تعالى ، أكذبتم : الهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي وكذبتم فعل وفاعل ، وبآياتي متعلقان بكذبتم ولم الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتحيطوا فعل مضارع مجزوم بلم وبها متعلقان بتحيطوا وعلماً تمييز والجملة حالية مؤكدة للإنكار والتوبيخ وإظهار بشاعة التكذيب القائم على الارتجال وعدم التمعن والتبصر والتحقيق ، وأم حرف عطف وهي هنا منقطعة فهي بمعنى بل وما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر أو ماذا كلها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعملون وكنتم كان واسمها وجملة تعملون خبرها • (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) الواو عاطفة ووقع القول فعل وفاعل وعليهم متعلقان بوقع وبما ظلموا متعلقان بوقع أيضاً أي بسبب ظلمهم وما مصدرية والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا ينطقون خبر •

(ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الهمزة للاستفهام التقريري والإنكاري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية لا بصرية وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يروا وأن واسمها وجملة جعلنا خبرها والجعل هنا إن كان بمعنى الخلق لا بمعنى التصيير فتتعدى لواحد والليل مفعول جعلنا واللام للتعليل ويسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا على أنه علة له فهو بمثابة المفعول من أجله ، ولكن لا يجوز النصب لاختلاف الفاعل ، وفيه متعلقان بيسكنوا والنهار عطف على الليل ومبصراً حال أو مفعول

به ثان وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمهـا المؤخر ولقوم صفة وجملة يؤمنون صفـة لقوم .
(ويوم ينفـخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض) ويوم معطوف على ويوم نحشر منتظم في حكمه وهو الأمر بذكره وجملة ينفخ في محل جر بإضافة الظرف اليها ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وفي الصور متعلقان بينفخ ، ففزع عطف على ينفخ وسيأتي سر التعبير بالماضي في باب البلاغة ، ومن فاعل فزع وفي السموات صلة ومن في الأرض عطف على من في السموات .

(إلا من شاء الله وكلٌّ أتوه داخرين) إلا أداة استثناء ومن مستثنى وجملة شاء الله صلة ، وكلٌّ : الواو للحال أو هي عاطفة وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ولأن تنوينه عوض عن المضاف اليه أي وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة ، وجملة أتوه خبر وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه كأنه وقع فعلاً وداخرين حال. (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب) الواو حرف عطف وترى الجبال فعل مضارع مرفوع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به والرؤية بصرية وجملة تحسبها حـال من الجبال والهـاء مفعول تحسبها الأول وجامدة مفعول تحسبها الثاني وهي الواو حالية وهي مبتدأ وجملة تمر خبر والجملة حال من جامدة . (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) صنع مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة قبله وأضيف المصدر الى فاعله والذي صفة لله وجملة أتقن صلة وكل شيء مفعول أتقن وان واسمهـا وخبرها وبما متعلقان بخبـير وجملة تفعلون صلة ما .

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون متعددة نوجزها فيما يلي :

١ ــ المجاز العقلي :

في قوله « والنهار مبصراً » فقد أسند الإبصار الى الزمان وهو لا يعقل ولم يأت بالكلام مقابلاً لما قبله وهو « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه » بل جعله أحدهما علة والثاني حالاً لأن التقابل قد روعي من جهة المعنى لأن معنى مبصراً ليبصروا فيه طرق التقلب والمكاسب ، وهذا هو النظم المطبوع غير المتكلف .

٢ ــ الاخبار بالماضي عن المستقبل :

وأخبر بالماضي عن المستقبل في قوله « ففزع من في السموات ومن في الأرض » وكان السياق يقضي بأن يأتي بالمستقبل أيضاً ولكنه عدل الى الماضي للإشعار بتحقيق الفزع وانه كائن لا محالة لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به .

٣ ــ الطباق :

وفي قوله « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه ولكنه سريع يمر مروراً حثيثاً كما يمر السحاب وهذا شأن الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في وصف جيش :

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم
وقوف لحاج والركاب تهملج

وهذا بيت رائع فالأرعن الجبل العالي وقد استعاره للجيش ثم شبهه بالطود وهو الجبل العظيم ليفيد المبالغة في الكثرة والحاج اسم جمع واحده حاجة والركاب المطي لا واحد له من لفظه والهملجة السير الرهو السريع فارسي معرب وفي الصحاح : « الهملاج من البراذين واحده الهماليج ومشيها الهملجة فارسي معرب » يقول : حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين لحاج لكثرتهم والحال أن ركابهم تسرع السير .

وللزمخشري وصف بليغ لهذه الآيات نورده فيما يلي : « فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ، ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر « أي صنع الله » إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ، ألا ترى الى قوله صنع الله ، ووعد الله ، وفطرة الله ، بعد ما وسمها بإضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله : الذي أتقن كل شيء ، ومن أحسن من الله صبغة ، ولا يخلف الله الميعاد ، لا تبديل لخلق الله » .

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ
﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ

أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ
أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا
وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

الاعراب :

(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) كلام مستأنف مسوق للتمهيد لختام السورة بإجمال مصير المحسن والمسيء • ومن اسم شرط جازم مبتدأ وبالحسنة جار ومجرور متعلقان بجاء أو بمحذوف حال فالباء للملابسة أي جاء ملتبساً بها والفاء رابطة وله خبر مقدم وخير مبتدأ مؤخر ومنها صفة لخير أو متعلق به على أنه اسم تفضيل • وهم مبتدأ ومن فزع متعلقان بآمنون وآمنون خبر ويوم ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بمحذوف صفة لفزع أي كائن في ذلك اليوم ، وقرىء بإضافة فزع الى يومئذ • (ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة ومن شرطية وجاء بالسيئة فعل الشرط والفاء رابطة داخلة على « قد » محذوفة أي كبت ليصح اقتران الجواب بها ، وكبت فعل ماض مبني للمجهول ووجوههم نائب فاعل وفي النار متعلقان بكبت وجملة فكبت في محل جزم جواب الشرط وهل حرف استفهام وتجزون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون على طريق الالتفات والواو نائب فاعل والجملة حال أي فكبت وجوههم مقولاً لهم هل تجزون ، وإلا أداة حصر وما مفعول به ثان لتجزون وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة تعملون خبرها •

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها) الجملة مقول قول محذوف أي قل لهم إنما أمرت ، وإنما كافة ومكفوفة وأمرت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وأن أعبد في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأمرت ورب مفعول به وهذه مضاف لرب والبلدة بدل من اسم الاشارة والمراد بها مكة حرسها الله والذي نعت لرب هذه البلدة وجملة حرّمها صلة . (وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) الواو للحال وله خبر مقدم وكل شيء مبتدأ مؤخر وسيأتي سر هذا الحال في باب البلاغة ، وأمرت عطف على أمرت الأولى وأن أكون من المسلمين عطف أيضاً على ما تقدم . (وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) وأن أتلو عطف على أن أكون أي وأمرت بأن أتلو والقرآن مفعول به ، فمن الفاء تفريعية ومن شرطية مبتدأ واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو ولنفسه متعلقان بيهتدي . (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها في اعرابها ولا بد من تقدير فعل طلبي بعد الفاء أي فقل له إنما أنا من المنذرين . (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) الواو عاطفة وقل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول القول ، وسيريكم السين حرف استقبال ويريكم فعل مضارع والكاف مفعول به أول وآياته مفعول به ثان ، والجملة من تتمة مقول القول منتظمة في سلكه ، فتعرفونها الفاء عاطفة وتعرفونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو حرف عطف وما نافية حجازية وربك اسمها وبغافل

الباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنها خبر ما وعما متعلقان بغافل وجملة تعملون صلة •

البلاغـة :

الاحتراس :

في قوله تعالى « وله كل شيء » احتراس بديع وقد تقدم ذكر هذا الفن وأنه يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه عـلى الكلام ، فقد أضاف سبحانه اسمه الى مكة تشريفاً لها وذكراً لتحريمها ، ولما أضاف اسمه الى البلدة والمخصوصة بهـذا التشريف أتبـع ذلك اضافة كل شيء سواها الى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار اليها وتنبيهاً على أن الاضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لا لأنها ملك الله تعالى خاصة •

الباقلاني يحلل سورة النمل :

هذا ونحب في ختام هذه السورة أن نشير إشارة سريعة تحليلية الى كتاب « إعجاز القرآن » لأبي بكر الباقلاني الذي سار ذكره في الناس وهو يجمـع الى روحـه الكلامية طابعاً أدبياً إذ لم يقتصر في الإعجاز على دراسته من الوجهة الكلامية بل تعرض للناحية البيانية والاسلوبية فقد نشأ الخطيب الباقلاني بارعاً في الجدل ، عالي القدر في علـوم القرآن والسنة والكـلام وتعرض لكثـير من المعارضين والمخالفين وقارعهـم الحجج ، وجادل علمـاء الروم مما أثار إعجاب معاصريه به •

فقد أرسله الملك عضد الدولة الى ملك الروم عام ٣٧١ هـ في سفارة رسمية وأدخلوه مرة وهو في عاصمة الروم على بعض القسس فقال القاضي للقسيس : كيف أنت والأهل والأولاد ؟ فتعجب الرومي وقال له : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملة، أما علمت أن المطارنة والرهبان منزهون عن الأهل والأولاد؟ فأجابه القاضي أبو بكر : رأيناكم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه ، وأراد كبير الروم أن يخزي القاضي فقال له : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها ؟ فأجابه هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ومريم أم المسيح فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفيها وقد برأهما الله مما رميتا به ، فانقطع الرومي ولم يحر جواباً •

خلاصة نظرية الباقلاني في الإعجاز :

١ ــ يبدأ بعرض الفكرة عرضاً بسيطاً فيثبت صحة ما بين أيدينا من نصّ القرآن وأنه هو حقاً كتاب الله المنزّل على نبيه وأنه آية محمد ومعجزته الخالدة •

٢ ــ يثبت عجز العرب عن الاتيان بمثله على رغم تحديه لهم مراراً •

٣ ــ وينتهي من المقدمات السالفة إلى نتيجة عامة هي خلاصة نظريته في الإعجاز وهي « خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم » ثم يشرح هذه النظرية في كتاب الإعجاز فيقول : « والوجه الثالث انه بديع النظم عجيب التأليف ، متناه في البلاغة على تصرف

وجوهه ، واختلاف مذاهبه ؛ خارج عن المعهود من نظم جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب خاص به ويتميز في فصوله عن أساليب الكلام المعتاد » .

وقبل أن يلج الى نظم القرآن وتحليل سوره يتناول قصيدة لامرىء القيس وأخرى للبحتري ليرسم طريقته في النقد وتطبيق منهجه وينتقل في كلتا القصيدتين من المطلع الى النهاية منبهاً الى وجوه الجمال ومواطن الضعف ، وفي تحليله لقصيدة امرىء القيس أو معلقته – على الأصح – يوازن بين ما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها وما جاء شبيهاً أو مقارباً لها في القرآن منبهاً إلى تفوق القرآن دائماً ، وكثيراً ما تدخل النقد الشخصي في رأي الباقلاني في تحليل معلقة امرىء القيس وإن خالف ذلك الرأي آراء جميع النقاد ، انظر اليه كيف يخطىء الشاعر في قوله :

إذا قامتا تضوع المسك منهما ...

يقول : « فوجه التكلف فيه بقوله : إذا قامتا تضوع المسك منهما ، ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير » وهذا تحامل ظاهر من أبي بكر على الشاعر وعلى المعنى الذي تناوله إذ لا شك أن في هذا التعبير لمسة فنية دقيقة ترتكز على كلمة « قامتا » لأنها مبعث الحركة والحياة في الصورة كلها تريك الفتاتين غاديتين أو رائحتين وغلائلهما تبعث الأرج فيسري في الاعطاف ويعبق الجو بشذاه لما تبعثه الحركة في الهواء فيحمل العطر الى الأنوف لتستافه ولا يتسنى ذلك في القعود والسكون ، ومع هذا لا ننكر بعض ما نبه اليه الباقلاني من هنات في العقيدة بل ونأخذ برأيه

ونقدر له عمقه وحسن استنباطه ، اسمع الى هذا النقد العجيب الذي يخرس الألسن فقد تناول مطلع المعلقة في البيتين الأولين وهما :

قفـا نبك من ذكـــرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الـدخول فحومـل

فتوضح فالمقـراة لم يعف رسمهـــا
لما نسجتهـــا من خبوب وشمـــأل

فقال : « لم يقنع بذكر حد حتى حدده بأربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى ان أخلّ بحد أن يكون بيعه فاسداً أو شرطه باطلا »

وفي تحليله لقصيدة البحتري بعض الطرائف الفنية في النقـد نلخصها فيما يلي:

١ ـ الرؤيا الشعرية : فقد أشار الى اختلالها عند البحتري في في تشبيه الخيال بالبرق وذلك في قول البحتري :

أهـــلا بذلكـم الخيـال المقبـــل
فعـــل الذي نهواه أم لـم يفعـــل

برق سرى من بطن وجرة فاهتـــدت
بسناه أعنـــاق الركـاب الضـــلل

فقال : « إنه جعـل الخيال كالبرق لإشراق مسراه » والخيال

لا يشبه عنـده بالبرق لأن البرق سريع خاطف والخيـال يسري مسرى النسيم •

٢ ـ الحشو : وهو زيادة اللفظ على المعنى المطلوب وهو عيب في النظم •

٣ ـ الابتـذال في الصورة البيانيـة كالتشبيه أو الاستعارة أو الكناية •

٤ ـ الرونق اللفظي : إذ يرى في بعض أبيات البحتري رونقاً وطلاوة ويرى في بعضها الآخر قلة ماء ورونق •

٥ ـ الاختلال في المعنى : ومن هذا قوله في نقد بعض الأبيات « وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ويلائمه ثم الذي ذكره من الانتظار وإن كان مليحاً في اللفظ فهو في المعنى متكلف لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمراً وانما يقف تحسراً وتذللاً وتخيراً » وهذه الأبيات التي تناولها النقد :

ما الحسن عنـدك يا سعـاد بمحسن
فيمـا أتاه ولا الجمـال بمجمـل

عـذل المشوق وإن من سيمـا الهوى
في حيث تجهـله لجـاج العـاذل

مـاذا عليك من انتظـار متيـم
بـل ما يضـرك وقفـة في منزل

إن سيل عيّ عن الجواب فلـــم يطق
رجعـاً فكيف يكـون إن لم يسـأل

٦ ــ التضمين : وهو عيب معروف عند النقاد العرب •

٧ ــ مخالفة بناء القصيدة العربية القديمة •

٨ ــ التعقيد وعدم السلاسة في رصف الألفاظ وسبكها وهو عيب في الصياغة والنظم •

٩ ــ الاستهلال وصلته بالفصل والوصل •

١٠ـــ الاشتراك في المعاني بينه وبين غيره من الشعراء مع تفاوت في الحسن •

١١ـــ بناء العبارة وتأليفهـا واختلافهـا بين النظـم السوي والمضطرب •

تحليل سورة النمل :

يتناول الباقلاني السورة جملة : يفسر غريبها ويبين ما فيها من جمال اللفظ والمعنى ويأخذ في تحليلها من أولها فيقول : « بدأ بذكر السورة إلى أن بين أن القرآن من عنده » ثم وصل بذلك قصة موسى وانه رأى ناراً فقال لأهله « امكثوا إني آنست ناراً سآتيكـم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون » وقال في سورة طه في هـذه القصة : « لعلي آتيكم منها بقبس أو أجـد على النار هدى » ثم قـال : فلما جاءهـا نودي أن بورك من في النار ومن حولهـا وسبحان الله رب العالمين » فانظر الى ما أجرى له الكـلام الأول وكيف اتصـل بتلك

المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية وما دلّ عليها من قلب الفصاحة وجعله دليلاً يدله عليه ومعجزة تهديه إليه وانظر الكلمات المفردة القائمة بنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الوصف ، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل » .

ويبين الباقلاني فضل نظم القرآن على الكلام العادي فيدعو واحداً الى التقليد فلا يصل الى شيء ويقر بالعجز أمام لفظ القرآن ونظمه ويستطرد في تحليل السورة فيقول « متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة العالية الشريفة « ألاّ تعلوا علي وأتوني مسلمين » والخلوص من ذلك إلى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الألفاظ البديعة والكلمات العجيبة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تسكن قولها : « يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » وذكر قولهم : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين » لا تجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله « الأمر إليك » تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتقانه في هذا الكلام ، وتمكن الفاصلة وملاءمتها لما قبلها وذلك قوله :

« فانظري ماذا تأمرين » ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الإعجاز فإن الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه » الى أن يقول:« وإن شرحت لك مافي كل آية طال عليك الأمر ولكني قد بينت بما فسرت وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت والنحو الذي قصدت والغرض الذي إليه رميت والسمت الذي إليه دعوت » •

ونحسبك بعد هذا قد ألممت بكتاب الاعجاز فقد أوردنا لك خـير ما فيه •

سورة القصص
مكية وآياتها ثمان وثمانون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن
نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

اللغـــة :

(شيعا) في القاموس والتاج وغيرهما من كتب اللغة : « شيعة الرجل أتباعه وأنصاره والجمع شِيَع وأشياع ، والشيعة : الفرقة وتقع على الواحد والاثنين والجمع مذكراً ومؤنثاً وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً

الواحد شيعي » وقال الزمخشري : « شيعاً : فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه ، قال الأعشى :

وبلـــدة يرهــب الجواب دلجتهـــا
حــتى تــراه عليــها يبتــغي الشــيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقاً مختلفة ، قد أغرى بينهم العداوة » ومعنى البيت الذي أورده الزمخشري للأعشى : ربّ مفازة يخاف الجواب أي كثير السفر من جبت الأرض إذا قطعتها بالسير والدلجة من دلـــج وأدلج وادّلج إذا سار ليلاً والدلجة ساعة من الليل أي يخاف المعتاد عــلى السير من سيرها ليلاً حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها وبعد البيت قوله :

كلفــت مجهولهـــا نفسي وشايعـــني
همّي عليهـــا إذا ما آلهـــا لمعـــا

بـــذات لــوث عفرنـــاة إذا عثرت
فالتعس أولى لهـــا من أن يقـــال لعا

يقول : كلفت نفسي سير المجهول منهـــا وعاودني عزمي عــلى سيرها وقت لمعان آلها وهو السراب الذي يرى عند شدة الحر كأنه ماء مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل ثم قال مع ناقة صاحبة قوة ويطلق اللوث على الضعف أيضاً فهو من الأضداد ، وعفرناة : غليظة

ويقال للعاثر : لعاً لك دعاء له بالانتعاش وتعساً له دعاء عليه بالسقوط يريد أنها لا تعثر ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها .

(ويستحيي نساءهم) : يبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك .

(هامان) : وزير فرعون المذكور هنا وهامان عدو اليهود وزير احشويروش الفارسي ذكر في سفر استير من كتب العهد القديم .

الاعراب :

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) تقدم القول فيها وتلك مبتدأ وآيات الكتاب المبين خبرها . (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) نتلو فعل مضارع مرفوع وفاعل مستتر تقديره نحن وعليك متعلقان بنتلو ومن نبأ صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً من قصة موسى وفرعون وفيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وبالحق حال من فاعل نتلو أي حال كوننا ملتبسين بالحق والصدق أو من المفعول أي حال كونه ملتبساً بالحق والصدق ولقوم متعلقان بنتلو فهو بمثابة التعليل له أي لأجل قوم وجملة يؤمنون صفة لقوم . (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً) كلام مستأنف مسوق لبيان قصة فرعون أو جملة تفسيرية لنبأ موسى وكلتاهما لا محل لهما من الاعراب وإن واسمها وجملة علا خبرها وفاعل علا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو أي فرعون وفي الأرض متعلقان بعلا وجعل أهلها فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وشيعاً مفعول به ثان . (يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) جملة يستضعف

حالية من فاعل جعل أو صفة لشيعاً ولك أن تجعله كلاماً مستأنفاً وفاعل يستضعف هو وطائفــة مفعول به ومنهم صفة لطائفــة ويذبح بدل اشتمال من يستضعف لأن الاستضعاف مشتمل على الذبح والاستحياء معاً وأبناءهم مفعول يذبح ويستحيي نساءهم عطف على يذبح أبناءهم وجملة إنه تعليل لهذه الأعمال وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو ومن المفسدين خبر كان • وإنما كان فرعون يذبح أبناءهم ويترك النساء لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل • قال الزجاج : « والعجب من حمق فرعون ، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً عنده فما ينفع القتل وان كان كاذباً فلا معنى للقتل » •

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الواو عاطفة أو حالية فإن جعلتها عاطفة عطفت الكلام على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ، وإن جعلتها حالية فالجملة حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم • وأن وما في حيزها مفعول نريد وعلى الذين متعلقان بنمن وجملة استضعفوا صلة وفي الأرض متعلقان باستضعفوا أو بمحذوف حال أي حالة كونهم على الأرض ولعله أولى • (ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ونجعلهم عطف على نمنّ والهاء مفعول به أول وأئمة مفعول به ثان ونجعلهم الوارثين عطف عــلى نجعلهم أئمــة • (ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ونمكن عطف على نجعل وفاعله مستتر تقــديره نحن ولهم متعلقان بنمكن وفي الأرض حال ونري عطف أيضاً وفرعون مفعول به وهامان عطف على فرعون

وجنودهما عطف على فرعون وهامان ومنهم متعلقان بنري أي ونري فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ما كانوا يحذرون أي يخافونه منهم وقد وقع على يد مولود منهم ، وما مفعول به ثان لنري وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يحذرون خبر كانوا .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى
ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
(٧) فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ
وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ (٨) وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى
وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا
عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ
فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ
مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ
نَٰصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

اللغــــة :

(ولا تخافي ولا تحزني) : الخوف هو غم يلحق الانسان لأمر مكروه متوقع والحزن غم يلحقه لأمر مكروه واقع وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة وما ورد من الاعتراض على هذا العطف .

(قصيه) : اتبعي أثره وتتبعي خبره وبابه نصر . وسيأتي المزيد من شرح هذه المادة .

(جنب) بضمتين : مكان بعيد ، يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد .

الاعراب :

(وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) الواو عاطفة وجملة أوحينا عطف على قوله ان فرعون علا في الأرض وكلتا الجملتين داخلة في حكم تفسير النبأ وأوحينا فعل وفاعل والى أم موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لأن الإيحــاء فيه معنى القول دون حروفه ويجوز أن تكون مصدرية على بابها وهي مع مدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأوحينا وأرضعيه فعل أمر وفاعل ومفعول به . (فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) الفاء عاطفة وخفت فعل وفاعل وعليه متعلقان بخفت ، فألقيه الفاء رابطة وألقيه فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل والهاء مفعول به وفي اليم جار ومجرور متعلقان بألقيه وأراد باليم النيل . (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) الواو عاطفــة ولا ناهية وتخافي فعــل

مضارع مجزوم بلا ولا تحزني عطف على لا تخافي وجملة إنا رادوه تعليل للأمر والنهي وان واسمها ورادوه خبرها وإليك متعلقان برادوه وجاعلوه عطف على رادوه وقد أضيف اسم الفاعل الى مفعوله الأول ومن المرسلين في محل نصب مفعوله الثاني • (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)الفاء عاطفة على محذوف للايجاز تقديره فأرضعته وألقته في نهر النيل في تابوت أعدته له وجرى به النيل الى قبالة قصر فرعون المطل عليه فالتقطه آل فرعون ، ويعبرون عنها بالفصيحة أيضاً • وهو فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وليكون اللام قيل للتعليل وقيل للعاقبة وسيأتي تفصيل ذلك وبحث هذه اللام في باب الفوائد ، ويكون على كل حال فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد اللام واسم يكون مستتر تقديره هو وعدواً خبر يكون وحزناً عطف على عدواً •

(إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) كلام لا محل له من الاعراب لأنه تعليل لما سبق من أمور وقيل هو كلام معترض بين معطوف عليه وهو فالتقطه آل فرعون ومعطوف وهو وقالت امرأة فرعون• وان واسمها وهامان وجنودهما عطف على فرعون وجملة كانوا خبر إن وكان واسمها وخاطئين خبرها • (وقالت امرأة فرعون : قرة عين لي ولك) الواو عاطفة وقالت عطف على فالتقطه آل فرعون وامرأة فرعون فاعل قالت وهي آسية بنت مزاحم وسيأتي ذكرها في قصة موسى وفرعون ، وقرة عين خبر لمبتدأ محذوف أي هو قرة عين ولي ولك صفتان للقرة وقد خبط بعض المعربين خبطاً عجيباً في إعراب هذه الآية سنلمع إليه في باب الفوائد • (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون) لا ناهية وتقتلوه فعل مضارع

مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء وهي تعمل عمل كان ، واسمها مستتر تقـديره هو وأن ينفعنا مصدر مؤول في محل نصب خبر عسى أو تتخذه عطف على ينفعنا والهاء مفعول به أول وولداً مفعول به ثان ، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر والجملة حال من آل فرعون وهي من كلام الله تعالى ويبعد أن تكون من كلام آسية • (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) الواو استئنافية وأصبـح فعـل ماض ناقص وفؤاد أم موسى اسمها وفارغاً خبرها وسيأتي تفسير هذا الكلام في باب البلاغة • (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) إن مخففة من الثقيلة وكادت فعل ماض من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره هي واللام الفارقة وجملة تبدي خبر كادت وبه متعلقان بتبدي وإذا أعملت « إن » كان اسمها ضمير شأن محذوف وجملة كادت خبرها والأولى إهمالها ، ومعنى لتبدي به أي تظهر القول به والضمير لموسى وقيل الباء زائدة والهاء في محل نصب مفعول به والأول أضبط ولولا حرف امتناع لوجود وأن مصدرية وهي مع مدخولها مصدر في محل رفـع مبتدأ محذوف الخبر أي لولا ربطنا عـلى قلبها حاصل ، وعـلى قلبها متعلقان بربطنا وجواب لولا محـذوف أي لأبدت به ولتكون اللام للتعليل وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعـد اللام والجار والمجرور متعلقـان بربطنا أيضاً ومن المؤمنين خـبر تكون • (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهـم لا يشعرون) الواو عاطفة وقالت فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هي أي أم موسى ولأخته متعلقان بقالت وقصيه فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعـل والهاء مفعول به ، فبصرت الفاء عاطفة على محذوف أي فذهبت ترتاده

وتقص آثاره ، وبه متعلقان ببصرت وعن جنب في موضع الحال من فاعل بصرت أي بصرت به مستخفية كائنة عن جنب أو من المجرور وهو به أي بعيداً والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر •

(وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)الواو استئنافية والجملة مستأنفةمسوقة للشروع في بيان سبب رده الى أمه ، وحرمنا فعل وفاعل وعليه متعلقان بحرمنا والمراضع مفعول به ومن قبل حال ــ والمراضع جمع مرضع وهي التي تمارس الإرضاع ولم تباشره أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد اسم مكان الرضاع يعني الثدي ــ فقالت الفاء الفصيحة أي لما رأت أخته ذلك قالت وهل حرف استفهام وأدلكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى أهل بيت متعلقان بأدلكم وجملة يكفلونه صفة لأهل بيت ولكم متعلقان بيكفلونه والواو حالية وهم مبتدأ وله متعلقان بناصحون وناصحون خبر •

(فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) الفاء عاطفة ورددناه فعل وفاعل ومفعول به والى أمه متعلقان برددناه وكي حرف تعليل ونصب وتقر فعل مضارع منصوب بكي ولا تحزن عطف على تقر ، ودمع الفرح بارد وعين المهموم حرى سخينة • (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو عاطفة واللام للتعليل وتعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تعلم وان واسمها وحق خبرها والواو حالية ولكن أكثرهم لكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها •

البلاغـة :

١ ـ معنى الخوف والحزن :

لقائل أن يقول: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في قوله « ولا تخافي ولا تحزني » ؟ ثم أليس من التناقض أن يثبت الخوف في قولـه « فإذا خفت عليه » ثم ينفيه بقولـه « ولا تخافي » والجواب على التناقض المزعوم أن الخوف الأول المثبت هو غرقه في النيل والثاني هو خوف الذبح فاندفع مايتوهم من تناقض، وأما الاعتراض الاول فهو مندفع بأن هذا من باب الاطناب بل هو قسم نادر من أجمل أقسامه، وهو أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للآخر ، فقد قلنا في باب اللغة أن الخوف هو غم يصيب الانسان لأمر يتوقع نزوله في المستقبل أما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلاً ومضى فنهيت عنهما جميعاً ومنه قول أبي تمام وقد كان بارعاً فيه :

قطعت إليّ الزابيين هباته والتاث مأمول السحاب المسبل
من منة مشهورة وصنيعة بكر وإحسان أغر محجل

فقوله منة مشهورة ، وصنيعة بكر ، وإحسان أغر محجل تداخلت معانيه ، إذ المنة والصنيعة والإحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير كما يتوهم لأنه لو اقتصر على قوله منة وصنيعة وإحسان لجاز أن يكون تكريراً ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال « منه مشهورة » فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها و « صنيعة بكر » فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل و « احسان أغر محجل » فوصفه بالغرة والتحجيل

أي هو ذو محاسن متعددة فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار ذلك إطناباً ولم يكن تكريراً . وقد اشتملت هذه الآية « وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » على أمرين وهما « أرضعيه،فألقيه » ونهيين وهما « لا تخافي، ولا تحزني » وخبرين وهما : « إنا رادوه إليك،وجاعلوه من المرسلين» وبشارتين في ضمن الخبرين وهما رده إليها وجعله من المرسلين .

٢ ـ الكناية :

وذلك في قوله « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً » فإن ذلك كناية عن فقدان العقل وطيش اللب والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طاش صوابها وطار عقلها لما انتابها من فرط الجزع والدهش ومثله قوله تعالى « وأفئدتهم هواء » أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوّف نخبٌ هواء

وهذا البيت من قصيدة مطولة لحسان بن ثابت يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه وبعده :

بأن سيوفنا تركت عبيداً وعبد الدار سادتها الإماء

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشرّ كما لخير كما الفداء

أمن يهجو رسول الله منكـم ويمدحـه وينصـره سـواء

فإن أبـي ووالـده وعرضي لعرض محمد منكم وقـاء

وألا أداة للتنبيه والاستفتاح والمأمور بالإبلاغ غير معين ، ثم التفت ليثير غيظ أبي سفيان ، وكـان مقتضى السياق أن يقـول « فإنه » أي أبا سفيان لكن مخاطبته ومشافهته بالـذم أمض للنفس وأقذع في الهجاء ، والمجوف والنخب والهواء خالي الجوف أو فارغ القلب من العقل والشجاعة واسناد الترك للسيوف مجاز عقلي لأنها آلة للفعل وعبيد بالتصغير قبيلة وكذلك عبد الدار سادتها مبتـدأ والإماء خبره والجملة في محل المفعول الثاني لتركت أي صيرت عبيد الاسادة لها إلا النساء وصيرت عبد الدار كذلك وأتهجوه الإستفهام إنكاري توبيخي والواو بعده للحال أي لا ينبغي لك ذلك وشر وخير اسما تفضيل واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة استعمالهما لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان وجملة فشركما لخير كما الفداء دعائية دعا عليه أن يكون فداء لرسول اللـه وأبرزه في صورة الابهام لأجل الانصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا هذا أنصف بيت قالته العرب وأمن يهجو استفهـام انكاري أي ليس من يهجوه منكم ومن يمدحه وينصره منا مستويين ويحتمل أن الهمزة للتنبيه أو للنـداء والمنادى محـذوف أي يا قوم أبي سفيان إن الذي يهجو رسول الله منكم والذي يمدحـه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما والوقاء ما يتوقى به المكروه وزان الحزام والرباط فهو إما بمعنى اسم مفعول أو اسم آلة .

الفوائــد :

١ ــ قصة موسى وفرعون :

نلخص هنا قصة موسى وفرعون كما رويت لطرافتها وكما جرينا عليه في هذا الكتاب ، فموسى معناه ماء وشجر لأن مو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت وسمي موسى لأنهم وجدوه بينهما ، وهو موسى بن عمران يمت بالنسبة الى يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ولم يزل بنو إسرائيل من عهد يوسف تحت أيدي الفراعنة حتى كان فرعون الذي بعث موسى اليه ، ولم يكن منهـم فرعون أعتى منه ولا أطول عمراً وكان شديد الغلظة واسمه الوليد بن مصعب وكان قد اتخذ بني إسرائيل خولاً فصنف منهم يبنون ، وصنف يحرثون ومن لا عمل له وضف عليه الجزية ، فرأى في منامه أن ناراً أقبلت من المقدس فأحرقت القبط فسأل عن رؤياه فقيل له : يخرج من هذا البلد أي الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود حتى كاد يفنيهم فقيل له إنما هم خولك وإنك إن تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاماً واستحيائهـم عاماً فولد هرون في السنة التي يستحيون فيها وولد موسى في السنة التي يقتلون فيهـا فلما وضعته حزنت فأوحى الله إليها أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم فعملت تابوتاً جعلته فيه وألقته في اليم وهو النيل وقالت لأخته قصيه فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار متكاثفة تحت قصر فرعون فخرجت جواري فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون فلما رأته أحبته وأخبرت به فرعون فأراد ذبحه وخشي أن يكون المولود الذي حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا » وستأتي تتمة القصة .

٢ ــ لام العاقبة أو الصيرورة :

واللام في « ليكون » للعاقبة وقد أبرز مدخولها في معرض العلة لا لتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل له وتسمى لام الصيرورة ولام المآل ، وقد أنكر البصريون لام العاقبة قال الزمخشري : « والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كانت نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد » .

٣ ــ أعاريب في « قرة أعين » :

تفادينا في هذا الكتاب إيراد الأعاريب المرجوحة بله المتهافتة لأننا آثرنا اختيار أفضل الوجوه وأمثلها ، غير أننا لا نرى إغفال بعض الأعاريب المتهافتة التي تبناها بعض المعربين ، فقد قلنا إن قرة أعين خبر مبتدأ مضمر ولي ولك صفتان ، وقد أجاز بعضهم وجهاً لا يجوز إيراده البتة وهو أن تكون قرة أعين مبتدأ والخبر جملة لا تقتلوه لأن فيه الإخبار بالانشاء عن الخبر وهذا هين بالنسبة لمخالفة الضمير لأنه يجب أن يقول لا تقتلوها واحتجوا بأنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك، وما أغناها عن ذلك التمحّل الذي لا يليق بالقرآن، ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس انه وقف على « لا » أي هو قرة عين لي فقط

ولك لا، أي ليس هو قرة عين ، ثم يبتدىء بقوله تقتلوه وهذا مضحك لا يمكن أن ينسب الى ابن عباس ولا إلى ابن الأنباري نفسه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولاّ مقتضى لحذفها ولذلك قال الفراء : هو لحن .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

الاعراب :

(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتتمة قصة يوسف بعد بلوغه الأشد ، ولما حينية أو رابطة وقد تقدم ذلك وبلغ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وأشده مفعول به ، وقد مضى تفسير الأشد والأقوال فيه أكثر من مرة ، واستوى عطف على بلغ ،

والمراد انه انتهى شبابه وتكامل عقله ، وجملة آتيناه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وحكماً مفعول به ثان وعلماً عطف على حكماً وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي المحسنين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) ودخل المدينة عطف على محذوف أي وغاب عن فرعون مدة طويلة لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب الى مدين وأقام فيها عشر سنين ، ودخل المدينة فعل وفاعل ومفعول على السعة، قيل المراد بالمدينة منف بضم فسكون وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة وقيل غير ذلك ، وعلى حين غفلة حال من المدينة أو من فاعل دخل أي مختلساً ومن أهلها صفة لغفلة قيل كان الوقت بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد ومعنى « على » هنا الظرفية أي على حين • (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) فوجد عطف على دخل وفيها متعلقان بوجد ورجلين مفعول به وجملة يقتتلان صفة لرجلين وهذا مبتدأ ومن شيعته خبر والجملة صفة ثانية لرجلين وقيل حال ، والحال من النكرة أجازه سيبويه من غير شرط ، وهذا من عدوه عطف عليها • والعرب تشير بهذا الى الغائب لأنها حكاية حال ماضية ، فعبر عن غائب ماض باسم الاشارة •

(فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) الفاء عاطفة واستغاثه فعل ماض ومفعول به والذي فاعل ومن شيعته متعلقان بمحذوف صلة واستغاث يتعدى بنفسه تارة كما هنا وتارة بالباء • (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) فوكزه عطف أيضاً أي دفعه بجمع كفه ، وقال الكسائي لكمه ، وموسى فاعل فقضى عليه عطف على فوكزه ، قال فعل ماض والجملة

مستأنفة وهذا مبتدأ ومن عمل الشيطان خبر والجملة مقول القول ، وجملة إنه عدو تعليل ، ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ ولكونه غير مقصود وإنما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه هضماً لنفسه واستعظام الهنات اليسيرة التي تبدر منهم ، وان واسمها وعدو خبرها ومضل صفة ومبين صفة ثانية . (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها وجملة ظلمت نفسي خبر إن فاغفر لي الفاء عاطفة واغفر فعل دعاء ولي متعلقان باغفر فغفر له عطف وان واسمها وهو ضمير فصل والغفور خبر والرحيم خبر ثان ، ويجوز أن تعرب هو مبتدأ والغفور الرحيم خبران لهو والجملة خبر ان . (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) بما الباء حرف قسم وجر وجواب القسم محذوف تقديره أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن ، وما مصدرية والمصدر في محل جر بباء القسم والفاء عاطفة على الجواب المحذوف ولن حرف نفي ونصب واستقبال وأكون فعل مضارع ناقص واسمها مستتر تقديره أنا وظهيراً خبرها وللمجرمين متعلقان بظهيراً ويجوز أن يكون الكلام استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من الكفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين فتتعلق الباء ومدخولها باعصمني المقدر ولا تحتاج الى جواب وتكون الفاء في فلن أكون هي الفصيحة لأنها جواب شرط مقدر كما ذكرنا ، هذا وهناك أقوال أخرى كلها سديدة موعدنا بها باب الفوائد.

الفوائد :

١ ــ تتمة قصة موسى :

واتخذه فرعون ولداً وارتادوا له المرضعات فلم يقبل ثدي

واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجداً عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لم يقبل على مرضعة قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فأجابوا ملتمسها فذهبت فجاءت بأمه وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فأعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته في قصر فرعون ثم عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده إلى لحيته فنتفها فقال فرعون عليّ بالذباحين فإنما هو هذا فقالت آسية هو قرة عين لي ولك لاتقتلوه فإنه صبي لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل يده في النار فوضعها موسى في فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر في حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ، ثم ان موسى أخبر أن فرعون قد ركب فركب أثره فأدركه ببلدة منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس في طرقها أحد فرأى إسرائيلياً مع قبطي يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلي فوكز القبطي فقضى عليه فكان من قصتهما ما قص الله تعالى في سورة القصص حتى خرج خائفاً يترقب الى مدين وستأتي البقية قريباً •

٢ ـ اختلاف المعربين في « بما أنعمت عليّ » :

أوردنا الوجهين الراجحين في إعراب هذه الآية وهي « قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين » وقد اختارهما الزمخشري أيضاً قال : « وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وأما مظاهرة من أدت مظاهرته الى الجرم والإثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له »

وكذلك اختارهما أبو البقاء في كتابه « إعراب القرآن » وقيل ليس هذا خبراً بل هو دعاء أي فلا أكون بعد هذا ظهيراً أي فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين •

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

الاعراب :

(فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) الفاء عاطفة وأصبح فعل ماض ناقص أو تام وعلى الاول اسمها مستتر تقديره هو وفي المدينة حال وخائفاً خبر أصبح أو في المدينة خبر أصبح وخائفاً حال ، وعلى الثاني يكون فاعل أصبح مستتراً تقديره هو وفي المدينة متعلقان به وخائفاً حال وجملة يترقب على الوجهين حال ثانية أو خبر ثان أو حال من الضمير في خائفاً فتكون حالاً متداخلة ومفعول يترقب محذوف أي

يترقب المكـروه ويبعـد أن يترقب الفرج لأن السياق يستبعده . (فإذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) الفاء عاطفة وإذا فجائية وقد تقدم القول في ظرفيتهـا أو حرفيتها والـذي مبتدأ وجملة استنصره صلة وبالامس متعلقان باستنصره وجملة يستصرخه خبر الذي ومتعلق يستصرخه محذوف أي على قبطي آخر . (قال له موسى إنك لغويّ مبين) قال فعل ماض وله متعلقان به وموسى فاعل وانك إن واسمها واللام المزحلقة وغوي مبين خبران لإن . (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عـدو لهما) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطـة وأن زائدة وتطرد زيادتها بعد لما وقبل لو مسبوقة بقسم كقول الشاعر :

فأقسم أن لو التقينا وأنتـم لكان لكم يوم من الشر مظلم

وإنما زاد « أن » للاشعار بأن موسى لم تكن مسارعته الى قتل الثاني كما كانت مسارعته الى قتل الأول بل كان عنده إبطاء في بسط يده إليه فعبر القرآن عن ذلك الابطاء بزيادة أن وقد تقدم في سورة يوسف ما يماثل هذا في قوله تعالى « فلما أن جاءه البشير ألقاه عـلى وجهه » فجدد به عهداً .

وأراد فعل ماض وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أراد وبالذي متعلقان بيبطش وهو مبتدأ وعدو خبر ولهما صفة والجملة صلة الذي . (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الاسرائيلي المستغيث قال ذلك وقد ظن أن موسى يريد أن يبطش به ، وقيل يعود على القبطي وليس ببعيد ورجحه زاده في حاشيته على البيضاوي ، وكأنه توهم من زجر موسى الاسرائيلي انه هو الـذي قتل الرجـل بالأمس ، أتريد

الهمزة للاستفهام الانكاري وتريد فعل مضارعُ مرفوع وان ومافي حيزها مفعول تريد وكما قتلت نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت له نظائر ونفساً منعول به وبالأمس متعلقان بقتلت • (إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) إن نافية وتريد فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول تريد وجباراً خبر تكون وفي الأرض صفة لجباراً وما تريد أن تكون من المصلحين عطف على الجملة المماثلة السابقة • (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) الواو عاطفة على محذوف يقدر من سياق الكلام أي فذهب القبطي الذي سمع ما قاله الإسرائيلي وقد علم أن موسى هو قاتل القبطي الأول إلى فرعون وأخبره بجلية الأمر فغضب فرعون وأمر بقتل موسى وإلقاء القبض عليه • وجاء رجل فعل وفاعل وهو مؤمن من آل فرعون وردت الإشارة إليه في مكان آخر من القرآن قيل هو ابن عم فرعون ومن أقصى المدينة صفة لرجل وجملة يسعى صفة ثانية أو حال لأن قوله « رجل » تخصص بالوصف كما هي القاعدة المشهورة ، ويجوز تعليق من أقصى المدينة بجاء فتكون جملة يسعى صفة فقط • (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) إن الملأ إن واسمها وجملة يأتمرون خبر وبك متعلقان بيأتمرون أي يتشاورون والائتمار التشاور يقال : الرجلان يتآمران ويأتمران بمعنى واحد لأن كل واحد فيهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر وقيل معناه يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ولعل هذا أوضح وقد أورد صاحب التاج المعنيين قال : « ائتمروا وتآمروا : تشاوروا وائتمروا بفلان هموا به وأمر بعضهم بعضاً بقتله » وبك متعلقان بيأتمرون وليقتلوك اللام تعليلية والمضارع منصوب بأن مضمرة بعدها،

فاخرج الفاء الفصيحة أي إن سمعت نصيحتي فاخرج وإني تعليل لأمره بالخروج وإن واسمها ولك متعلقان بمحذوف حال وعليه اقتصر الزمخشري ومنع تعليقه بالناصحين وأجاز غيره أن يتعلق بالناصحين للاتساع في الظروف أو بما يدل عليه لفظ الناصحين أي ناصح لك من جملة الناصحين • (فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) الفاء عاطفة على محذوف أي ففعل موسى بنصيحته فخرج ومنها متعلقان بخرج وخائفاً حال وجملة يترقب حال ثانية ومفعول يترقب محذوف أي الشر أو لحوقهم به وقيل يترقب غوث الله والأول أنسب بالسياق ورب منادى ونجني فعل دعاء والياء مفعول به ومن القوم متعلقان بنجني والظالمين صفة •

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ
يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي
عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾

اللغــــة :

(تلقاء) : تقدم ذكر المصادر التي وردت على هذا الوزن والمعنى هنا الجهة .

(مدين) : بلدة في مصر تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك فيها البئر التي استقى منها موسى ومدين اسم قبيلة ذكرها ياقوت ، قال الجلال :« وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين ابن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها » .

(سواء السبيل) : وسطــه ومعظــم نهجــه من إضافة الصفة للموصوف أي الطريق الوسط .

(تذودان) : تدفعان أغنامهما عن الماء . ومنه قول الشاعر :

أبيــــت عــلى باب القوافي كأنمـــا

أذود بهــا سرباً من الوحش نزّعـــا

(ما خطبكمـــا) : ما شأنكما قــــال الزمخشري : « وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطباً كما سمي المشئون شأناً في قولك ماشأنك؟ يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده » وفي القاموس وشرحه « الخطب مصدر والشأن يقال : ما خطبك ؟ أي ما شأنك وما الذي حملك عليه والخطب : الأمر صغر أو عظم وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه » ولهذه المادة معان كثيرة يرجع اليها في المعاجم المطولة ولكثرتها نظم بعضهم هذه المعاني بقوله :

ومرّة الوعظ تسمى خُطبة   ثم التماسٌ للنكـاح الخِطبة

وما بـه ُيخطـب فهو الخُطبـه
وخُمْـرة أي في سـواد الشعـر

فحمـرة في كـدرة تدعى خَطَبْ
وخِطبة النكـاح جمعها خِطَبْ

وجمـع خطبـة بمنبر خُطَـبْ
والخطـب سهـل أي سبيـل الأمر

فالأمر مـع صرف الزمان خطْـبُ
والخِطبة الخاطبُ كـلٌ خِطْبُ

جمـع لأخْطَب وخطبـا خُطْبُ
في كـل ذي اختـلاف لون يجري

وفي الوعظ قـل وفي النكـاح خَطَبَا
نعـم وفي كـدرة لون خَطِبـا

وإن ترد صـار خطيبـا خَطُبـا
أتى بسجـع في الكـلام النثـر

(يصدر الرعاء) : الصدر عن الشيء : الرجوع عنه ، يقال في فعله صدر من باب نصر وضرب ، والصَدَر بفتحتين اسم مصدر منه

ويتعدى بنفسه فيقال صدره غيره أي رجعه أي رده ، ويستعمل رباعياً فيقال أصدره غيره . والرعاء : جمع راع على غير القياس لأن فاعلاً الوصف المعتل اللام كقاض قياسه فعله كقضاة ورماة خلافاً للزمخشري في قوله إنه جمع راع على فعال قياس كصيام وقيام ، أما جمع فعال فيطرد في ستة أنواع نوردها فيما يلي :

١ ــ اسم أو صفة ليست عينهما ياء على وزن فَعْل أو فَعْلَة، فالاسم ككعب وكعاب وثوب وثياب ونار ونيار وقصعة وقصاع وجنة وجنان ؛ والصفة كصعب وصعبة وصعاب وضخم وضخمة وضِخام ، وندر مجيئه من معتل العين : كضيعة وضياع وضيف وضِياف .

٢ ــ اسم صحيح اللام غير مضاعف على وزن فَعَل أو فَعَلَة كجمل وجمال وجبل وجبال ورقبة ورقاب وثمرة وثمار .

٣ ــ اسم على وزن فِعْل كذئب وذئاب وظل وظلال وبئر وبئار .

٤ ــ اسم على وزن فُعْل ليست عينه واواً ولا لامه ياء كرمح ورماح وريح ورياح ودهن ودهان ، وأما الدهان في قوله تعالى : « فكانت وردة كالدهان » فسيأتي انه اسم مفرد ومعناه الجلد الأحمر.

٥ ــ صفة صحيحة اللام على وزن فعيل أو فعيلة ككريم وكريمة وكرام ومريض ومريضة ومراض وطويل وطويلة وطوال .

٦ ــ صفة على وزن فَعْلان أو فعْلى أو فَعْلانة أو فُعْلانة كعطشان وعطشى وعطاش وريان وريا ورِواء ونَدْمان ونَدْمى ونِدام وخمصان وخمصانة وخِماص .

وما جمع على فِعال من غير ما ذكر فهو على غير القياس وذلك كَراع وراعية ورِعاء وقائم وقائمة وقيام وصائم وصائمة وصيام وأعجف وعجفاء وعجاف وخيّر وخِيار وجيّد وجِياد وجواد وجياد وأبطح وبِطاح وقلوص وقلاص وأنثى وإناث ونُطفة ونِطاف وفصيل وفِصال وسبُع وسباع وضبع وضباع ونُفَساء ونفاس وعشراء وعِشار .

هذا ولا ندري كيف ند هذا عن الزمخشري فقال في كشافه : « وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام » .

(استحياء) : الاستحياء والحياء الحشمة والانقباض والانزواء قال في المصباح : « يقال استحيت بياء واحدة وبياءين ويتعدى بنفسه وبالحرف فيقال استحيته واستحيت منه » .

(القصص) بفتحتين : مصدر بمعنى المقصوص وقد سمي به فيما بعد المقصوص يقال قص عليه الخبر حدثه به ومصدره قَصَص بفتحتين أما القصص بكسر القاف فهو جمع قصة .

الاعراب :

(ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) الواو استئنافية ولما حينية أو رابطة وتوجه فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وتلقاء مدين ظرف مكان متعلق بتوجه وتلقاء يستعمل مصدراً واسماً للقاء ومكاناً له وقد ذكرنا فيما مضى أن لدينا عشرة مصادر أتت مخالفة فجاءت بكسر أولها ، وجعله شارح القاموس اسماً للمصدر فقال تعليقاً على القاموس « قوله والاسم التلقاء أي اسم

المصدر ولكن يعكر عليه قوله ولا نظير له غير التبيان إذ لم يقل أحد بأن التبيان اسم مصدر بل هو مصدر نادر » وعبارة المحكم : « التلقاء اسم مصدر لا مصدر وإلا لفتحت التاء وقيل مصدر لا نظير له غير التبيان » ومدين مضاف إليه ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء وربي اسمها وان وما في حيزها خبرها وسواء السبيل مفعول ثان أو منصوب بنزع الخافض • (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وجد فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعليه متعلقان بوجد لأن وجد بمعنى لقي وأمة مفعول به أي جماعة كثيفة ومن الناس صفة لأمة وجملة يسقون صفة ثانية أو حال ومفعول يسقون محذوف للعلم به أي مواشيهم • (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) ووجد عطف على وجد الأولى ومن دونهم متعلقان بوجد أيضاً أي في مكان أسفل منهم ، وامرأتين مفعول به أول وجملة تذودان صفة لامرأتين • (قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) ما اسم استفهام مبتدأ وخطبكما خبر والجملة مقول القول ، قالتا فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتح لمناسبة ألف التثنية والألف فاعل وجملة لا نسقي مقول قولهما وحتى حرف غاية وجر ويصدر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والرعاء فاعل والواو حالية وأبونا مبتدأ وشيخ خبر وكبير صفة وسيأتي في باب البلاغة سر الجملة الحالية • (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) الفاء عاطفة على محذوف مقدر يفهم من سياق الكلام وسقى فعل ماض ولهما متعلقان به والمفعول به محذوف أي غنمهما لأجلهما ، ثم حرف عطف وتولى فعل ماض والى الظل متعلقان بتولى أي الى ظل شجرة كانت هناك • (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) رب منادى

وان واسمها ولما اللام حرف جر وما نكرة بمعنى شيء أو اسم موصول أي لأي شيء أو للذي أنزلت والجار والمجرور متعلقان بفقير وأنزلت فعل وفاعل والجملة إما صفة لما إن كانت نكرة أو صلة وإليّ متعلقان بأنزلت ومن خير حال وفقير خبر إن وعدي فقير بحرف الجر لأنه ضمن معنى سائل أو طالب وإلا فهو يتعدى بإلى •

(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من سياق الكلام أي فرجعتا الى أبيهما في زمن أقل مما كانتا تستنزفانه في السقي فسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه بقصة من سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لي فجاءته ، وإحداهما فاعل وجملة تمشي حال من الفاعل وعلى استحياء حال من الفاعل المضمر في تمشي أي مستحيية خفرة وقيل واضعة كم درعها على وجهها حياء منه • (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) إن واسمها وجملة يدعوك خبر وليجزيك اللام للتعليل ويجزيك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيدعوك والكاف مفعول به أول وأجر مفعول به ثان وما مصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأجر أي أجر سقايتك ولنا متعلقان بسقيت • (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فأجابها لا ليأخذ الأجر ولكن لأجل التبرك بأبيها لما سمع منهما انه شيخ كبير ، فمشت أمامه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها أو ألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها : امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت الى أن دخل عليه فلما جاءه وقص عليه ، قص فعل ماض وعليه متعلقان بقص والقصص مفعول به وجملة قال لا محل لها ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم

بلا ونجوت فعل وفاعل ومن القوم متعلقان بنجوت والظالمين صفة وإنما هدأ روعه وطمأنه لأن مدين لم تكن في سلطان فرعون •

البلاغة :

١ ـ الإيجاز :

كثر الإيجاز في هذه الآيات فقد حذف المفعول به في أربعة أماكن أحدها مفعول يسقون أي مواشيهم والثاني مفعول تذودان أي مواشيهما والثالث لا نسقي أي مواشينا والرابع فسقى لهما أي مواشيهما وعلة الحذف أن الغرض هو أن يعلم انه كان من الناس سقي ومن البنتين ذود وأنهما قالتا لا نسقي أي لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى سقي فأما كون المسقي غنماً أو إبلاً أو غير ذلك فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض •

٢ ـ الكناية :

في قوله « وأبونا شيخ كبير » فقد أرادتا أن تقولا له : إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ومالنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ طاعن في السن قد أضعفه الكبر وأعياه فلا مندوحة لنا عن ترك السقيا وارجائها الى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء وبذلك طابق جوابهما سؤاله لأنه سألهما عن علة الذود فقالتا ما قالتاه وإنما ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بامتهان سقيا الماشية على ما فيها من تبذل واطراح حشمة لأن الضرورات تبيح المحظورات مع أن الأمر في حد ذاته ليس بمحظور فالدين لا يأباه

والعادات متباينة ومذهب أهل البدو غير مذهب أهل الحضر خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة .

٣ ــ الإشارة :

وذلك في قوله « على استحياء » فقد أشار بلمح خاطف يشبه لمح الطرف وبلغة هي لغة النظر إلى وصف جمالها الرائع الفتان باستحياء لأن الخفر من صفات الحسان ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن، قال الأعشى :

كــأن مشيتهــــا من بيت جارتهـــا
مر السحابــــة لا ريث ولا عجــــل

وأبدع ابن الرومي ما شاء له الابداع إذ قال :

جرت تدافــــع من وشي لهــا حسن
تدافــع المــــاء في وشي من الحبــب

وان رمق سماء امرىء القيس بقوله :

سموت اليهــــا بعد ما نام أهلهــــا
سمو حباب المــــاء حالاً عــلى حال

وعمر بن أبي ربيعة في رائيته البديعة :

فلما فقــدت الصــوت منهــم وأطفئت
مصابيـــح شبــت بالعشـــي وأنور

وغـــاب قمـــير كنت أرجو غيابـه
وروّح رعيّـــان وهـــوّم سمـــــر

وخفضـ عـني الصوت أقبلـت مشية
الحبـاب وركني خيفـــة القوم ازور

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(قالت إحداهما يا أبت استأجره) قالت احداهما فعل وفاعل وهي الكبرى التي تزوجهـا موسى فيما بعـد ، ويا أبت تقدم إعرابه كثيراً واستأجره فعل أمر وفاعل ومفعول به (إن خير من استأجرت القوي الأمين) الجملة لا محل لها لأنها تعليل للأمر قبلها وسيأتي معنى هذا الكلام الجامع المانع في باب البلاغة ، وإن واسمها ومضاف إليه وجملة استأجرت لا محل لها لأنها صلة الموصول والقوي خبر أول

والأمين خبر ثان • (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) إن واسمها وجملة أريدُ خبرها والجملة مقول القول وأن أنكحك في تأويل مصدر مفعول أريد وفاعل أنكحك ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به أول وإحدى ابنتي مفعول به ثان وابنتي مضاف لإحدى وهاتين صفة لابنتي والاشارة لتمييزها من بين بقية اخواتهما فقد كان له كما يروى سبع بنات • (على أن تأجرني ثماني حجج) على حرف جر دخل على أن وما يليها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في موضع الحال إما من الفاعل أو من المفعول أي مشروطاً عليّ أو عليك ذلك وتأجرني فعل مضارع من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته أي كنت له أباً ومفعول تأجرني الثاني محذوف أي نفسك وثماني حجج ظرف لتأجرني وحجج أعوام ، وتكلف الزمخشري وجهاً ما أدري كيف استقام له وهو أن يكون ثماني مفعولاً ثانياً لتأجرني ، وقد احتاج الى تقدير مضاف أي رعي ثماني حجج ولا داعي لهذا التكلف ، هذا فضلاً عن أن المعنى لا يستقيم معه لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة لا الزمان فكيف يوجه الاجارة على الزمان ؟

(فإن أتممت عشراً فمن عندك) الفاء عاطفة وإن شرطية وأتممت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وعشراً مفعول به والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية ومن عندك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فالتمام من عندك وليس في الأمر إلزام وتحتيم• (وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين) الواو عاطفة وما نافية وأريد فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا وأن وما في حيزها مفعول أريد وعليك متعلقان بأشق ، ستجدني فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به

وجملة إن شاء الله اعتراضية لا محل لها وجواب ان محذوف ومن الصالحين متعلقان بتجدني ومعنى أشق عليك أجعل الأمر صعباً ، قال الزمخشري : « فإن قلت : ما حقيقة شققت عليه وشق عليه الأمر ؟ قلت : حقيقته ان الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه » وسيأتي مزيد من ذلك في باب البلاغة .
(قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره أي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا لا نحيد عنه كلانا ، وأيما الأجلين : أي اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لقضيت وما زائدة للإبهام وسيأتي بحث مستفيض عن أي في باب الفوائد وقيل ان « ما » نكرة بمعنى شيء والأجلين بدل منها وقضيت فعل وفاعل والفاء رابطة للجواب ولا نافية للجنس وعدوان اسمها المبني على الفتح وعلي خبر لا والله مبتدأ وعلى ما نقول متعلقان بوكيل ووكيل خبر الله .

البلاغة :

١ ـ الكلام الجامع المانع :

في قوله تعالى : « إن خير من استأجرت القوي الأمين » في هذه الآية فنون عديدة ولذلك أطلق عليها علماء البلاغة أنها من الكلام الجامع المانع الحكيم الذي لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بأمرك والمتعهد لشئونك وهما الكفاية والأمانة فقد فرغ بالك وتم أمرك وسهل مرادك ؛ ولأنه ذهب مذهب المثل المضروب ليذهب في مرّ العصور وقادمات الدهور ، وفيه التعميم

الذي هو أجمل وأليق في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للتحشم والتصوّن وخصوصاً بعد أن فهمت غرض أبيها وهو تزويجها منه وقد كان عمر بن الخطاب يعجب بهذا التعبير ويرمق سماءه في دعائه فيقول:« أشكو الى الله ضعف الأمين وخيانة القوي »•

وهذا الإيهام من ابنة شعيب قد سلكته زليخا مع يوسف ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والحياء المستعمل ، ليس التكحل في العينين كالكحل حيث قالت : « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » وهي تعني ما جزاء يوسف مما أرادني من السوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً ، ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر وأن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الخنا إيذاناً منها بأن هذا الحياء منها الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر من مراودة يوسف بطريق الأحرى والأولى ، ففي هذه الآية كما رأيت الايجاز والمثل والتعميم والإيهام وفيها أيضاً التقديم فقد قدم ما هو أولى بالتقديم وجعل اسماً ل « إن » وهو خير وورد بلفظ الفعل الماضي للدلالة على أن الأمر ليس بدعاً وانه معروف مبتوت فيه قد جرب وتعورف • ومن التقديم البديع قول أبي الشغب العبسي يتحزّن على خالد بن عبد الله القسري حين أسره يوسف بن عمرو •

ألا إن خير الناس حياً وهالكاً
أسير ثقيف عندهم في السلاسل

لعمري لئن عمرتم السجن خالداً
وأوطأتموه وطأة المتثاقل

لقــــد كان نهّاضاً بكـــل ملمـــة
ومعطي اللهى غمراً كثـــير النوافـل

وخير الناس اسم تفضيل مضاف الى المعرف بأل وهو اسم إن وحياً وهالكاً حالان منـه وأسير ثقيف خبر إن ، وثقيف علم القبيلة والعلم أعرف من المحـلى بأل فخبر إن المضاف اليه أعرف من اسمهـا المضاف المحلّى بأل وقد قدم الاسم للاهتمام به ، وعندهم في السلاسل حال أو خبر بعد خبر ، ولعمري قسم إن عمرتم أي أدخلتم وأسكنتم خالداً السجن وأوطأتموه أي صيرتموه يطـأ الأرض برجله كوطـأة المتثاقل أي الحامل لشيء ثقيل لجعـل القيد في رجليه فهو كناية عن ذلك ، لقد كان نهاضاً جواب القسم وجواب الشرط محذوف أي كان سريع القيام بكل نازلة ثقيلة وكان معطى اللهى بالفتح جمع لهاة كحصى وحصاة أي اللحمة في أقصى الفم لكنها هنا بمعنى الفم نفسه ويجوز أن يكون اللهى بضم اللام جمع لهوة كغرف وغرفة بمعنى العطية من أي نوع كانت .

٢ ـ الايجاز :

وفي قوله « وما أريد أن أشق عليك » إيجاز بليغ فقد ذكرنا معنى شق عليه الأمر وانه مترجح بين اليأس والرجاء ، وفيه إيماء الى أولئك المعاسرين الذين يكلفون عمالهـم أعمالاً تربو عـلى طوقهم وتتجاوز حدود قدرتهم المعهودة ، وعلى هذا درجت الشرائع في حسن المعاملة والأخذ بالأسهل والأيسر ومنه الحديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان لا يداري ولا يشاري ولا يماري » .

الفوائـد :

« أيّ » المشددة :

تأتي « أيّ » المشددة على خمسة أوجه :

١ ــ أن تكون شرطاً نحو « أيما الأجلين قضيت » وقد تزاد ما بعدها للتوكيد .

٢ ــ أن تكون استفهامية : « أيكم زادته هذه إيماناً » .

٣ ــ موصولة : « ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » .

٤ ــ أن تكون دالة على معنى الكمال فتقع صفة للنكرة نحو زيد رجل أي رجل أي كامل في صفات الرجال وحالاً من المعرفة كمررت بعبد الله أي رجل ، قال أبو العتاهية وقد وردت صفة :

إن الشباب والفراغ والجده　　مفسدة للمرء أي مفسده

٥ ــ أن تكون وصلة الى نداء ما فيه أل نحو يا أيها الرجل .
هذا وقد أورد صاحب المغني بيتاً لأبي الطيب فيه « أي » وهو :

أي يوم سررتني بوصال　　لم ترعني ثلاثة بصدود

وقال : « ليست فيه أي موصولة لأن الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة ، قال أبو علي في التذكرة في قوله :

أرأيت أي سوالف وخـدود　　برزت لنا بـين اللوى فزرود

لا تكون أي فيه موصولة لإضافتها الى نكرة » وتابع صاحب المغني كلامـه فقـال : ولا شرطية لأن المعنى حينئذ إن سررتني يوماً بوصالك آمنتني ثلاثة أيام من صدودك ، وهـذا عكس المعنى المراد وإنما هي للاستفهام الذي يراد به النفي كقولك لمن ادعى أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني ؟ والمعنى ما سررتني يوما بوصالك إلا روعتني ثلاثة بصدودك ، والجملة الأولى مستأنفة قدم ظرفها لأن له الصدر والثانية اما في موضع جر صفة لوصال على حذف العائد أي لم ترغني بعده كما حذف في قوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس » الآية ، أو نصب حالاً من فاعل سررتني أو مفعوله والمعنى أي يوم سررتني غير رائع لي أو غير مروع منك وهي حال مقدرة مثلهـا في « طبتم فادخلوها خالدين » أو لا محل لها على أن تكون معطوفة على الأولى بفاء محذوفة كما قيل في « وإذ قـال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا : أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله » وكذا في بقية الآية وفيه بُعد ، والمحققون في الآية على أن الجمل مستأنفة بتقدير : فما قالوا له ؟ فما قال لهم ؟ ومن روى ثلاثة" بالرفع لم يجز عنده كون الحال من فاعل سررتني لخلو ترعني من ضمير ذي الحال .

وقال أبو البقاء العكبري في شرحه لديوان المتنبي : « أي نصب وهو استفهام خرج مخرج النفي كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط كما قال الهذلي :

إذهب فـأي فتى في الناس أحـرزه

من حتفه ظلَـم دُعْج" ولا جبـل

ولا يجوز أن تكون « أي » شرطية تتعلق الجملة بالجملة تعلق الجزاء بالشرط ، وإذا حملته على الشرط كان مناقضاً للمعنى الذي أراده فكأنه يقول : إن سررتني يوماً بوصالك أمنتني ثلاثة من صدودك وهذا عكس مراده ٠

وهذا البيت من جملة أبيات غزلية استهل بها أبو الطيب قصيدة قالها في صباه ونورد هنا الأبيات الغزلية لنفاستها ونعرب بعض ما فيه فائدة منها :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطّلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود
درّ درُّ الصبّا أأيام تجرير ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدوراً طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهُدب تشقُّ القلوب قبل الجلود
يترشّفن في فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد
كلُّ خُمصانةٍ أرقّ من الخمر بقلبٍ أقسى من الجلمود
ذات فرع كأنما ضُرب العنبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف مثل دجوجيّ أثيثٍ جَعْد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريح وتفترّ عن شتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقم وبين الجفون والتسهيد
أهلُ ما بي من الضنى بطل صيد بتصفيف طرّة وبجيد

كلّ شيء من الدمــاء حرام شربه ما خــلا دم العنقود
فاسقنيها فدىً لعينيك نفسي من غزال وطــارفي وتليــدي
شيب رأســي وذلتي ونحولي ودموعي على هواك شهودي

أي يوم سررتني ••• (البيت)

إعراب بعض الكلمات :

(كم) خبرية وتمييزها مجرور بالاضافة إليها أو بمن وقد تقدم القول فيها مطولاً وهي هنا في محل رفع مبتــدأ خبره ببياض ، وكما قتلت نعت لمصدر محذوف ، هــذا ولهم في العشق حديث طويــل ، وخبره عند أرباب التصوف معقول قال الجنيد: « العشقة ألفة رحمانية وإلهام شوقي أوجبهما كرم الله عــلى كل ذي روح لتحصل به اللــذة العظمى التي لا يقدر على مثلهــا إلا بتلك الألفــة وهي موجودة في الأنفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الــدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم » وقد وصف الله تعــالى نفسه بالحب فقــال : « يحبهم ويحبونه » وقد تقدم القول فيه مطولاً ، وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع ، وقال الفضيل بن عياض كلاماً جميلاً منه : « لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية ، وما أحسن قول أبي فراس الحمداني :

وكــم في الناس من حسن ولكــن
عليك لشقوتي وقــع اختيــاري

وقال رجل من العرب لبعض بني عذرة : ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة ألفها وليس ذلك إلا ضعف نفس أو خور تجدونه، يا بني عذرة فقال : أما والله لو رأيتم الحواجب الزّجّ ، فوق النواظر الدعج ، تحتها المباسم الفلج ، لاتخذتموها اللات والعزى » هذا وقد استند أبو الطيب في قوله « شهيد » الى حديث يروونه : هو : « إن من عشق وعف وكتم فمات مات شهيداً » .

(عمرك الله) : مصدر يقال : أطال الله عُمرك وعَمراك بالضم والفتح وهما وإن كانا مصدرين بمعنى إلا أنه استعمل أحدهما في القسم وهو المفتوح العين فإذا أدخلت عليه لام الابتداء رفعته بالابتداء والخبر محذوف والتقدير لعمر الله قسمي فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا فكأنك قلت بتعميرك الله أي باقرارك له بالبقاء ، ومنه قول عمر ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثّريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

يريد سألت الله أن يطيل عمرك وهو في قول أبي الطيب مصدر ومعناه : سألت الله أن يعمرك تعميراً .

(أحلى من التوحيد) قال الواحدي : « كنّ يمصصن ريقي لحبهنّ إياي فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وهذا إفراط وتجاوز حد » .

قال ابن القطاع : ذهب كثير من الناس الى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع وذلك غلط والصحيح أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه :

أحدها : أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل فهذا يكون حقيقة في الفضل لا مجازاً وذلك كقولك زيد أفضل من عمرو وهذا السيف أصرم من هذا .

والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريباً منه ومحتملاً للحاق به وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل نحو قولك الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ، وبيت المتنبي من هذا القبيل أي يترشفن من فمي رشفات هنّ قريب من التوحيد .

والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريباً منه والثاني دون الاول فهـذا يكون على الإخبـار المحض نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر والأسد أجرأ من النمر .

والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجد له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل الثاني نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمض من السيف .

والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جداً فيكون هذا على المبالغة المحضة نحو قامته أتمّ من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس وجـاء في الحديث : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر » ذهب من لا يعرف معاني الكلام أن أبا ذر أصدق العالم أجمع وليس الأمر كذلك وإنما

فى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت .

(كل خمصانة) : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفن وعلى هذا يرفع أرق حملاً على كل ، ويجوز نصب كل حملاً على النعت لقوله بدوراً أو على البدلية منها والخمصانة الضامرة والذكر خمصان .

(أهل ما بي من الضنى بطل) أهل مبتدأ خبره بطل أو خبر لمبتدأ محذوف والمعنى أنا أهل ما بي وحقيق به وأنا بطل صيد .

(ما خلا دم العنقود) : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيداً فليس إلا النصب لأن خلا يتحتم كونها فعلاً لدخول ما المصدرية عليها ، وإذا قلت جاء القوم خلا زيد كان الجر لا غير .

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ
نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ
ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ

فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

الاعراب :

(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من السياق والتقدير فتم العقد بينهما على الإجارة والنكاح ومارس المهمة التي أنيطت به على أحسن وجه وأكمله فلما . ولما حينية أو رابطة وجملة قضى موسى الأجل لا محل لها وسار عطف على قضى وبأهله جار ومجرور متعلقان بسار وجملة آنس لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن جانب الطور متعلقان بآنس وناراً مفعول به ولك أن تجعل من جانب الطور حالاً لأنه كان صفة لناراً وتقدم عليها . (قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً) لأهله متعلقان بقال وجملة امكثوا مقول القول وجملة إني تعليل للأمر بالمكث وإن واسمها وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به . (لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) جملة الرجاء حال أي راجياً ولعل واسمها وجملة آتيكم خبرها والكاف مفعول به ومنها حال لأنه كان صفة لخبر وبخبر متعلقان بآتيكم وأو حرف عطف وجذوة عطف على خبر وهي مثلثة الجيم : الشعلة من النار والقطعة من الحطب وجمعها جذا ، قال ابن مقبل :

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها

جزل الجذا غير خوار ولا ذعر

ومن النار نعت لجذوة وجملة الرجاء حال أيضاً ولعل واسمها وجملة تصطلون خبرها • (فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) الفاء عاطفــة عــلى محذوف يقتضيه السياق أي فسار نحوها فلما أتاها ، وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن شاطىء الوادي متعلقان بنودي والأيمن صفة لشاطيء وفي البقعة حال من الشاطيء والمباركة صفة للبقعة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطىء الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء وقد تقدم نظيره في قوله : « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم» أي أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة• (أن يا موسى إني أنا الله رب العالمــين) أن مفسرة لأن النــداء قول والتقدير أي يا موسى ، وأجاز أبو البقاء وغيره أن تكون مخففة من الثقيلة واسمها محذوف يفسره جملة النداء أي نودي بأنه أي الشأن ، وإني إن واسمها وهي مكسورة الهمزة باتفاق القراء لأن النداء قول وأنا ضمير فصل أو مبتــدأ والله خبر إن أو خبر أنا والجملة خبر إن ورب العالمين نعت لله أو بدل منه • (وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولّى مدبراً ولم يعقب) الواو عاطفة وأن مفسرة معطوفة على سابقتها وألق فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعصاك مفعول به ، فلما الفاء عاطفة عــلى مقدر يقتضيه السياق أي فألقاها فصارت ثعباناً ورآها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة تهتز حالية وجملة كأنها جان حال من فاعل تهتز وكأن واسمها وجان خبرها وجملة ولى لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفاعل ولى مستتر تقديره هو ومدبراً حال والواو عاطفــة وجملة لم يعقب عطف عــلى ولى أي ولم يرجع • (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) أقبل فعل أمر

وفاعله مستتر تقديره أنت ولا تخف لا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وإن واسمها ومن الآمنين خبرها والجملة تعليل للأمر بالإقبال والنهي عن الخوف • (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) اسلك يدك فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وفي جيبك متعلقان باسلك من سلك الشيء في الشيء أنفذه فيه ، وتخرج فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل مستتر تقديره هي وبيضاء حال ومن غير سوء متعلقان ببيضاء وقد تقدم تعليل ذلك في سورة طه فجدد به عهداً • (واضمم إليك جناحك من الرهب) قال الزمخشري : « فإن قلت ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب ؟ قلت : فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له : إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى • والمراد بالجناح اليد لأن يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه ، والثاني أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعاره من فعل الطائر لأنه إذا خوّف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران • ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح ، فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي » •

واضمم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واليك متعلقان باضمم وجناحك مفعول به ومن الرهب متعلقان باضمم بمثابة التعليل له أي من أجل الرهب وقيل بولى أي هرب من الفزع ، وقيل بمدبراً ، وقيل بمحذوف أي يسكن من الرهب ، والرهب بفتح الراء والهاء وبفتح الراء واسكان الهاء . وسيأتي مزيد تفصيل في باب البلاغة .

(فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوماً فاسقين) الفاء الفصيحة أي إذا تأملت بذلك واستيقنت منه فذانك ، وذانك اسم إشارة وهي تثنية ذاك ومن قرأ ذانّك بالتشديد جعلها تثنية ذلك بلام البعد ويكون التشديد عوضاً عنها وبرهانان خبر ومن ربك صفة لبرهانان أي مرسلان من ربك والى فرعون متعلقان بمرسلان وملئه عطف على فرعون وجملة إنهم تعليل لإرسال البرهانين وان واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وقوماً خبرها وفاسقين صفة لقوماً .

البلاغة :

تقدم معظم ما في هذه الآيات من فنون البلاغة من استعارة واحتراس ، ونضيف الى ما تقدم ما أورده الامام الزمخشري بأسلوبه الساحر وهذا نصه : « فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله : « واضمم إليك جناحك » وفي طه « واضمم يدك الى جناحك » فما التوفيق

بينهما ؟ قلت : المراد الجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم اليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح » .

وقال الزمخشري أيضاً : « فإن قلت لم سميت الحجة برهاناً ؟ قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معاً » وهذا تعليل لطيف لا يحسن استنباطه غير هذا الامام ومعنى ذلك أن النون في البرهان زائدة ، يقولون أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم الحجة أيضاً سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها ، وفي معاجم اللغة : وأبره أتى بالبرهان أو بالعجائب وغلب الناس وهذا هو قول الزمخشري والمحققين ، وزعم صاحب القاموس في أحد قوليه أن النون أصلية قال وبرهن عليه أقام البرهان، والبرهان بالضم الحجة فتدبر .

الفوائـد :

عصا موسى أيضاً :

قدمنا في سورة طـــه بحثاً مستفيضاً عن العصا ونضيف هنا ما يتعلق بعصا موسى خاصة ، روى التاريخ أن شعيباً كانت عنـده عصي الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا كان شعيب مفتوناً بها وكان مكفوفاً فضن بها فقال : غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأناً ، وقيل أمر شعيب ابنته أ نتعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه فوقعت في يدها سبع مرات كما تقدم وفي كتب التفسير طرائف عن تلك العصا لا مجال لها في كتابنا .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي
هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا
بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ
مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

اللغــــة :

(ردءاً) : معيناً ، يقال ردأته : أعنته والرِّدْء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كمـا أن الدفء اسم لما يدفأ به . قال سلامة ابن جندل :

ورِدئي كـــل أبيض مشرفي شحيذ الحدّ عضب ذي فلول

أي وردئي الذي أتوقى به المكاره كـل سيف أبيض ، وعبّر بكـل لأن المراد بيان الجنس لا الشخص ومشرفي نسبة الى مشارف اليمن وهي قرى منها وقيل من الشام ، وشحيذ الحد مرهفه من شحذ المدية أي حددها ، والعضب : القاطع ، والفلول : جمع فلّ وهو كسر

في حد السيف وانثلام أي به فلول من قراع الكتائب • وقال النحاس: يقال ردأته وأردأته •

(العضد) : بفتح العين وضم الضاد وبالضم وبالكسر : غليظ الذراع وهو من المرفق الى الكتف جمعه أعضاد وأعضُد وهو قوام اليد وبشدته تشتد • قال طرفة ، وقيل لأوس ابن حجر :

أبني لبيني لستمو بيد   إلا يداً ليست لها عضد

وللعين مع الضاد فاء وعيناً للكلمة خاصة القوة والصلابة والاصطلام تقول عضه يعضه عضاً أمسكه بأسنانه ويقال أيضاً عض به وعض عليه وعضه الزمان اشتد عليه وأعضّ السيف بساق البعير ، قال لبيد :

ولكنا نعض السيف منها   بأسوق عافيات الشحم كوم

وعضته الحرب ، قال الأخطل :

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم

وقيس عيلان من عاداتها الضجر

وملك عضوض : غشوم ، وعن أبي بكر : « سترون بعدي ملْكاً عضوضاً وأمة شعاعاً » وبئر عضوض : بعيدة القعر كأنها تعض الماتح بما تشق عليه ، وعضبته بلساني شتمته ، ورجل عضّاب : شتام، وعضبته عن حاجة : قطعته ، ومالك تعضبني عما أنا فيه ، والعضب بالسيف القاطع والرجل الحديد الكلام ، وعضبر الكلب : استأسد والعِضبارة : حجر الرحى وصخرة يقصر القصّار الثوب عليها ،

والمعضاد : سكين كبير للقصاب يقطع به العظام ، وأعضل الأمر : اشتد وبه داء عضال ، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم ، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها فمنعوه فقال :

واحـدةٌ أعضلتكـم أمرها   فكيف لو درتُ عـلى أربع

وفلان عضلة من العُضَل : داهية من الدواهي وعضلت عـلى فـلان : ضيقت عليه أمره وحلت بينه وبين ما يريـد ، ومنـه « ولا تعضلوهن » ورمـاه بالعضيهة أي الافك ، وقـال عليه السلام : « لا تعضية على أهل الميراث » أي لا يدخل عليهم الضرر بقسمة نحو السيف والخاتم .

الاعراب :

(قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة كما تقدم وان واسمها وجملة قتلت خبرها ومنهم حال لأنه كان في الاصل صفة وتقدمت ونفساً مفعول به، فأخاف الفاء عاطفة وأخاف فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا وان وما في حيزها مفعول أخاف ويقتلون منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والنون للوقاء وياء المتكلم المحذوفة مفعول به . (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) الواو عاطفة وأخي مبتدأ وهارون بدل أو عطف بيان وهو مبتدأ وأفصح خبر هو والجملة خبر أخي ومني متعلقان بأفصح ولساناً تمييز ، فأرسله الفاء الفصيحة وأرسله فعل أمر للدعاء وفاعله أنت والهاء مفعول به ومعي ظرف متعلق بأرسله وردءاً حال

وسيأتي معنى التصديق في باب البلاغة ويصدقني فعل مضارع مرفوع ولو جزم لجاز وقرىء به على أنه جواب للطلب والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة مستأنفة أو صفة لردءاً أو حال من مفعول أرسله وجملة إني أخاف تعليل للملتمس وان واسمها وجملة أخاف خبر ان وأن وما في حيزها مفعول أخاف . (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً) جملة سنشد مقول القول وفاعل نشد نحن وعضدك مفعول به وبأخيك جار ومجرور متعلقان بنشد ونجعل عطف على سنشد ولكما في محل نصب مفعول ثان لنجعل وسلطاناً مفعول نجعل الأول أي غلبة وحجة واضحة وقد مر تفسيره في باب اللغة . (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) الفاء عاطفة ولا نافية ويصلون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإليكما متعلقان بيصلون وبآياتنا يجوز فيه أن يتعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أو بيصلون أو بسلطاناً أي نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف حال أو من لغو القسم ولا أرى موجباً للترجيح في هذه الأوجه فاختر منها ما ترى ترجيحه ، وأنتما مبتدأ ومن اسم موصول معطوف على أنتما وجملة اتبعكما صلة من والغالبون خبر أنتما .

(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا إلا سحر" مفترى) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءهم موسى فعل ومفعول وفاعل وبآياتنا متعلقان بجاءهم أو بمحذوف حال وبينات حال أي واضحات الدلالة وجملة قالوا جواب لما وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر ومفترى صفة . (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) الواو عاطفة وما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا وفي آبائنا حال من هذا فهو متعلق

بمحذوف تقديره كائناً والأولين نعت لآبائنا • (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) ربي مبتدأ وأعلم خبره وبمن متعلقان بأعلم وجملة جاء بالهدى صلة من ومن عنده حال • (ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) الواو عاطفة ومن عطف على من الأولى وتكون فعل مضارع ناقص وله خبرها المقدم وعاقبة الدار اسمها المؤخر ، ويجوز أن يكون اسم تكون ضمير الشأن أو ضمير القصة وله خبر مقدم وعاقبة الدار مبتدأ مؤخر والجملة خبر تكون ، ويجوز أن تكون تامة فتكون جملة له عاقبة الدار حالاً وفاعل تكون ضمير يعود على من وان واسمها وجملة لا يفلح الظالمون خبرها •

البلاغة :

١ ــ الاسناد المجازي :

في قوله « فأرسله معي ردءاً يصدقني » إسناد مجازي ، فقد أسند اليه التصديق لأنه السبب فيه ، ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فاسناده حقيقة وليس في السبب تصديق لكن استعير له الاسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على ذلك قوله « إني أخاف أن يكذبون » فليس الغرض من قوله يصدقني أن يقول صدقت أو يقول للناس صدق أخي وانما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه ، ويجادل الكفار ببيانه وأن يقرر الحجة ويورد البرهان مدعوماً بالأرقام كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة ، ألا ترى الى قوله : « وأخي هارون هو أفصح مني لساناً » وفي هذا دليل على سمو البيان وشرفه وإنافته على الكلام العادي الذي لايصيب المحز ولايتغلغل الى أغوار النفوس•

٢ ـ المجاز المرسل :

وفي قوله « سنشد عضدك بأخيك » مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين تتبع احداهما ثانيتهما فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية واختار الشهاب في حاشيته على البيضاوي أن يكون كناية تلويحية قال : « الشد التقوية فهو اما كناية تلويحية عن تقويته لأن اليد تشد بشد العضد والجملة تشد بشد اليد أو استعارة تمثيلية شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بالعضد » وليس ببعيد .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى
يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى
لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ
إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

اللغــــة :

(أطّلع) : الطلوع والاطلاع : الصعود ، يقال طلــع الجبــل واطلع بمعنى وإن نفسك لطَلّعة" إلى هــذا الأمر وانها لتطلّــع إليه أي تنازع .

(المقبوحــين) : المقبوح : المطــرود وقبحــه الله : طرده ، وفي المصباح : « قبــح الشيء قبحاً فهو قبيح من باب قرب وهو خــلاف حسن وقبحه الله يقبحه بفتحتين : نحاه الله عن الخــير وفي التنزيل : « وهم من المقبوحين » أي المبعدين عن الفوز والتثقيل مبالغة وقبح عليه فعله تقبيحاً » .

وقال أبو زيد : قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً أبعده من كل خير ، وقال أبو عمــرو : قبحت وجهــه بالتخفيف بمعنى قبّحت بالتشديد ومثله قول الشاعر :

ألا قبح الله البراجــم كلهــا   وقبــح يربوعاً وقبــح دارما

الاعراب :

(وقال فرعون يا أيها المــلأ ما علمت لكم من إله غيري) الواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق أي وقال فرعون بعد ما جمع السحرة لمعارضته وكان بينهم وبين موسى ما كان ، ويا حرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة بني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والملأ بدل وما نافية وعلمت فعل وفاعل ولكم حال ومن حرف جر زائد وإلــه

مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً لأنه مفعول به وغيري صفة لإله • (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً) الفاء الفصيحة وأوقد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ويا حرف نداء وهامان منادى مفرد علم وعلى الطين متعلقان بأوقد ، فاجعل عطف على أوقد ولي في محل نصب مفعول ثان لاجعل وصرحاً مفعول أول • (لعلي أطلع الى إلـه موسى وإني لأظنه من الكاذبين) لعل واسمها وجملة أطلع خبرها والى إله موسى متعلقان بأطلع وإني الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة أظنه خبر والهاء مفعول به أول ومن الكاذبين في موضع المفعول الثاني • (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) عطف على وقال فرعون وهو فاعل استكبر أو توكيد للفاعل لأن استتار الفاعل في الغائب جائز وجنوده عطف على هو وفي الأرض متعلقان باستكبر وبغير الحق حال من فاعل استكبر أي ملتبسين بغير الحق • (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) وظنوا عطف على استكبر وأن وما يليها سدت مسد مفعولي ظنوا وإلينا متعلقان بيرجعون ولا نافية وجملة لا يرجعون خبر أن • (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فأخذناه عطف على ما تقدم وأخذناه فعل وفاعل ومفعول به وجنوده عطف على الهاء في أخذناه أو مفعول معه فنبذناهم عطف على فأخذناه وفي اليم متعلقان بنبذناهم ، فانظر الفاء الفصيحة وانظر فعل أمر وكيف خبر مقدم لكان وعاقبة الظالمين اسمها المؤخر • (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وأئمة مفعول به ثان وجملة يدعون صفة لأئمة والى النار متعلقان بيدعون ويوم القيامة الواو عاطفة ويوم القيامة ظرف متعلق بينصرون ولا نافية وينصرون

فعل مضارع مبني للمجهول ولك أن تجعل الواو حالية والجملة حال .
(وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) وأتبعناهم عطف على ما تقدم وفي هذه الدنيا حال والدنيا بدل من هذه ولعنة مفعول به ثان .
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله المقبوحين كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة وإنما قدرنا محذوفاً لأن تعليقه بالمقبوحين وهو الظاهر يمنع منه وجود أل الموصولية ، على أنهم قد اتسعوا في ذلك فعلقوه بمدخولها ولا مانع من ذلك ولك أن تعطفه على موضع في هذه الدنيا أي وأتبعناهم لعنة يوم القيامة وهم مبتدأ ومن المقبوحين خبره .

البلاغة :

في قوله « فأوقد لي يا هامان على الطين » إطناب بديع وذلك أنه لم يقل اطبخ لي الآجر وذلك ليتفادى ذكر كلمة الآجر لأن تركيبها — على سهولة لفظه — ليس فصيحاً وذلك أمر يقرره الذوق وحده ، ألا ترى إلى هذه الكلمة وقد وقعت في بيت للنابغة الذبياني من قصيدته الدالية التي أولها :

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

والبيت هو :

أو دمية من مرمر مرفوعة بنيت بآجر يشاد بقرمد

فلفظة آجر في البيت قلقة نابية لابتذالها ، فإن شئت أن تعلم شيئاً من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن فانظر الى هذا الموضع فإنه

لما جيء فيه بذكر الآجر لم يذكره بلفظه ولا بلفظ القرْمد أيضاً لكنه ذكر في القرآن على وجه آخر فعبر عن الآجر بالوقود على الطين ، ثم ان هذه العبارة أحسن مطابقة لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ « يا » في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وقد اشتملت هذه العبارة على الكثير من ألفاظ الجبابرة العتاة وذلك على الوجه التالي :

١ً ـ نادى وزيره بحرف النداء ٠

٢ً ـ توسيط ندائه خلال الأمر وبناء الصرح ٠

٣ً ـ رجاؤه الاطلاع الى الله ٠

٤ً ـ الغباء الذي يلازم الجبابرة العتاة إذ يقعون في التناقض من حيث لا يشعرون فقد صرح قبل هنيهة بقوله « ما علمت لكم من إله غيري » فعبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وأعلن تصميمه على الجحود ثم ما عتم أن أعلن رجاءه الاطلاع فهل كان مصمماً على الجحود أم لم يكن ٠

فصل في اختيار الألفاظ :

هذا وقد عني علماء البيان باللفظة وسر اختيارها وخلاصة ما يقال فيه : أن حسن الألفاظ وقبحها أمر يعود الى الذوق وحده فما استحسنه كان حسناً وما استقبحه كان قبيحاً ، فالاستعمال ليس بدليل الحسن ، وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ واختيارها فإنه معذور في أن يقول ما قال :

لايعرف الشوق إلا من يكابـــده
ولا الصبابـــة إلا من يعانيهـــا

والصاحب بن عباد الذي كان من المفتونين بأبي الطيب ، والذي كان يستعمل أشعاره في كتاباته ويقتبس منها ، عندما حصلت بينه وبين أبي الطيب المتنبي الجفوة بسبب ترفع هذا عن مجاوبته فقد ذكروا أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو إذ ذاك شاب ولم يكن قـد استوزر بعد ، وقد كتب الصاحب اليه يلاطفه في استدعائه ويضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه الى كتابه ولم يحقق مراده ، وقصد المتنبي بعد ذلك الى حضرة عضد الدولة بشيراز فأسفرت سفرته ــ كما يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر ــ عن بلوغ الأمنية ، وورود مشروع المنية ، وذلك أن المتنبي قتل عند مغادرته إياه محملاً بالعطايا والهبات •

قال الثعالبي : « واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهـم لها ، وأكثرهم استعمـالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته » •

وقد عمل الصاحب رسالة فيما أخذه على المتنبي ، وإذا فرضنا أن الذي دعا الصاحب إلى عمل هذه الرسالة هو استياؤه من المتنبي حيث تعاظم عن مدحه فإنا نجده لم يتحامل عليه بالباطل في شيء منها ولم يظلمه بحرف واحد جاء فيها ولم يعبه إلا بما هو عيب ولم يستطع

أن ينال منه إلا من طريق الألفاظ وحـدها • ونورد هنا نمـاذج من هذه الرسالة •

١ ـــ أخذ الصاحب على المتنبي التفاصح بالألفاظ الشاذة فمن ذلك قوله :

أيفطمُـــه التوراب قبل فطـــامه

ويأكله قبـــل البلوغ الى الأكـــل

قال : « وما أرى كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة أشعاره » والتوراب : التراب •

ومعنى البيت : أيفطمه التوراب قبل أن تفطمه أمه ويأكله التراب قبل أن يبلغ سن الآكل •

٢ ـــ وأخذ عليه لفظة ترنج بقوله :

شديد البعـــد من شـرب الشمـول

ترنـج الهنـد أو طلـــع النخيـــل

قال الصاحب ساخراً : «فلا أدري أإستهلال الأبيات أحسن؟أم المعنى أبدع ؟ أم قوله ترنج أفصح » ولقد أصاب الصاحب فاللغة الفصيحة هي أترج وأترجة ومنه الحديث مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة ريحها طيب وطعمهـا طيب ، وحكى أبو زيد ترنج وترنجـة ، يقول أبو الطيب : ترنج الهند وطلع النخيل شديد بعدهما عن محلك من شرب الخمر وإن كان غيرك يتخذهما لذلك لأن هذه الحال غير مظنونة

بك وانما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعاً بحسن ذلك .

٣ ـ وانتقد الصاحب جمع الآخاء في شعره إذ قال ·

كل آخائه كرام بني الدنيا ولكنه كريم الكرام

قال : « ولو وقع الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام

وأنلناك بدرة في المنام

والكلام إذا لم يتناسب زيّفه جهابذته ، وبهرجه نقاده » .

وعلى هذا النحو يمضي في كشف مساوىء المتنبي وكلها أمور ترجع الى اللفظة وحدها وسيرد معنا الكثير منها فلنكتف بما ذكرناه الآن منها .

وعاب النقاد القوافي المتاثة ، فعابوا على أبي تمام قافيته الثائية في قصيدته التي مطلعها :

قف بالطلول الدارسات علاثا

أضحت حبال قطينهن رثاثا

وعلاثا منادى مرخم وأصله يا علاثة . وعابوا على أبي الطيب قافيته الشينية في قصيدته التي مطلعها :

مبيـــتي مـــن دمشق عـــلى فراش
حشـــاه لي بحـــرّ حشاي حـــاش

وعابوا على ابن هانئ الأندلسي قافيته الخائية في قصيدته التي مطلعهـــا :

سرى وجنـــاح الليـــل أقتم أفتخ
حبيبٌ ضجيـــع بالعبـــير مضمّخ

والاقتم : المظلم ، والأفتخ : المستطيل .

وحسبنا ما تقدم فقد كدنا نخرج بالكتاب عن موضوعه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ
بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾
وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ
تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ
نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

اللغـــة :

(بصائر) : البصيرة : العقل والفطنة والعبرة والشاهد والحجة يقال : جوارحه بصيرة عليه أي شهود وفراسة ذات بصيرة أي صادقة والجمع بصائر وقوله « بصائر للناس » أي أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بها بين الحق والباطـل بعد أن كانت عميا عن الفهـم والادراك بالكلية فالبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر وسيأتي المزيد من معناها في باب الاعراب .

(ثاوياً) : مقيماً ، يقال ثوى يثوي من باب ضرب ثواء وثـوياً المكان وفيه وبه أقام وثوى الرجل مات قـال عبيـد بن الأبرص في مطلع معلقته :

آذنتنـا ببينهـا أسماء　　　رب ثاوٍ يمـلّ منه الثواء

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الواو استئنافية والـلام جواب للقسم المحـذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ومن بعد متعلقان بآتينا وما مصدرية وأهلكنا فعل وفاعل والقرون مفعول به والأولى صفة . (بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) بصائر حال من الكتاب أو مفعول لأجله ، وعلى الحالية لا بد من تقدير مضاف أي ذا بصائر ، أو على المبالغة ، وللناس نعت لبصائر وهـدى ورحمة عطف عـلى بصائر ولعلهم يتذكرون لعـــل واسمها وجملة

يتذكرون خبرها • (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية وكنت كان واسمهـا وبجانب خبرهـا والغربي مضاف إليـه أي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي فيكون من حـذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، واختاره الزجاج ، وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي أي حيث ناجى موسى ربه ، وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور وجملة قضينا مجرورة بإضافـة الظرف اليها والأمر مفعول به والواو حرف عطف وما نافية وكنت كان واسمها ومن الشاهدين خبرها والأمر المقضي هو الوحي الذي أوحي إليه • (ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة أنشأنا خبرها ونا فاعل وقروناً مفعول به فتطاول عطف عـلى أنشأنا وعليهم متعلقان بتطاول والعمر فاعل • (وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلـين) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وثاوياً خبرها وفي أهل مدين متعلقان بثاوياً وجملة تتلو في موضع نصب خبر ثان لكنت أو حال من الضمير في ثاوياً ، ولكنا الواو حالية أو عاطفة ولكن واسمهـا وجملة كنا خبرها وكان واسمها وجملة مرسلين خبرها •

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وبجانب خبر كنت والطور مضاف اليه والظـرف متعلق بالاستقرار الـذي تعلق به الخبر وهو بجانب والخطاب في الآيتين لمحمد صلى الله عليه وسلم أي وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ولا كنت من الشاهدين الوحي ولا كنت بجانب الطور حين ناديناه ليأخذ التوراة ؛ وجملة

نادينا في محل جر بإضافة الظرف اليها ، ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه خفف ورحمة مفعول لأجله أي أرسلناك وعلمناك هذا كله رحمة ومن ربك صفة لرحمة . (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) لتنذر اللام للتعليل وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بأرسلناك المحذوفة وإنما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف الفاعل وقوماً مفعول به وجملة ما أتاهم صفة لقوماً وما نافية وأتاهم فعل ماض ومفعول به ومن حرف جر زائد ونذير مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ومن قبلك صفة لنذير ولعل واسمها وجملة يتذكرون خبرها .

البلاغة :

١ ــ جناس التحريف :

في قوله : « ولكنا كنا مرسلين » جناس التحريف الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما وقد مرت له نظائر وستمر نظائر كثيرة ومثاله في الشعر قول أبي العلاء المعري :

والحسن يظهر في شيئين رونقه
بيت من الشِعر أو بيت من الشَعر

وله أيضاً :

لغيري زكاة من جمال فإن تكن
زكاة جَمال فاذكري ابن سبيل

فالتجنيس في الأول بين « الشعر » و « الشعر » وفي الثاني بين « جمال » و « جمال » وما ألطف قول بهاء الدين زهير :

زها ورد خـــديك لكنـــه بغـــير النواظر لـم يقطف
وقــد زعمــوا أنه مضعف وما علمـــوا أنــه مضعفي

٢ ـ الاشارة :

وقد تقدم بحث هذا الفن أكثر من مرة وتتناوله الآن بصورة مسهبة كما تتناول الرمز الذي شاع في العصر الحديث ليكون كتابنا جامعاً لأفانين الأدب ، أما الإشارة في الآية فهي : ما أشارت اليه كلمة « الأمر » من قولــه « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر » فقد أشارت الى ابتداء نبوة موسى وخطاب الحق له وإعطائه الآيات البينات من إلقـاء العصا لتصـير ثعباناً وإخراج يـده بيضاء وإرساله إلى فرعون ، وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون ، الى جميع ما جرى في ذلك المقام ، وأمثال هذه المواضيع إذا تقصاها الباحث خرجت عن حد الحصر في الكتاب العزيز .

الاشارة في الشعر :

وقد قدمنا نماذج شعرية من هذا الفن ، ويرى قدامة أن أفضل بيت في الإشارة قول زهير :

وإني لــو لقيتـــك فاجتمعنـــا
لكـان لكـــل منـدية لقـــاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه • وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحق بن ابراهيم الموصلي :

جعلنا السيف بين الخدّ منه وبين سواد لمتـــه عـذارا

فأشار الى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على كيفيتها وانما وصف أنهم ضربوا عنقه • ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى « الحاقة ما الحاقة » وقول كعب بن سعد الغنوي :

أخي ما أخي لا فاحش عنـــد بيتـه
ولا ورع عنـــد اللقـــاء هيوب

وأما الإيماء فكقوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم » فأومأ الى ما غشيهم وترك التفسير وتقدم ذكره بعنوان الابهام ، وقال كثير صاحب عزة :

تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت مـا خلفت بين الجوانح

فقوله « خلفت ما خلفت » إيماء مليح •

ومن أنواع الاشارة الرمز كقول أحـدهم يصف امرأة قتـل زوجها وسبيت :

عقلتُ لها من زوجهـا عَدَدَ الحصى
مع الصبح أو مَعْ جنح كل أصيـل

يريد أني لم أعطها عَقْلاً ولا قَوَداً بزوجها إلا الهم الذي يدعوها الى عدّ الحصى ، وأصل العقل أخذ الدية ، وعدد الحصى مفعول عقلت وأصله من قول امرىء القيس :

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً
أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

يريد أنه لما غشي ديار الحي فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه وجلس مفكراً يعد الحصى ودموعه لا ترقأ ، ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كئوساً ممزوجة فيها صور منقوشة وقد تقدم ذكر هذه الأبيات ومنها هنا :

قرارتها كسرى وفي جنباتها
مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زُرّتْ عليه جيوبُها
وللماء ما دارت عليه القلانس

يقول : ان حدّ الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكئوس الى التراقي والنحور وزيد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب الى فوق رءوسها ، ويجوز أن يكون انتهاء الحباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والأول أملح ، وفائدته معرفة حدها صِرْفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس •

الرمزية في الشعر الحديث :

كان نشوء الرمزية رد فعلّ ضد الواقعية التي أسرفت في التأثر بالعلم والبعد عن الخيال الشعري وكما استطاعت الواقعية أن تزحزح الروماتنيكية عن مكانتها كان نشوء الرمزية إيذاناً بتراجع الواقعية لتحل محلها تلك الحركة الجديدة التي احتلت الربع الأخير من القرن التاسع عشر ٠

والشعر عند أصحاب هـذا المـذهب ـ كما يقول بعضهم ـ « نشوة وحلم يحملان الانسان الى حيز اللاوعي حيث يلمح هناك من الحقائق مالا يستطيع رؤياها عن طريق العقل والمنطق في العالم الواعي وهو لا يجد في العالم الباطني صوراً تامة الوضوح يستطيع التعبير عنها تعبيراً صريحاً ولكنه يعبر عنهـا بالرمز حتى يستطيع أن يوحي للقارىء بنفس الاحساس وينقله الى نفس الحالة » ٠

ومن هنا جاء الغموض في الرمزية ، ثم أمعنوا في الابهام وغلفوا الشعر بغلاف من الضباب ، فأسقطوا حروف التشبيه واعتمدوا على الكلمة في ايحائهم يقدمونها ويؤخرونها عن موضعها عن قصد حتى تزيد من اشعاعاتها الموحية ، وكذلك طابقوا بين الحروف والألوان وبين الألوان والمعاني فاللون الأحمر يرمز للحيـاة الصاخبة والـدم وشهوة الحبّ والأعاصير ، والأخضر يمثل الكون والطبيعة والبحر ، والأزرق يمثل الانطلاق الى ما وراء المادة الكونية حيث عالم الملائكة والموسيقى التي تبلـغ الأعمـاق ، واللون البنفسجي لون الرؤى الصوفية ، والأصفر للحزن والتحفز نحو عالم أفضل ، والأبيض يشف عن الهدوء والسكينة والطهر ٠ ويعبر بودلير الشاعر الفرنسي الرمزي عن العلاقة بين الألوان والعطور والأصوات في قصيدته التي يتناول فيها وحدة الطبيعة فيقول :

الطبيعة معبد ذو أعمدة حية
تنبعث منه أحياناً كلمات غامضة
فيمر الانسان من خلال غابات الرموز
تحدق فيه بنظرات آلفته ٠
وتتمازج الأصداء الطويلة البعيدة الغموض
في وحدة مظلمة عميقة
رحبة كالليل وكالضياء
وتتجاوب العطور والالوان والاصوات

وحسبنا ما أوردناه ، ومن أراد المزيد فليرجع الى ما كتب في هذا الصدد وهو كثير ٠

٣ ــ الاحتراس :

وفي هذه الآية نفسها فن الاحتراس وقد تقدم ذكره كثيراً ، ولعل الاحتراس الذي وقع في هـذه الآية أعجب احتراس وقـع في القرآن فالخطاب كما قلنا موجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما نفى تبارك وتعالى عن رسوله الكريم كونه بالمكان الـذي قضى لكليمه موسى الأمر عرّف المكان بالجانب الغربي ولم يصفه باليمين كما قال في الإخبار عن موسى عليه السلام : « وناديناه من جانب الطور الأيمن » أدباً منه سبحانه مع نبيه أن ينفي عنه كونه في الجانب الأيمن ووصف سبحانه الجانب ها هنا باليمين إذ أخبر أنه نادى منه كليمه موسى تشريفاً له ٠

هذا ولا بد من الإلماع الى أن قوله « بجانب الغربي » أصله أن يكون صفة أي بالجانب الغربي ولكن حول عن ذلك وجعله صفة لمحذوف ضرورة امتناع إضافة الموصوف الى الصفة إذ كانت هي الموصوف في المعنى وإضافة الشيء الى نفسه خطأ والتقدير جانب المكان الغربي .

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

الاعراب :

(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وأن ومافي حيزها مبتدأ خبره محذوف

كما هي القاعدة المشهورة أي ولولا إصابتهم المصيبة لهم وجوابها محذوف تقديره لما أرسلنا رسولاً ومصيبة فاعل وبما متعلقان بتصيبهم وجملة قدمت صلة • (فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) الفاء عاطفة ويقولوا عطف على أن تصيبهم وربنا منادى مضاف ولولا تحضيضية بمعنى هلا وأرسلت فعل وفاعل والينا متعلقان بأرسلت ورسولاً مفعول به ، فنتبع الفاء فاء السببية ونتبع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وفاعل نتبع مستتر تقديره نحن وآياتك مفعول به ونكون عطف على نتبع واسم نكون ضمير مستتر تقديره نحن ومن المؤمنين خبره •

هذا وقد شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين قال الزمخشري : « فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه ؟ قلت : القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل ، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا ، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويئول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهم أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا : « لولا أرسلت إلينا رسولاً » وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم ، وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم مالا يخفى » •

والسر في جعل سبب السبب سبباً وعطف السبب الأصلي عليه أمران : أحدهما أن مزيد العناية يوجب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه والثاني أن في هذا النظم تنبيهاً على سببية كل واحد منهما ، أما الاول فلاقترانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلاقترانه بفاء السبب ، وكان بعض النحاة يورد إشكالاً بهذه الآية فيقول « لولا » عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه ممتنع بالأولى . ومتى لم يقع عدم الارسال كان الارسال واقعاً ضرورة فيشكل الواقع بعدها إذ لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ، ويشكل الجواب على النحاة لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه والتحرير في معنى لولا أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس « لو » فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في « لو » قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الاشكال .

(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وجاءهم الحق فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن عندنا متعلقان بجاءهم وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب لما ولولا حرف تحضيض أي هلا وأوتي

فعل ماض ونائب الفاعل مستتر تقديره هو أي محمد صلى الله عليه وسلم ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول مضاف لمثل وجملة أوتي صلة وموسى نائب فاعل • (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكفروا فعل مضارع مجزوم بلم وبما متعلقان بيكفروا وجملة أوتي موسى صلة ومن قبل متعلقان بأولم يكفروا أو بأوتي فيكون المعنى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة • (قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) فجملة قالوا مفسرة وسحران خبر لمبتدأ محذوف أي هما ساحران وجملة تظاهرا نعت لسحران أي تعاونا بتصديق أحدهما الآخر وقالوا عطف على قالوا وإنا ان واسمها وبكل متعلقان بكافرون وكافرون خبر انا والجملة مقول القول • (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر وبكتاب متعلقان بفأتوا ومن عند الله متعلقان بمحذوف صفة وهو مبتدأ وأهدى خبر ومنهما متعلقان بأهدى والجملة صفة ثانية لكتاب وأتبعه فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر والفاعل مستتر تقديره أنا والهاء مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأتوا والأمر هنا للتعجيز المشوب بالتوبيخ والتقريع • (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل ولك متعلقان بيستجيبوا والفاء رابطة لجواب الشرط واعلم فعل أمر وأنما كافة

ومكفوفة لإفادة الحصر ويتبعون فعل مضارع مرفوع وفاعل وأهواءهم مفعول وإنما وما في حيزها سدت مسد مفعولي أعلم .

(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الواو عاطفة ومن اسم استفهام معناه النفي والإنكار في محل رفع مبتدأ وأضل خبره وممن متعلقان بأضل وجملة اتبع هواه صلة من وبغير هدى حال ومن الله صفة لهدى وجملة إن الله تعليل لما تقدم وان واسمها وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبرها .

الفوائد :

نظراً لانغلاق التراكيب الواردة في الآية المتقدمة وهي قوله تعالى « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين » . وسمو إعجازه نورد بالإضافة الى ما قدمناه في الاعراب ما قاله الشهاب الخفاجي في حاشيته الممتعة على البيضاوي ففيه إيضاح لما أوضحناه ، قال ما ملخصه : ان الآية تقتضي وجود إصابتهم ووجود قولهم المذكور ، والواقع انهم لم يصابوا ولم يقولوا القول المذكور فحينئذ يشكل هذا الترتيب من حيث أن لولا حرف امتناع لوجود فيصير المعنى أرسلناك اليهم لنزول المصيبة بهم ووجود قولهم المذكور وهذا غير صحيح ، وتكلف بعضهم الجواب بأن في الكلام حذف المضاف والتقدير ولولا كراهة أن تصيبهم الخ ، فالمحقق في الموجود انما هو كراهة مصيبتهم المترتب عليها قولهم المذكور فيكون المعنى أرسلناك اليهم لأجل كراهة أن يصابوا فيقولوا ما ذكر وقيل إن التحقيق أن

لولا إنما تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها والمانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً وما هنا من الثاني فلا إشكال فيه وان لم يقدر المضاف اهـ .

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) **الواو** استئنافية ولك أن تجعلها عاطفة ليتساوق الكلام **واللام جواب للقسم المحذوف** وقد حرف تحقيق ووصّلنا فعل ماض **مبني على السكون ونا ضمير** متصل في محل رفع فاعل ولهم **متعلقان بوصلنا والقول مفعول به أي** اتبعنا بعضه بعضاً في الانزال ليتصل **التذكير ، ولعل** واسمها وجملة

يتذكرون خبر لعلّ أي جعلناه متنوعاً يشتمل عـلى الوعد والوعيد والنصائح والمواعظ والقصص لعلهم يتعظون به • (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) الذين اسم موصول مبتدأ وجملة آتيناهم صلة وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ومن قبله حـال وهم مبتدأ ثان وبه جـار ومجرور متعلقـان بيؤمنون وجملة يؤمنون خبر « هم » وجملة هـم به يؤمنون خبر الذين وهم أهل الكتاب الذين آمنوا وكان عددهم أربعين رجلاً وقيل ثمانين • (وإذا يتلى عليهـم قالوا آمنا به) الواو عاطفـة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة يتلى في محل جر بإضافة الظرف اليها ويتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليهم متعلقان بيتلى ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على القرآن وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غـير جازم وجملة آمنا مقول القول وبه متعلقان بآمنا • (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) كلام مستأنف مسوق لبيان وتعليل ما استدعى إيمانهم به وان واسمها والحق خبر إن ومن ربنا حال وإنا كنا الخ كلام مستأنف أيضاً مسوق لبيان أن إيمانهـم ليس بدعاً ولا مستحدثاً وانما هو أمر متقادم العهـد وإن واسمها وجملة كنا خبرها ومن قبله حـال ومسلمـين خبر كنا لأن الإسلام صفة كل مؤمن مصدق للوحي •

(أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أولئك مبتدأ وجملة يؤتون خبر ويؤتون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وأجرهم مفعول به ثان ومرتين نصب على المصدرية أو الظرفية وبما صبروا متعلقان بيؤتون والباء حرف جر للسببية وما مصدرية اي بسبب صبرهم • (ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)

ويدرءون عطف على يؤتون أي يدفعون والواو فاعل وبالحسنة متعلقان بيدرءون والسيئة مفعول به ومما متعلقان بينفقون وجملة رزقناهم صلة وينفقون عطف على يدرءون • (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة سمعوا مجرورة باضافة الظرف إليها واللغو مفعول به وجملة أعرضوا لا محل لها وعنه متعلقان بأعرضوا ، وقالوا عطف على أعرضوا ولنا خبر مقدم وأعمالنا مبتدأ مؤخر ولكم أعمالكم عطف على ماتقدم•(سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) سلام مبتدأ وساغ الابتداء به لأن فيه معنى الدعاء وعليكم خبر والسلام هنا سلام توديع ومتاركة لا سلام تحية ومواصلة وجملة لانبتغي الجاهلين حالية ولا نافية ونبتغي فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره نحن والجاهلين مفعول به • (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) كلام مستأنف مسوق لبيان حرصه على إيمان عمه أبي طالب وان واسمها وجملة لا تهدي خبرها والفاعل مستتر تقديره أنت ومن مفعول به وجملة أحببت صلة ولكن الله الواو عاطفة أو حالية ولكن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن يشاء مفعول به وهو مبتدأ وأعلم خبر وبالمهتدين متعلقان بأعلم •

الفوائد :

قال الزجاج : أجمع المسلمون على أن هذه الآية : « انك لا تهدي الخ » نزلت في أبي طالب لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله ؛ فقال : يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكن أكره

أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون غليك وعلى بني أبيك غضاضة لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك وأنشد :

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحاً بذاك مبينا
ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف . وهناك روايات أخرى مختلفة لاتخرج عن هذه الفحوى.

وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ
لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

الاعراب :

﴿ وقالوا : إن نتبع الهدى معك نتخطّفْ من أرضنا ﴾ الواو حرف عطف والجملة معطوفة على ما تقدم فهي بمثابة تفريع على قصة أبي طالب ، قالوا : إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إنا نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا • وإن شرطية ونتبع فعل الشرط مجزوم وفاعله مستتر تقديره نحن والهدى مفعول به ومعك ظرف متعلق بمحذوف حال ونتخطف جواب الشرط وهو فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره نحن ومن أرضنا متعلقان بنتخطف • ﴿ أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وبه يرد عليهم دعواهم التي لا أساس لها من الصحة بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة • ولم حرف نفي وقلب وجزم ونمكن فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنمكن وحرماً مفعول به وآمناً صفة وجملة يجبى صفة ثانية لحرماً ومعنى يجبى اليه يساق ويحمل اليه ويجمع لازدهاره وإليه متعلقان بيجبى وثمرات كل شيء نائب فاعل ورزقاً مفعول مطلق لقوله يجبى لأن معنى الجباية والرزق واحد والمراد تساق اليه الميرة وأعربه آخرون مفعولاً لأجله وأجازه الزمخشري وفي النفس منه شيء ويجوز أن يكون رزقاً مصدراً بمعنى المفعول فينتصب على الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة ومن لدنا صفة لرزقاً والواو حالية أو عاطفة ولكن أكثرهم لكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها •

(وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً مسوقاً لتخويف أهله من سوء مغبة من كانوا في نعمة فغمطوها وقابلوها بالبطر ، والبطر بفتحتين النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة ، قال في القاموس : « وفعل الكل كفرح وبطر الحق أن يتكبر عنه فلا يقبله » ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله ليتساوق الكلام • وكم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا ومن قرية تمييز كم الخبرية المجرور بمن وقد تقدم تقرير ذلك فجدد به عهداً وجملة بطرت صفة لقرية ومعيشتها منصوب بنزع الخافض على حد قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » أي في معيشتها وهذا أقرب ما قيل فيه وأقله تكلفاً وقال الزجاج هو نصب على الظرفية الزمانية أي أيام معيشتها ويجوز تضمين بطرت معنى خسرت فتكون معيشتها مفعولاً به واقتصر عليه أبو البقاء • (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين) فتلك الفاء عاطفة وتلك مبتدأ ومساكنهم خبر وجملة لم تسكن يجوز أن تكون خبراً ثانياً ويجوز أن تكون حالاً والعامل فيها معنى الاشارة وإلا أداة حصر وقليلاً ظرف أي إلا وقتاً قليلاً فالاستثناء من الظرف أو مفعول مطلق أي إلا سكنى قليلاً فالاستثناء من المصدر ولا مرجح لأحد الوجهين ، والواو عاطفة أو حالية وكنا كان واسمها ونحن ضمير فصل أو عماد والوارثين خبر كنا وسيأتي مزيد من هذا المعنى في باب البلاغة •

(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا) كلام مستأنف مسوق لبيان عادة الله تعالى في عباده ، وما نافية وكان ربك كان واسمها ومهلك القرى خبرها وحتى حرف

تعليل وجر ويبعث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والفاعل مستتر يعود على الله وفي أمها متعلقان بيبعث ورسولاً مفعول به وجملة يتلو صفة لرسولاً وعليهم متلعقان بيتلو وآياتنا مفعول به والمراد بأمها أعظمها والتعميم هنا خير من تخصيصها بمكة • (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ومهلكي القرى خبرها وإلا أداة حصر والواو حالية وأهلها مبتدأ وظالمون خبر والجملة حالية فالاستثناء من أعم الأحوال أي وما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين • (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) الواو عاطفة أو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط والتاء نائب فاعل ومن شيء حال مبينة لمن والفاء رابطة للجواب ومتاع خبر لمبتدأ محذوف والحياة مضاف اليه والدنيا صفة وزينتها عطف على متاع والجملة في محل جزم جواب الشرط والفعل والجواب خبر ما • (وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) الواو حالية وما اسم موصول مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صلة للموصول وخير خبر وأبقى عطف على خير والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولا نافية وتعقلون فعل مضارع مرفوع وفاعل •

البلاغـة :

الإسناد المجازي :

في قوله « حرماً آمناً » إسناد مجازي لأن المراد آهل الحرم وقد تقدم بحثه كثيراً ومثله « وكم أهلكنا من قرية » المراد أهلها بدليل

قوله فيما بعد « فتلك مساكنهم لم تسكن إلا قليلاً » أي لقد زهوا بها حيناً من الدهر وغرتهم الأماني ، وأبطرتهم النعمة ، وكان ديدنهم ديدن المترفين الرافلين في حلل السعادة ، فما عتموا أن فنوا وطوتهم الأيام وبقيت آثارهم شواخص ، أطلالاً باهتة ، ورسوماً محيلة ، تهزأ بهم ، وتدل الآخرين على أفن رأيهم وطيش أحلامهم . وقد رمق المتنبي سماء هـذه البلاغة العالية في قصيدته الخالدة التي رثى بها أبا شجاع فاتكاً فقال بيته المشهور :

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

يريد أن الآثار ، وهي البنيان ، تبقى بعـد أربابها لتدل على تسكنهم وقوتهم وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء وأن الخراب سيدركها فتذهب الآثار كما ذهب المؤثرون لها فهذه هي عادة الدنيا بأهلها . وهذا هو المعهود من تصاريفها ، ويحسن بنا أن نورد لك نخبة مختارة من هذه القصيدة جرياً على شرطنا في هذا الكتاب :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصيٌّ طيّع

يتنازعان دموع عيد مسهّدٍ هذا يجيء بها وهـذا يرجع

النوم بعـد أبي شجاع نافر والليل معي والكواكب ظُلّع

قال ابن جني « لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته » وقال الخطيب : « إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل معي والكواكب ظلع ما تسير » وقال الواحدي « النوم بعده لا يألف العين

فلا تنام حزناً عليه والليل من طوله كأنه قد أعيا عن المشي فانقطع والكواكب كأنها ظالعة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب ، كل هذا يصف به ليله بعده من الحزن عليه » وقال الواحدي: وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة٣٥٠ هـ .

ومضى أبو الطيب يقول :

إني لأجبُنُ عن فراق أحبتي
وتحس نفسي بالحمام فأشجع

ويزيدني غضب الأعادي قسوة
ويُلم بي عتب الصديق فأجزع

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى منها وما يُتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

أين الذي الهرمان من بنيانه
ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟

تتخلف الآثار البيت

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟
ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾

الاعراب :

﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة لترتيب إنكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين الجانبين ومن اسم موصول مبتدأ وجملة وعدناه صلة وكمن خبرها ووعدناه فعل وفاعل ومفعول به ووعداً مفعول مطلق وحسناً صفة والفاء عاطفة وهو مبتدأ ولاقيه خبر والكاف اسم بمعنى مثل خبر أو جار ومجرور في موضع الخبر وجملة متعناه صلة من ومتاع الحياة الدنيا مفعول مطلق وثم حرف عطف وهو مبتدأ ويوم القيامة ظرف متعلق بالمحضرين ومن المحضرين خبر هو وللزمخشري كلام مفيد في تحليل هذه الآية من الناحية الاعرابية نورده فيما يلي :

« فإن قلت فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن مواقعهما قلت : قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله : أفمن وعدناه على معنى أبعد ، هذا التفاوت الظاهر يسوّي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبّب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير وأما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته » .

(ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) الظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر والكلام مستأنف وجملة يناديهم مجرورة بإضافة الظرف اليها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله والهاء مفعول به ، والقصد من هذا النداء التوبيخ والتقريع ، فيقول عطف على يناديهم وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وشركائي مبتدأ مؤخر والذين صفة لشركائي وجملة كنتم صلة الذين وكان واسمها وجملة تزعمون خبرها ومفعولا تزعمون محذوفان تقديرهما تزعمونهم شركائي ، وسيأتي في باب الفوائد ذكر حذف مفعولي ظننت وأخواتها ، وجملة أين شركائي مقول القول .

(قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ . وقال الذين فعل وفاعل وجملة حق عليهم صلة والقول فاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء

وهؤلا مبتدأ والذين صفة لهؤلاء وجملة أغوينا صلة وجملة أغويناهم خبر هؤلاء وكما أغوينا نعت لمصدر محذوف أي أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا وقد جربنا في هـذا الاعراب عـلى ما أعربه الزمخشري وأبو حيان .

(تبرّأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) الجملة مفسرة مقررة لما قبلها وتبرأنا فعل ماض وفاعل وإليك متعلقان بتبرأنا وما نافية وكان واسمها وإيانا مفعول مقدم ليعبدون وجملة يعبـدون خبر كانوا ، وأجاز أبو البقـاء أن تكون ما مصـدرية والمصـدر منصوب بنزع الخافض أي مما كانوا يعبدون أي من عبادتهم إيانا ولا أرى داعياً لهـذا التكلف لأن المعنى ما كانوا يعبـدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم ويسترسلون مع شهواتهم . (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لـهم) الواو عاطفة وقيل فعـل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعـل مستتر تقديره هـذا القول تهكماً بهم وتبكيتاً لهم وادعوا فعل أمر وفاعله وشركاءكـم مفعول به فدعوهم الفاء عاطفـة ودعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ، والفاء عاطفة ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلـم والواو فاعـل ولهم متعلقـان بيستجيبوا . (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) الواو عاطفة ورأوا العذاب فعل ماض وفاعل ومفعول به ولو شرطية وان وما بعدها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت كونهم مهتـدين في الدنيا لما رأوا العـذاب في الآخرة وان واسمهـا وجملة كانوا خبرها وكان واسمهـا وجمـلة يهتدون خبرها .

الفوائـد :

يجوز بإجماع النحاة حذف مفعولي ظننت وأخواتها من أفعال القلوب اختصاراً لدليل يدل عليهما نحو « أين شركائي الذين كنتم تزعمون » وقول الكميت يمدح آل البيت :

بأي كتـاب أم بأيـة سنة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب

فحـذف في الآيـة مفعولا تزعمون وفي البيت مفعولا تحسب لدليل ما قبلهما عليهما أي تزعمونهم شركاء وتحسب حبهم عاراً علي ، وأما حذف أحدهما اختصاراً لدليل فقد أجازه الجمهور كقوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون به هو خيراً لهم فحذف المفعول الأول للدلالة عليه ، وكقول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غـيره مني بمنزلـة المحب المكـرم

تقديره فلا تظني غـيره مني واقعاً ، فحـذف المفعول الثاني ، والتاء في نزلت مكسورة والحاء والراء من المحب المكرم مفتوحتان .

وفي الباب الخامس من المغني بيان انه قد يظن الشيء من باب الحذف وليس منه : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو « كلوا واشربوا » أي أوقعوا هذين الفعلين ، وقول العرب فيما يتعدى الى اثنين : من يسمع يخـل ، أي تكن منـه

خيلة . والتحقيق أن يقـال إنه تارة يتعلق الغرض بالاعـلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً الى فعل كون عام ، فيقال حصل حريق أو نهب . وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنويّ كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد بمنزلة مالا مفعول له، ومنه : « ربي الذي يحيي ويميت ، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، كلوا واشربوا ولا تسرفوا، وإذا رأيت ثم » إذ المعنى ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة ، وهـل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلـم ، وأوقعوا الأكـل والشرب وذروا الاسراف ، وإذا حصلت منك رؤية هنالك ، ومنـه على الأصح : « ولما ورد ماء مدين » الآية ، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما إذ كانتا على صفة الذياد وقومهما عـلى السقي لا لكون مذودهما غنماً ومسقيهم إبلاً ، وكذلك المقصود من قولهما « لا نسقي » لا المسقي ، ومن لم يتأمل قدّر : يسقون إبلهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنمنا . وتارة يقصد إسناد الفعل الى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو « لا تأكلوا الربا ، ولا تقربوا الزنا » وقولك ما أحسن زيداً ، وهذا النوع إذا لم يذكر مفعوله قيل محذوف نحو « ما ودعك ربك وما قلى » وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو : « أهذا الذي بعث الله رسولا ، وكلّ وعد الله الحسنى » و :

حميت حمى تهامة بعد نجـد   وما شيء حميـتَ بمستباح

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ
مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ
مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(ويوم يناديهم فيقول : ماذا أجبتم المرسلين ؟) كلام معطوف على ما قبله فقد سئلوا أولاً عن إشراكهم وسئلوا ثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك ، فيقول عطف على يناديهم وماذا اسم استفهام بكاملها في محل نصب لمفعول مطلق لا مفعول به لأن أجاب لايتعدى الى الثاني بنفسه بل بالباء ، واسقاط الجار ليس بقياس والمعنى آجبتموهم أي إجابة ، والمرسلين مفعول به لأجبتم • (فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون) الفاء عاطفة وعميت عليهم الأنباء فعل وفاعل وسيأتي بحث إسناد العمى للأنباء في باب البلاغة ، ويومئذ ظرف أضيف الى مثله والتنوين في يومئذ عوض عن جملة ، أي : يوم ، إذ نودوا وقيل لهم ماذا أجبتم المرسلين ، فهم الفاء عاطفة

وهم مبتدأ وجملة لا يتساءلون خبر • (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين بعد بيان حال الكافرين وأما حرف شرط وتفصيل ومن اسم موصول مبتدأ وجملة تاب صلة وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو مفعول مطلق أي عمل عملاً صالحاً والفاء رابطة وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء التي تعمل عمل كان واسمها مستتر تقديره هو وأن وما في حيزها خبرها والرجاء من الكرام بمثابة التحقيق أو يكون الرجاء على بابه ولكنه من قبل التائب ومن المفلحين خبر يكون • (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) الواو استئنافية وربك مبتدأ وجملة يخلق خبر وما مفعول به ويشاء صلة ويختار عطف على يخلق وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولهم خبرها المقدم والخيرة اسمها المؤخر والجملة مفسرة لأنها مقررة لما قبلها ، ويجوز أن تكون مستأنفة ، وقيل إن ما مصدرية أي يختار اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول أي مختارهم ،وقيل ان ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي ما كان لهم الخيرة فيه ، وقيل أيضاً ان كان تامة ، وجملة لهم الخيرة كلام مستأنف وسبحان الله مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وفاعله هو وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة •

(وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) الواو عاطفة وربك مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول به وتكن صلة وصدورهم فاعل وما عطف على ما الأولى وجملة يعلنون صلة • (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) وهو

مبتدأ والله خبر وجملة لا إله إلا هو خبر ثان وقد تقدم اعراب كلمة التوحيد والاختلاف فيها وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر والجملة خبر ثالث وفي الأولى حال والآخرة عطف على الأولى واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع والواو نائب فاعل .

البلاغة :

١ ـ إسناد العمى الى الأنباء مجاز عقلي وقد تقدم كثيراً والمراد أن الأنباء صارت كالعمى لا تهتدي اليهم وقيل انه من باب القلب وان أصله فعموا عن الأنباء والقلب ، كما تقدم ، من محسنات الكلام .

٢ ـ الادماج :

في قوله « له الحمد في الأولى والآخرة » الادماج ، وحدّه أن يدمج المتكلم إما غرضاً في غرض أو بديعاً في بديع بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين والآخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام ، فإن هذه الآية أدمجت فيها المبالغة في المطابقة لأن انفراده سبحانه بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في وصف ذاته بالانفراد والحمد وهذه وإن خرج الكلام فيهما مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيها حقيقة في الباطن لأنه أولى بالحمد في الدارين ورب الحمد والشكر والثناء الحسن في المحلين حقيقة ، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد في الدنيا مجازاً ، وحقيقة حمده راجعة الى ولي الحمد سبحانه .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

اللغــة :

(سرمداً) : السرمد : الدائم المتصــل وقد اختلف العلماء في اشتقاقه فقيل هو من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة ووزنه فعمل كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أي ملساء متينة وهذا ما رجحه الزمخشري وغيره واختار صاحب القاموس وبعض النحاة أن الميم أصلية ووزنه فعلل لأن الميم لا تنقاس زيادتهـا في الوســط والآخر .

الاعراب :

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة) الهمزة للاستفهام ورأيتم فعل وفاعل أي أخبروني وإن شرطية وجعل

الله عليكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والله فاعل وعليكم حال والليل مفعول جعل الأول وسرمداً مفعوله الثاني والى يوم القيامة صفة لسرمداً وقد علقت أرأيتم عن العمل بسبب الاستفهام وجواب الشرط محذوف يقدر بما يقتضيه السياق وتقديره فأخبروني .
(مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) الجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول أرأيتم ومن اسم استفهام مبتدأ وإله خبر وغير الله صفة إله وجملة يأتيكم صفة ثانية لإله وبضياء جار ومجرور متعلقان بيأتيكم ، أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية ويسمعون فعل مضارع والواو فاعل .
(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة مُن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) تقدم اعرابها .
(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) من رحمته خبر مقدم وجعل لكم مؤول بمصدر بتقدير أن مبتدأ مؤخر وهو كثير في كلامهم ومنه المثل : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ولكم مفعول جعل الثاني والليل مفعول جعل الأول والنهار عطف على الليل ، وزاوج بينهما لنكتة سيرد تفصيلها في باب البلاغة ، ولتسكنوا اللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وفيه متعلقان بتسكنوا ولتبتغوا من فضله عطف على لتسكنوا ولعلكم لعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .
(ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقدم اعرابها بلفظها قريباً فجدد به عهداً . (ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم) الواو عاطفة ليتساوق الكلام ونزعنا فعل وفاعل أي أخرجنا

ومن كل أمة متعلقان بنزعنا وشهيداً مفعول به ، فقلنا عطف على نزعنا وجملة هاتوا مقول القول وهاتوا فعل أمر وفاعل وبرهانكم مفعول به . (فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) الفاء عاطفة وعلموا فعل ماض وفاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علموا وأن واسمها ولله خبرها وضل فعل ماض وعنهم متعلقان بضل وما فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يفترون خبرها .

البلاغـة :

١ ــ المناسبة :

في قوله « أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً » الى قوله « أفلا تبصرون » فن المناسبة وهي ضربان : مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ فالمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً الى يوم القيامة لنفسه وهو القادر الذي جعل الشيء لا يقدر غيره على مضادته قال « أفلا تسمعون » لمناسبة السماع للطرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار لعدم نفوذ البصر في الظلمة ، ولما أسند جعل النهار سرمداً الى يوم القيامة لنفسه كأن لم يخلق فيه ليل البتة قال في فاصلة هذه الآية « أفلا تبصرون » لمناسبة ما بين النهار والإبصار .

أما المناسبة اللفظية فسيأتي حديثها في هذا الكتاب .

٢ ـ اللف والنشر :

اللف والنشر في قوله « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقد تقدم بحث هذا الفن وذكرنا انه عبارة عن ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ويرده الى ما هو له ، فقد زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة أولها : لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل في ثانيهما وهو النهار ، ولإرادة شكركم وهذا من أطرف ما يتفنن به المتكلم نثراً أو شعراً .

٣ ـ صحة المقابلات :

وفي هذه الآية أيضاً فن عرفوه بأن صحة المقابلات ، وهو عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى في صدره بأشياء قابلها في عجزه بأضدادها أو بأغيارها من المخالف والموافق على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني ولا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ، وهذه الآية من معجز هذا الباب ، فقد جاء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان وجاء السكون والحركة في عجزه وهما ضدان ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وعبر سبحانه عن الحركة بلفظ الارداف فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة وهي اشتراك الإعانة بالقوة وحسن الاختيار

الدال على رجاحة العقـل ، وسلامة الحس ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتـدي المتحرك الى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ويتقي أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة فحصل بهذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال « لتسكنوا » و « لتبتغوا » بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل والاشارة والإرداف والائتلاف وحسن النسق وحسن البيان لمجيء الكلام فيها متلاحماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعضه ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض « ومن رحمته » وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة ، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المتظاهرة .

٤ ــ التفسير :

وفي قوله « ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكـم تشكرون » فن التفسير وهو أن تذكر أشياء ثم تفسرها بما يناسبها ، ومنه قول ابن حيوس .

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسه الملأى وعن إبريقه

فعل المـدام ولونها ومذاقها في مقلتيـه ووجنتيه وريقـه

* إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ
ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا
تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ
ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ
عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ
عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ
ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾
فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ
أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(لتنوء بالعصبة) أي تنوء بها العصبة أن تتكلف النهوض بها وسيأتي مزيد عن القلب فيهذا التعبير في بابالبلاغة، يقال ناء ينوء نوءاً وتَنْواء : نهض بجهد ومشقة وناء به الحمل أثقله وأماله وناء النجم سقط في المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله من ساعته في المشرق وفي المصباح:« وناء ينوء نوءاً مهموز من باب قال : نهض » وفي القاموس: ناء بالحمل نهض متثاقلاً وناء به الحمل أثقله وأماله كأناءه وناء فلان أثقل فسقط ضد •

(المفاتح):جمع مفتاح وكان حقه أن يجمع على مفاتيح ولكن هذه الياء قد تحذف كما أنهم قد يجتلبون ياء في الجمع الذي لا ياء فيه وقيل إن مفاتحه جمع مفتح فلا حذف فيه •

الاعراب :

(إن قارون كان من قوم موسى) كلام مستأنف مسوق لذكر قصة قارون وما تنطوي عليه من عظات وعبر ، وإن حرف مشبه بالفعل وقارون اسمها وهو علم أعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعلمية والعجمة ولو كان فاعولاً من قرن لانصرف ، وستأتي قصته قريباً ؛ وجملة كان خبر إن واسم كان مستتر يعود على قارون ومن قوم موسى خبر كان أي ابن عمه أو ابن خالته وآمن به كما سيأتي • (فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) الفاء عاطفة وبغى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على قارون وعليهم متعلقان ببغى وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن الكنوز

متعلقـان بآتيناه وما اسم موصول مفعول به ثان لآتيناه وإن حرف مشبه بالفعـل ومفاتحه اسم إن ولتنوء اللام المزحلقة وتنوء فعـل مضارع وفاعله مستتر تقديره هي يعود على المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به والجملة خبر إن وجملة إن مفاتحـه لتنوء بالعصبة لا محل لها لأنهـا صلة وبالعصبة متعلقان بتنوء وأولي القوة صفة للعصبة • (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) الظرف متعلق بتنوء وقيل باذكر مضمراً وقال أبو البقـاء : « ظرف لآتيناه ، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دل عليه الكلام أي بغى إذ قال له قومه » وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف اليها وله متعلقان بقال وقومه فاعل وجملة لا تفرح مقول القول ولا ناهية وتفرح فعل مضارع مجزوم بلا وفاعل تفرح مستتر تقـديره أنت وجملة إن الله تعليل للنهي وسيأتي سر هـذا التعليل في باب البلاغـة وان واسمها وجملة لا يحب الفرحين خبرها •

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)
الواو عاطفة وابتغ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت وفي حرف جر وما مصدرية أو موصولية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متقلباً فيما آتاك ومعنى « في » هنا السببية وجملة آتاك الله لا محل لها وآتاك الله فعل ماض ومفعول به مقـدم وفاعل مؤخر والدار مفعول ابتغ والآخرة صفة للدار ولا تنس لا ناهية وتنس فعـل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقـديره أنت ونصيبك مفعول به ومن الـدنيا متعلقان بمحذوف عـلى أنه حـال والنصيب ما يكفيك ويسد حاجتك ويصلح أمورك ، وسيأتي مزيد

بحث من النصيب والمراد منه في باب البلاغة . (وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحبّ المفسدين) الواو عاطفة وأحسن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكما نعت لمصدر محذوف أي إحساناً مثل الاحسان الذي أحسن الله به إليك وإليك متعلقان بأحسن ولا تبغ الفساد عطف على ما تقدم وفي الأرض متعلقان بالفساد أو بتبغ وجملة إن الله تعليل للنهي المتقدم وان واسمها وجملة لا يحب المفسدين خبرها . (قال : إنما أوتيته على علم عندي) استئناف مسوق للإجابة عن قولهم إن ما عندك تفضل وإنعام من الله فأنفق منه شكراً لمن أنعم به عليك ، وإنما كافة ومكفوفة وأوتيته فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والهاء مفعول به ثان وعلى علم في موضع الحال من نائب الفاعل في أوتيته وعندي ظرف متعلق بمحذوف صفة لعلم أي إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي . قالوا : لم يكن في بني اسرائيل أعلم منه بالتوراة بعد موسى وهارون . (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر دخلت عليه الهمزة ، أي أعلم ما ادعاه أو لم يعلم ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلم فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على قارون وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وأن واسمها وجملة قد أهلك خبرها وفاعل أهلك ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله ومن قبله متعلقان بأهلك ومن القرون حال من « من هو أشد » مقدمة عليه ومن اسم موصول مفعول به لأهلك وهو مبتدأ وأشد خبر والجملة صلة الموصول وقوة تمييز ومنه متعلقان بأشد وأكثر جمعاً عطف على أشد منه قوة .

(ولا ُيسأل عن ذنوبهم المجرمون) الواو عاطفة لتربط الجملة بما قبلها على سبيل التهديد والوعيد أي ان الله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤال عنها ، ولا نافية ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول وعن ذنوبهم متعلقان بيسأل والمجرمون نائب فاعل . (فخرج على قومه في زينته) الفاء عاطفة على قال « إنما أوتيته على علم» وما بينهما اعتراض وعلى قومه متعلقان بخرج وفي زينته متعلقان بمحذوف حال أي متبختراً في زينته متقلباً في تعاجيبه ، وسيأتي وصف مسهب للزينة التي خرج حالياً بها . (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان الشعور الذي خالج المؤمنين والكافرين على السواء عندما رأوا هذا النعيم المتدفق والرواء العجيب جرياً على ديدن البشر من تمني المناعم . وقال الذين فعل وفاعل وجملة يريدون صلة والحياة مفعول به والدنيا صفة للحياة ويا حرف نداء والمنادى محذوف وليت حرف تمن ونصب ولنا خبرها ومثل اسمها المؤخر وما اسم موصول مضاف اليه وجملة أوتي صلة وهو فعل ماضي مبني للمجهول وقارون نائب فاعل وهذا التمني على سبيل الغبطة وهي أن يتمنى الانسان مثل نعمة صاحبه من غير أن يتمنى زوالها منه أما الحسد فهي تمني النعمة التي يتمتع بها المحسود وزوالها عنه ، وفي الحديث : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ فقال : لا إلا كما يضرّ العضاة الخبط » والعضاة كل شجر يعظم فيه شوك والخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها . وان واسمها واللام المزحلقة وذو حظ خبرها وعظيم صفة لحظ . والحظ : البخت والجد يقال رجل مبخوت ومجدود كما يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ قسّمت وجدود .

(وقال الذين أوتوا العلم ويلكم) وقال الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا العلم صلة وويلكم مفعول لفعل محذوف على سبيل الردع أي ألزمكم الله ويلكم • (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّاها إلا الصابرون) ثواب الله مبتدأ وخير خبر ولمن متعلقان بخير وجملة آمن صلة وعمل صالحاً عطف على آمن والواو عاطفة ولا نافية ويلقاها فعل مضارع مبني للمجهول والهاء مفعول به ثان وإلا أداة حصر والصابرون نائب فاعل مؤخر وهو المفعول الأول والضمير يعود على الإثابة أو الأعمال الصالحة • (فخسفنا به وبداره الأرض) الفاء هي الفصيحة أي إن شئت أن تعلم مصيره وما آل اليه أمره ، وخسفنا فعل وفاعل وبه متعلقان بخسفنا وبداره عطف على به والأرض مفعول به ، والخسف له معان كثيرة منها خسف المكان يخسف خسوفاً من باب ضرب أي ذهب في الأرض وغرق وخسف القمر ذهب ضوءه وخسفت العين ذهب ضوءها وغابت وخسف في الأرض وخسف به فيها غاب ، وفي حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم فهو يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها » قال في فتح الباري : « ان مقتضى الحديث أن الأرض لا تأكل جسده فيمكن أن يلغز ويقال لنا : كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون » وفي القاموس : التجلجل السوخ في الأرض والتحرك والتضعضع والجلجلة التحريك • (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وله خبرها المقدم ومن حرف جر زائد وفئة مجرور لفظاً بمن مرفوع محلاً على أنه اسم كان وجملة ينصرونه صفة لفئة أو هي خبر كان وله متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن تكون

كان تامة وفئة فاعل كان ومن دون الله حال من فئة وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو يعود على قارون ومن المنتصرين خبر كان • (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون) الواو عاطفة وأصبح فعل ماض ناقص والذين اسمها وجملة تمنوا صلة ومكانه مفعول به وبالأمس متعلقان بتمنوا وجملة يقولون خبر أصبح ويجوز أن تكون أصبح تامة والذين هو الفاعل وجملة يقولون في محل نصب على أنها حال أي قائلين • (وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وي فيه مذاهب نختار منها واحداً وسنورد الباقي في باب الفوائد ، فهي اسم فعل مضارع معناه أتعجب والكاف حرف جر وان حرف مشبه بالفعل وهي مع مافي حيزها في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلقان بوي ومعنى الكاف هنا التعليل لا التشبيه والله اسمها وجملة يبسط الرزق خبر أن والرزق مفعول به ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ويقدر عطف على يبسط • (لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا) لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط وأن وما في حيزها مصدر مؤول مرفوع بالابتداء والخبر محذوف وجوباً ومنّ الله فعل وفاعل وعلينا متعلقان بمنّ واللام واقعة في جواب لولا وجملة خسف بنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومفعول خسف محذوف أي الأرض • (وي كأنه لا يفلح الكافرون) تقدم اعرابها وسيأتي المزيد منه قريباً وهو تأكيد لما قبله •

البلاغة :

١ ـ القلب :

في قوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء

بالعصبة) في هذا التعبير فن القلب وقد تقدم القول فيه ، والأصل لتنوء العصبة بالمفاتح أي لتنهض بها بجهد ، قال أبو عبيد : هو كقولهم عرضت الناقة على الحوض وأصله عرضت الحوض على الناقة وقول حسان بن ثابت :

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

على أنيابها أو طعم غضّ من التفاح هصره اجتناء

ويروى كأن سلافة ، والسلافة أول ما يسيل من ماء العنب أما سبيئة فمعناه مشتراة يقال سبأ الخمر كنصر اذا اشتراها ويروى أيضاً خبيئة أي مصونة في الخابية وبيت رأس قرية بالشام اشتهرت بجودة الخمر ، وقد وقع بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح خلاف بين سبيئة فقال صاحب القاموس وقد وهم الجوهري وانما سبى الخمر سبياً وسِباء حملها من بلد الى بلد ، ومزاجها خبر يكون مع أنه معرفة وعسل اسمها مع أنه نكرة وكان القياس العكس فقلب الكلام ، وتأوله الفارسي بأن انتصاب مزاجها على الظرفية المجازية ، وروي برفع الكلمات الثلاث على أن اسم كان ضمير الشأن وجملة يكون صفة سبيئة وعلى أنيابها في البيت الثاني خبر كأن المشددة والمزاج ما يمزج به غيره والمراد بالانياب الثغر كله فهو مجاز ، والغض الطري الرطب وهو صفة لموصوف محذوف أي طعم غصن غض ، والهصر عطف الغصن وإمالته اليك من غير إبانة لتجني ثمره والتهصير مبالغة فيه ويروى جناء بدل اجتناء وهو الجنى بالقصر ومدّه هنا ضرورة واسناده التهصير الى الاجتناء مجاز عقلي من باب الاسناد للسبب ، شبّه ريقها بالخمر الجيدة وطعمه بطعم تفاح ميل غصنه

الجاني ليجتنيه إشارة الى انه مجني الآن لم يمض عليه شيء من الزمان وتلويحاً لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة واللين والتثني •

هــذا وقد قيل أنه لا قلب في الآية وان الباء للتعــدية كالهمزة والاصل لتنوء المفاتح العصبة الاقوياء أي تثقلهم ، وهو رأي صاحب العمدة أيضاً •

٢ ــ المبالغة :

وذلك في وصف كنوز قارون حيث ذكرها جمعاً وجمع المفاتح أيضاً وذكر النوء والعصبة وأولي القوة قيــل كانت تحمــل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً لكل خزانة مفتاح وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأغربها عند الحذاق ، وهي أن يتقصى جميع ما يدل على الكثرة وتعدد ما يتعلق بما يملكــه ، استمع الى عمرو بن الأيهم التغلبي كيف أراد أن يصف قومه بالكرم فلم يزل يتقصى ما يمكن أن يقدر عليه من صفات فقال :

ونكــرم جارنا ما دام فينــا وتتبعــه الكرامــة حيث كانا

٣ ــ بلاغة التعليل :

وفي قوله « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » حسن تعليل جميــل بجمله « إن الله لا يحب الفرحــين » لأن الفرح المحض في الدنيا من حيث أنها دنيا مذموم على الاطلاق ؛ وأي فرح بشيء زائل وظل حائل • وقد رمق أبــو الطيب سماء هذه البلاغــة بقوله البديع :

كأن الحزن مشغوف بقلــبي فساعة هجرها يجد الوصالا

كذا الدنيا على من كان قبلي صروف لم يُدمن عليه حالا
أشد الغم عندي في سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا

ألست تراه كيف جعل الحزن عالقاً بفؤاده حتى كأنه يعشقه ولكنه لا يواصلني إلا حين تهجرني فإذا هجرتني واصل الحزن قلبي ؟ ثم كيف يحث على الزهد في الدنيا لمن رزق فيها سروراً ومكانة لعلمه أنه زائل عما حين ، والسرور الذي يعرف صاحبه أنه منحسر عنه قريباً هو أشد الغم ، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه وأدله على عبقرية شاعر الخلود .

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى قول هدبة بن خشرم لما قاده معاوية الى الحرة ليقتصّ منه في زياد بن زيد العذري فلقيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فاستنشده فأنشده :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني
ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبتغي شراً إذا الشر تاركي
ولكن متى أحمل على الشر أركب

والمفراح كثير الفرح والمراد نفي الفرح من أصله وصرف الدهر حدثانه وإذا شرطية فلا بد بعدها من فعل أي إذا سرني الدهر وإذا كان الشر تاركي ، وأحمل مبني للمجهول وأركب للفاعل والأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه .

٤ ــ التتميم :

وفي قوله « ولا تنس نصيبك من الدنيا » تتميم لا بد منه لأنه إذا لم يغتنمها ليعمل للآخرة لم يكن له نصيب في الآخرة ففي الحديث : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » وقد عاد أبو الطيب فرمق سماء هذه البلاغة مرة ثانية فقال من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة وقد توفيت بميّافارقين وجاءه الخبر بموتها الى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وأنشد أبو الطيب قصيدته في جمادى الآخرة من السنة ونورد نخبة مختارة منها:

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال

وترتبط السوابق مُقرباتٍ ... وما ينجين من خَبَبِ الليالي

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ... ولكن لا سبيل الى الوصال

نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

والشاهد المراد هو في قوله : نصيبك في حياتك البيت ، أي إن نصيب الإنسان من وصال حبيبه في حياته كنصيبه من وصال خياله في منامه ، ووجه الشبه : اتفاق الأمرين في سرعة انقضائهما ، واشتباههما في عجلة زوالهما .

الفوائـد :

١ ـ قصة قارون :

نسج المؤرخون والقصاصون روايات شتى وأساطير عجيبة حول هذه القصة الفريدة التي تصلح نواة لمسرحية عالمية تمثّل الزهو الذي يصيب المتمولين ، وقد اختلف في نسبه ، قيل كان ابن عم موسى بن عمران وقيل كان ابن خالته ، وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال ، وفي قوله تعالى « وكان من قوم موسى » دليل على إيمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجهاً وقراءة للتوراة ويسمّى المنور لحسنة وقيل إنه كان من السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، قيل انه خرج راكباً بغلة شهباء ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلي والحلل والزينة فكاد يفتن بني إسرائيل ثم بغى وتكبر وركب رأسه حتى أهلكه الله . وقد أخطأ صاحب المنجد فزعم أنه وزير فرعون كأنه ظنه هامان وهذا من نتائج التسرع وعدم التحقيق . وكان سبب هلاكه أنه حسد هرون على الحبورة ، وذلك أن موسى لما قطع البحر وأغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة ، والحبورة بضم الحاء : الإمامة ، مأخوذة من الحبر بمعنى الرئيس في الدين ، فوجد قارون من ذلك في نفسه وقال : يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء لا أصبر على هذا ، فقال موسى : والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله له ، فقال والله لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاءوا بها فألقى موسى بها في قبّة له وكان ذلك بأمر الله ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك ، فباتوا

يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني إسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى •

وقيل : انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة وعلى هذا الأسلوب فحسب ذلك فوجده مالاً عظيماً فجمع قومه من بني إسرائيل وقال إن موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا : أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال عليّ بفلانه البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال: إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتناههم فخرج فقام فيهم خطيباً فقال :يابني إسرائيل من سرق قطعناه ، ومن زنى جلدناه ، فإن كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت ؟ فقال نعم • قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي ، فقال : عليّ بها ، فلما جاءت قال لها موسى : يا فلانة أنا فعلت ما يقول هذا ؟ فقالت : لا والله يا نبي الله وانما جعل لي جعلاً حتى أقذفك بنفسي ، فسجد موسى يبكي ويتضرع ، فأوحى الله إليه : مر الأرض بما تشتهيه ، فقال : يا أرض خذيه ، فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبقى من جسده إلا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب • الى آخر هذه القصة التي ينفسح فيها الخيال ويمتد الى أبعد مداه •

٢ ـ وي كأنه :

وعدناك بالمزيد من بحث « وي كأنه » فنقول : ذهب الخليل

وسيبويه الى أن « وي » منفصلة معناها أعجب ثم ابتدأ فقال : كأنه لا يفلح الكافرون وكأن ها هنا لا يراد بها التشبيه بل القطع واليقين ، وعليه بيت الكتاب :

وي كأن من يكـن لـه نشـب يحبب

ومـن يفتقـر يعـش عيش ضـر

لم يرد هاهنا التشبيه بل اليقين ، وذهب أبو الحسن إلى أن ويك مفصولة من أنه ، وكان يعقوب يقف عـلى ويك ثم يبتـديء « أنه لا يفلح الكافرون » كأنه أراد بذلك الاعـلام بأن الكاف من جملة « وي » وليست التي في صدره «كأن» انما هي « وي » على ما ذكرنا أضيف اليها الكاف للخطاب على حدها في ذلك وأولئك ويؤيد ذلك قول عنترة :

ولقـد شفى نفسي وأبرأ سقمهـا

قيـل الفوارس ويك عنتر أقـدم

فجـاء بها متصلة بالكاف من غـير « أن » فهي حرف خطاب وليست اسماً مخفوضاً كالتي في غلامك وصاحبك لأن « وي » إذا كانت اسماً للفعـل فهي في مذهب الفعـل فلا تضاف لـذلك وأن وما بعدها في موضع نصب باسم الفعل الذي هو « وي » ولذلك فتحت أن والتقدير أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، فلما سقط الجار وصل الفعل فنصب ، وذهب الكسائي الى أن الأصل « ويلك » فحذفت اللام تخفيفاً وهو بعيد وليس عليه دليل ، وقد ذهب بعضهم الى أن

« ويكأنه » بكساله اسم واحد ، والمراد شدة الاتصال وانه لاينفصل بعضه عن بعض .

وهـذا ونص عبـارة سيبويه : « وسألت الخليـل عن قوله : « ويكأنه لا يفلح » وعن قوله « ويكأن الله » فزعم أنها مفصولة من « كأن » والمعنى على أن القوم انتبهوا فتكلموا عـلى قدر علمهم أو نبهوا فقيل لهم أما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا .

وقال الأعلم : « الشاهد في قوله « ويكأن » وهي عند الخليل وسيبويه مركبة من « وي » ومعناها التنبيه مع « كأن » التي للتشبيه ومعناه : ألم تر ، وعلى ذلك تأولها المفسرون .

وزعم بعض النحويين أن قولهم « ويكأن » بمعنى ويلك اعلم ان ، فحذفت اللام من « ويلك » كما قال عنترة « ويك عنتر أقدم » وحذف اعلم لعلم المخاطب مع كثرة الاستعمال وهـذا القول مردود لما يقع فيه من كثرة التغيير .

وقال أبو سيعد السيرافي : في « ويكأن » ثلاثة أقوال : أحدها قول الخليل تكون « وي » كلمة يقولها المتندّم ويقولها المندّم غيره ومعنى « كأن » التحقيق ، والثاني قـول الفراء تكـون « ويك » موصولة بالكاف و « أن » منفصلة ومعناه عنده تقرير كقولك : أما ترى ، والقول الثالث يذهب الى أن « ويك » بمعنى « ويلك » وجعل « أن » مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال : ويلك اعلم أن الله .

وقال الفراء : « ويكأن » في كلام العرب تقرير كقول الرجل : أما ترى الى صنع الله ، وقال الشاعر :

وي كأن من يكن له نشب (البيت) •

وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ويلك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ؟ وقد يذهب بعض النحويين الى أنهما كلمتان يريد : « ويك ، انه » أراد ويلك فحذف اللام وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال ويلك اعلم انه وراء البيت فاضمر اعلم ، ولم نجد العرب تعمل الظن والعلم بإضمار مضمر في أن وذلك انه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك ، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول يا هذا إنك قائم ولا يا هذان فمت تريد علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن ، وأما حذف اللام من « ويلك » حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام قال عنترة : ولقد شفى نفسي (البيت) وقد قال آخرون ان معنى « وي كأن » أن « وي » منفصلة كقولك لرجل « وي » تريد أما ترى ما بين يديك فقال : وي ثم استأنف كأن يعني أن الله يبسط الرزق لمن يشاء وهي تعجب وكأن في مذهب الظن والعلم فهذا وجه مستقيم ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه وقال أبو الفتح ابن جني : في « ويكأنه » ثلاثة أقوال :

ـ فمنهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على « وي » •

ـ ومنهم من يقف على « وي » •

ـ ويعقوب يقف على « ويك » وهو مذهب أبي الحسن •
والوجه عندنا قول الخليل وسيبويه وهو أن « وي » اسم سمي به

الفعل على قياس مذهبهما فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال : « كأنه لا يفلح الكافرون » فـ « كأن » هنا إخبار عار من معنى التشبيه ومعناه ان الله يبسط الرزق و « وي » منفصلة من « كأن » وعليه قول الشاعر : وي كأنْ من (البيت) ومما جاءت فيه « كأن » عارية من معنى التشبيه قوله :

كأنني حين أمسي لا تكلمني
متيم أشتهي ما ليس موجودا

أي أنا حين أمسي متيم من حالي كذا وكذا .

وقال البغدادي في خزانة الادب : « وأما قول أبي الفتح أن « وي » عند سيبويه والخليل بمعنى أعجب فمردود وكذا قوله : ان « كأن » عندهما عارية عن التشبيه ، وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله: كأنني حين أمسي (البيت) فهو مذهب الزجاج فيما اذا كان خبر « كأن » مشتقاً لا تكون للتشبيه لئلا يتحد المشبه والمشبه به . وأجيب بأن الخبر في مثله محذوف أي كأنني رجل متيم فهي على الأصل للتشبيه » .

وقال التبريزي في شرح المعلقات « وقوله « ويك » قال بعض النحويين معناه ويحك وقال بعضهم معناه ويلك وكلا القولين خطأ لأنه كان يجب أن يقرأ « ويك انه » كما يقال ويلك انه وويحك انه »» .

وقال الزمخشري في كشافه : « وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في

تمنيهم ، وقولهم : « ياليت لنا مثل ما أوتي قارون » وتندموا ثم قالوا « كأنه لا يفلح الكافرون » أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال :

وي كأن من يكن له نشب (البيت) •

وحكى الفراء أن اعرابية قالت لزوجها : أين ابنك ؟ فقال : وي كأنه وراء البيت ، وعند الكوفيين أن« ويك » بمعنى « ويلك » وان المعنى ألم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى « وي » كقوله « ويك عنتر أقدم » وانه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول ، أو لأنه لا يفلح الكافرون كأن ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدىء كأنه ، ومنهم من يقف على ويك » •

رأي الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين وهو مطلع جداً : « وي كأنه ، فيه مذاهب :

أحدها : أن وي كلمة برأسها وهي اسم فعل معناها أعجب أي أنا والكاف للتعليل وأن وما في حيزها مجرورة بها أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ وقياس هذا أن يوقف على وي وحدها وقد فعل هذا الكسائي:

الثاني : قال بعضهم : كأن هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين وهذا أيضاً يناسبه الوقف على وي •

الثالث : أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أي اعلم أن الله يبسط الرزق الخ قاله الأخفش وهذا يناسب الوقف على ويك وقد فعله أبو عمرو •

الرابع : أن أصلها ويلك فحذفت اللام وهذا يناسب الوقف على الكاف أيضاً كما فعل أبو عمرو •

الخامس : أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها ألم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى الى صنع الله ، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير ولم يرسم في القرآن إلا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين فعامة القراء اتبعوا الرسم والكسائي وقف على وي وأبو عمرو على ويك » •

وقال ابن هشام في أوضح المسالك وشرحه للشيخ خالد الأزهري : « ووا ووي وواها الثلاثة كلها بمعنى أعجب كقوله تعالى « وي كأنه لا يفلح الكافرون » فوي اسم فعل مضارع بمعنى أعجب والكاف حرف تعليل وأن مصدرية مؤكدة أي أعجب لعدم فلاح الكافرين » وهذا ما اخترناه في الاعراب ورأيناه أبعد من الارتياب وأدنى الى الصواب •

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ

بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ
الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الآخرة أعدت للذين لا يريدون علواً في الأرض . وتلك مبتدأ والدار بدل من اسم الاشارة والآخرة صفة للدار وجملة نجعلها خبر تلك وللذين متعلقان بنجعلها على أنه مفعوله الثاني وجملة لا يريدون صلة للذين وعلواً مفعول يريدون وفي الأرض صفة لعلواً ولا فساداً عطف على علواً والعاقبة مبتدأ وللمتقين خبر . (من جاء بالحسنة فله خير منها) كلام مستأنف مسوق لوعد المحسنين ووعيد المسيئين بعد ذكر أن العاقبة للمتقين . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبالحسنة متعلقان بجاء والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وله خبر مقدم وخير منها مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط والفعل والجواب معاً خبر من .

(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) عطف على ما تقدم ويجزى فعل مضارع مبني للمجهول والذين نائب فاعل وجملة عملوا السيئات صلة الموصول وإلا أداة حصر وما مفعول ثان ليجزى وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا . (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) إن واسمها وجملة فرض صلة وعليك متعلقان بفرض والقرآن مفعول به ، ومعنى فرض عليك القرآن : أوجب عليك تلاوته وتبليغه ، واللام المزحلقة ورادك خبر إن والكاف في محل جر بالإضافة والى معاد متعلقان براد لأنه اسم فاعل ، وتنكيره يدل على أمور ستأتي في باب البلاغة .

(قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) ربي مبتدأ وأعلم خبره وهو بمعنى عالم ولذلك نصب من وجملة جاء صلة وبالهدى متعلقان بجاء ومن عطف على من الأولى وهو مبتدأ وفي ضلال خبره ومبين صفته . (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وجملة ترجو خبرها وأن وما في حيزها مفعول ترجو واليك متعلقان بيلقى والكتاب نائب فاعل وإلا أداة حصر بمعنى لكن للاستدراك ورحمة مفعول لأجله ومن ربك صفة لرحمة ، ويجوز أن يكون الاستثناء على حاله أي متصلاً ولكنه محمول على المعنى . (فلا تكونن ظهيراً للكافرين) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتكونن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو اسمها والكاف مفعول به والنون المذكورة نون التوكيد الثقيلة وظهيراً خبر تكونن وللكافرين متعلقان بظهيراً . (ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيره ، ونعيده

لوجود فارق بسيط ، فلا ناهية ويصدنك فعـل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون وحذفت الواو لأن النون لما حذفت التقى ساكنان الواو والنون المدغمة فحذفت الواو لاعتلالها ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وأصله يصدونك ، وعن آيات الله متعلقان بيصدنك والظرف متعلق بمحذوف حال وإذ ظرف لما مضى أضيف الى مثله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وقد تقدم بحث ذلك ، وجملة أنزلت في محـل جر باضافة الظرف إليهـا واليك متعلقان بأنزلت • (وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) الواو عاطفة وادع فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت والى ربك متعلقـان بادع ولا ناهية وتكونن مجزوم بها وقد تقدم اعرابه واسمها مستتر تقديره أنت ومن المشركين خبرها •

(ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إلـه إلا هو) الواو عاطفة ولا ناهية وتدع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب له والمراد غيره على حد قوله « لئن أشركت ليحبطن عملك » ومـع الله ظرف مكان متعلق بتدع وإلهاً مفعول به وآخر نعت لإلهاً ولا إله إلا هو تقدم إعرابها والجملة في محل نصب حال • (كـل شيء هالك إلا وجهـه له الحكم واليه ترجعون) كل مبتدأ وشيء مضاف اليه وهالك خبر المبتدأ وإلا أداة استثناء ووجهه مستثنى وسيأتي معنى الاستثناء في باب البلاغة ٪ له خبر مقدم والحكم مبتدأ مؤخر واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب الفاعل •

البلاغـة :

١ ـ سر التنكير في قوله « الى معاد » للتفخيم كأن هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر ، قيل المراد به مكة وهو يوم الفتح فمعاد الرجل بلده لأنه ينصرف منه فيعود اليه فالمعاد على هذا اسم مكان ، روي أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار ليلاً سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة تنزى الحنين في صدره وهاجه الشوق الى موطنه وحنّ الى مولده ومولد آبائه فنزلت عليه تطميناً لقلبه ، وفيها يتجلى مقدار الحنين الى الأوطان ، وقد رمق الشعراء جميعاً سماء هذا المعنى فقال ابن الرومي :

بلـد صحبت به الشبيبة والصبـا
ولبسـت ثوب العيش وهو جـديد
فإذا تمثـل في الضمـير رأيتـه
وعليـه أغصـان الشباب تميـد

وقال أبو تمام :

نقـل فؤادك حيـث شئت من الهوى
ما الحـب إلا للحبيـب الأول
كـم منـزل في الأرض يألفـه الفتـى
وحنينـه أبـداً لأول منـزل

والقول في حب الأوطان كثير ، ومما يؤكد ما قلناه في حب الأوطان قول الله عز وجل « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » فسوّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم ، وقال تعالى : « وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » .

وقال بعضهم « من أمارات العاقل بره لإخوانه ، وحنينه لأوطانه ، ومداراته لأهل زمانه » .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً فيرفضّ عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقي عليه كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى .

وقال يحيى بن طالب الحنفي من شعراء الدولة العباسية :

ألا هل إلى شم الخزامى وقطرة
إلى قَرْقَرَى قبل الممات سبيل

فأشرب من ماء الحجيلاء شربةً
يداوَى بها قبل الممات عليل

فيا أثلات القاع قلبي موكل
بكن وجدوى خيركنّ قليل

ويـا أثلات القـاع قـد مـل صحبتي
مســيري فهــل في ظلكــن مقيــل
أريـــد انحداراً نحوها فــيردّ لي
ويمنعــــني دين عــلي ثقيـــل
أحــدث نفسي عنك إذ لست راجعـاً
إليــك فحزني في الفـؤاد دخيــل

والأبيات المشهورة للصمة القشيري :

تمتــع من شميم عرار نجد ... فمـا بعـد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحـات نجــد ... وريا روضة بعـد القطـار
وعيشك إذ يحل الحي نجداً ... وأنت على زمانك غـير زار
شهــور ينقضــين وما شعرنا ... بأنصــاف لهـــن ولا سرار
فأما ليلهـــن فخـــير ليل ... وأقصر ما يكون من النهـار

وحسبنا ما قدمناه الآن .

٢ ـ المجاز المرسل :

في قوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » أي إلا إياه ، من ذكر البعض وإرادة الكل ، وقد جرت عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة .

سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟
وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٧)

اللغـــة :

(يفتنون) : يختبرون من فتن فلان يفتنه من باب ضرب : خبره وأحرقه وأضله ، يقال فتن الصائغ الذهب : أذابه بالبوتقة

ليختبره وليميز الجيد من الرديء ويقال فتنه يفتنه من باب ضرب أيضاً أعجبه واستماله وأوقعه في الفتنة .

الاعراب :

(الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) ألم تقدم اعرابها والقول فيها وفي فواتح السور ، وأحسب الهمزة للاستفهام التقريري أو التوبيخي وحسب فعل ماض ينصب مفعولين قال الزمخشري : « الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل » ولذلك احتاج الى مفعولين والناس فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب وأن يقولوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض وهو متعلق بمحذوف حال اذا قدر حرف الجر باء ، ولك أن تقدر حرف الجر لاماً فيكون تعليلاً للترك متعلقاً به أي لأجل قولهم ، وجملة آمنا مقول القول والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يفتنون خبر هم والجملة حالية ومعنى الآية أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير ممتحنين لا بل يمتحنون ليتبين الراسخ في الدين من غيره ، وهذا أحد أعاريب رأيناه أسهلها ، ونورد هنا عبارة الزمخشري لنفاستها قال :

« تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله « فتركنه جزر السباع ينشنه » ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فإن قلت : أن يقولوا هو

علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ ؟ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديباً تعليلين ، وتقول أيضاً حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبراً » وسيأتي المزيد من أبحاث هذه الآية في باب الفوائد .

(ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وفتنا فعل وفاعل والذين مفعوله ومن قبلهم متعلقان بمحذوف هو صلة الذين والفاء عاطفة واللام موطئة للقسم وليعلمن فعل مضارع مبني على الفتح والله فاعل والذين مفعوله وجملة صدقوا صلة وليعلمن الكاذبين عطف على ما تقدم وسيأتي سر المخالفة بين صدقوا والكاذبين في باب البلاغة والمعنى أن الفتنة والامتحان أمران لا بد منهما لابتلاء الخلق وقد تعرضت لهما الخلائق في مختلف ظروف الزمان والمكان . (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) أم منقطعة ومعناها بل وهي للاضراب الانتقالي ولا بد من همزة في ضمنها للتقرير والتوبيخ ، وحسب فعل ماض والذين فاعل وجملة يعملون السيئات صلة وأنْ وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب ، قال الزمخشري : « فإن قلت أين مفعولا حسب ؟ قلت : اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن

انه لا يجازى بمساويه » وساء فعل ماض جامد لإنشاء الذم وفاعله مستتر تقديره هو وما نكرة منصوبة على التمييز وجملة يحكمون صفتها والمخصوص بالذم محذوف أي حكمهم ويجوز أن تعرب ما اسم موصول فاعل وجملة يحكمون صلتها ، ويجوز أن تكون مصدرية أي حكمهم وعلى هذا يكون التمييز محذوفاً أي ساء حكماً حكمهم • (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم) من اسم شرط جازم مبتدأ وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسم كان مستتر يعود على من وجملة يرجو خبر كان ولقاء الله مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن أجل الله ان واسمها واللام المزحلقة وآت خبر إن والواو حرف عطف وهو مبتدأ والسميع العليم خبران لمن ، وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من •

(ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ وجاهد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وانما كافة ومكفوفة ويجاهد فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ولنفسه جار ومجرور متعلقان بيجاهد وإن واسمها واللام المزحلقة وغني خبر إن وعن العالمين متعلقان بغني والجملة تعليلية لما سبق من تقرير أن جهاد الشخص لا يصل منه الى الله نفع • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا واللام موطئة للقسم ونكفرن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة خبر الذين وعنهم متعلقان بنكفرن وسيئاتهم مفعول به • (ولنجزينهم أحسن الذي

كانوا يعملون) ولنجزينهم عطف على لنكفرن وأحسن مفعول به ثان والذي مضاف اليه وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا •

البلاغـة :

١ ـ التعبير بالصيغة الفعلية والصيغة الاسمية :

في قوله تعالى « فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » مخالفة بين الصيغة الفعلية وهي « صدقوا » والصيغة الاسمية في قوله « الكاذبين » والنكتة في هذه المخالفة أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه لأن وقت نزول الآيـة كانت حكاية عن قوم قريبي عهـد بالاسلام وعن قوم مستمرين على الكفر فعبر في حق الأولين بلفظ الفعل وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات ، أما بالنسبة لعلم الله فلا يقال ان فيه تجدداً في علم الله تعالى بهم قبل الاختبار وإيهاماً بأن العلم بالكائن غير العلم بأنه سيكون ، والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بما لموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ها هنا وان كان سابقاً على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال : لنعلمنهم فلنجازيهم بحسب علمه فيهم •

٢ ـ الحذف :

جرينا في اعراب قوله تعالى « من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت » على أن الفاء رابطة لجواب الشرط وان جملة ان أجل الله لآت هو الجواب وساغ وقوعه جواباً للشرط مع أن أجـل الله آت

لا محالة من غير تقييد بشرط وانه ينعدم بانعدام الشرط ساغ وقوعه جواباً لأننا نعني بلقاء الله تلك الحالة الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت كأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقائي فإن يوم الجمعة قريب إذا علم وتعورف انك تقعد للاستقبال يوم الجمعة ، هذا ويجوز أن يكون من باب الحذف البلاغي والتقدير فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

الفوائـد :

أطـال المعربون في التماس وجوه الاعراب لهـذه الآية وهي « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يؤمنون » وقـد اخترنا أمثل هـذه الوجوه وأدناها الى المنطق كمـا أوردنا نص قول الزمخشري فيها وكلا الوجهين سائغ مراد ونريد أن نفصل لك القول في الظن والحسبان وغيرهما من الأفعال التي تسمى « أفعال القلوب » وانما قيل لها ذلك لأن معانيها قائمة بالقلب ، وليس معنى هذا أن كل فعل قلبي ينصب مفعولين بل القلبي ثلاثة أقسام مالا يتعدى بنفسه نحو فكر في الأمر وتفكر فيه ، وما يتعدى لواحد بنفسه نحو عرف الحق وفهم المسألة ، وما يتعدى لاثنين بنفسه وهو المقصود بالتسمية وأصل المفعولين المبتدأ والخبر ، ورد بعضهم وهو السهيلي هذا القول وقال كيف يكون نحو ظننت زيداً عمراً أصلهما مبتدأ وخبر وأجيب بأن المراد هو التشبيه بدليل أنه يقال : ظننت زيداً عمراً فتبين خلاف فالظن المذكور لتشبيهه به ، وأجاب بعضهـم بجواب آخر وهو أنه متأول بمعنى ظننت الشيء المسمى بزيد مسمى بعمر كما أن قولك

زيد حاتم متأول بمعنى زيد مثل حاتم في المعنى ، استمع الى قول زفر ابن الحارث الكلابي :

وكنا حسبنا كـــل بيضاء شحمـــة
عشية لاقينـــا جـــــذام وحمـــيرا

فكل بيضاء مفعول حسبنا الأول وشحمة مفعوله الثاني وهو كناية عن أنه كان يظنهم شجعاناً فتبينوا بخلاف ذلك وبعد هذا البيت:

فلمـــــا لقينا عصبـــة تغلبيـــــة
يقودون جرداً في الأعنّـــــة خمــــرا

سقيناهـــــم كأساً سقونـــا بمثلهـــا
ولكنهـــم كانوا عـــــلى المـــوت أصبرا

فلما قرعنـــا النبـــــع بالنبـــــع بعضه
ببعض أبت عيـــــدانه أن تكسّـــــرا

إذا عرفت هـــذا كله فهمت معنى الآية بوضوح أي : أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم ، وتبجحوا بها ، واستطالوا على من سواهم انهم سيتركون غير ممتحنين ؟ لا بل سوف يمتحنهم الله بضروب الابتلاء وأنواع المحن حتى يسبر أغوارهم جميعاً ، ويبلو صبرهم وثبات أقدامهم ورسوخها في الايمان ، فليس الايمان كلمات تتردد على الألسنة وحسب لكنه يحتاج الى عمل أصيل ، وجهاد مستمر ، ليسفر عملهم عما فيه نفع أمتهم ، وجهادهم عن تأثيل أوطانهم •

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ووصينا الانسان بوالديه حسناً) كلام مستأنف للشروع في تقرير حق الأبوين وتحديد طاعتهما بعدم معصية الله • ووصينا فعل وفاعل والانسان مفعول به وبوالديه متعلقان بوصينا وحسناً نعت لمصدر وصينا على حذف مضاف أي إيصاء ذا حسن أو هو في نفسه حسن على المبالغة ، وقال الزجاج : « ومعناه : ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه وما يحسن » • (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الواو عاطفة وان شرطية وجاهداك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والألف فاعل والكاف مفعول به ولتشرك اللام لام التعليل وتشرك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره أنت والجار والمجرور متعلقان بجاهداك وبي

متعلقان بتشرك وما اسم موصول مفعول به لتشرك ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه متعلقان بعلم وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة ما ، فلا الفاء رابطة لجواب الشرط لأن الجواب جملة ولا ناهية وتطعهما فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والميم والألف حرفان دالان على التثنية والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب إن • (إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) إلي خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر والفاء حرف عطف وأنبئكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبما متعلقان بأنبئكم وجملة كنتم صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم •

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) الذين مبتدأ خبره « لندخلنهم في الصالحين » أي في زمرة الراسخين في الصلاح ، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاشتغال • وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات معطوفة على جملة آمنوا واللام موطئة للقسم وندخلن فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وفي الصالحين متعلقان بندخلهم • (ومن الناس من يقول آمنّا بالله) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المنافقين بعد أن بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر أي ناس وهو أولى من جعلها موصولة وجملة يقول صفة لمن على اللفظ وجملة آمنا مقول القول وبالله متعلقان بآمنا • (فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) الفاء حرف عطف وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وفي الله متعلقان بأوذي وجملة أوذي في محل جر بإضافة الظرف اليها أي في سبيل الله وجملة جعل لا محل لأنها جواب إذا وفتنة الناس مفعول جعل الاول

وكعذاب الله في موضع المفعول الثاني ، أو الكاف اسم بمعنى مثل في موضع المفعول الثاني والمعنى جزع من أذى الناس ، فأطاعهم كما يطيع الله من يخافه • (ولئن جاءهم نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وان حرف شرط جازم وجاءهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به ونصر فاعل ومن ربك متعلقان بجاءهم أو بمحذوف صفة لنصر ، ليقولن : اللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل وجملة إنا مقول القول وان واسمها وجملة كنا خبرها ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر كنا • (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) الهمزة للاستفهام التقريري التوبيخي والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وليس فعل ماض ناقص والله اسمها والباء حرف جر زائد وأعلم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وبما متعلقان بأعلم وفي صدور العالمين صلة ما • (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويعلمن فعل مضارع مبني على الفتح والله فاعل والذين مفعول به وجملة آمنوا صلة وليعلمن المنافقين عطف على وليعلمن الذين آمنوا •

الفوائد :

روى التاريخ أن سعد بن أبي وقاص وهو من السابقين الى الاسلام حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس : يا سعد بلغني أنك قد صبأت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب عليّ حرام حتى تكفر

بمحمد ، وكان أحبّ ولدها إليها ، فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآيةوالتي في لقمان والتي في الأحقاف ، فأمره رسول الله أن يداريها ويترضّاها بالاحسان •

وفي رواية للقرطبي أن سعداً قال لها : والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت ، هذا ومعنى قوله فوالله لا يظلني سقف بيتمن الضح والريح كمافي الصحاح الضحالشمس وفي الحديث لايقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان • وقيل نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم بن حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتاً حتى تراك وهي أشدّ حباً لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الـذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك عليّ أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر : أما إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منها ريب فارجع ، فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل : إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطىء لنفسه وله فأخذاه وشدا وثاقه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت •

وسواء أكانت المناسبة هذه أم تلك فالمسألة عامة ، وبر الوالدين مطلوب شرعاً وطاعتهما واجبة إلا في المعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقوله « وفتلا منه في الذروة والغارب » قال الجوهري في صحاحه : « ما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خدعته » .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ
أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ
ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) كلام مستأنف مسوق لبيان نموذج آخر من أضاليلهم . وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة الموصول وللذين متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة الموصول وجملة اتبعوا مقول القول واتبعوا فعل وفاعل وسبيلنا مفعول ولنحمل الواو عاطفة واللام لام الأمر

ونحمل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وخطاياكم مفعول به وسيأتي معنى الأمر في باب البلاغة . (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهم اسمها والباء حرف جر زائد وحاملين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ومن خطاياهم حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء وتقدم عليه ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول حاملين وجملة إنهم لكاذبون تعليل للجزم بعدم حملهم شيئاً من خطاياهم وإن واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها . (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويحملن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل وأثقالهم مفعول به وأثقالاً عطف على أثقالهم ومع أثقالهم ظرف متعلق بمحذوف صفة لأثقالاً . (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) الواو عاطفة ويسألن عطف على يحملن ويوم القيامة ظرف متعلق بيسألن وعما متعلقان بيسألن أيضاً وجملة كانوا صلة ما وجملة يفترون خبر كانوا . (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) كلام مستأنف مسوق لتأييد التكليف الذي ألزم محمد صلى الله عليه وسلم به أتباعه أي أنه ليس مختصاً بالنبي وأتباعه واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه متعلقان بأرسلنا ، فلبث الفاء عاطفة ولبث فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على نوح وفيهم متعلقان بلبث وألف سنة نصب على الظرف لأنه عدد أضيف الى الظرف فأخذ منه ظرفيته وهو متعلق بلبث أيضاً وإلا أداة استثناء وخمسين منصوب على الاستثناء وعاماً تمييز وقد روعيت هنا نكتة نذكرها في باب البلاغة .

(فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) الفاء عاطفة وأخذهم الطوفان فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والواو حالية وهم مبتدأ وظالمون خبر • والطوفان ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج :

حتى إذا ما يومها تصببا وعم طوفان الظلام الأثأبا

والبيت للعجاج يصف بقرة وحشية وما زائدة بعد إذا عم بالمهملة ويروى بالمعجمة والمعنيان متقاربان والأثأب نوع من الشجر يشبه شجر التين الواحدة أثأبة ونسبة التصبب لليوم مجاز عقلي من باب الإسناد للزمان أي تصبب المطر وستر ظلامه الشجر الذي كان فيه •

(فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) الفاء عاطفة وأنجيناه فعل وفاعل ومفعول به وأصحاب عطف على الهاء أو مفعول معه وجعلناها الواو عاطفة وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به آية مفعول به ثان وللعالمين صفة لآية •

البلاغة :

١ ــ مجيء الأمر بمعنى الخبر :

في قوله « ولنحمل خطاياكم » الكلام أمر بمعنى الخبر يعني أن أصل ولنحمل خطاياكم : إن تتبعونا نحمل خطاياكم ، فعدل عنه الى ما ذكر مما هو خلاف الظاهر من أمرهم بالحمل ، وفي قوله : « انهم لكاذبون » نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره ولا حجة له لأن الله تعالى أردف قولهم

ولنحمل خطاياكم على صيغة الأمر بقوله : انهم لكاذبون ، والتنكيت إنما يتطرق الى الاخبار •

٢ ــ نكتة العدد :

وذلك في قوله « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » فإن الإخبار بهذه الصيغة يمهد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم إذ لو قيل : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للعبارة الأولى لأن لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في اصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعاء •

وعبارة الزمخشري في صدد هذا العدد « فإن قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت : ما أورده الله أحكم لأنه لوقيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك ، وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة • وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره » •

نكتة ثانية في العدد :

وهناك نكتة ثانية وهو انه غاير بين تمييز العددين فقال في الأول « سنة » وقال في الثاني « عاماً » لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين إيذاناً بأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة .

نكتة ثالثة في العدد :

وهناك نكتة ثالثة اكتشفها الرازي قال : « فإن قلت ما الفائدة في مدة لبثه ؟ قلت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام فقال له الله تعالى : إن نوحاً لبث في قومه هذا العدد الكبير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك » .

الفوائد :

في قوله « ولنحمل خطاياكم » الأصل دخول لام الأمر ولا الناهية على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين ويقل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم فإن كان المتكلم غيره فدخولها عليه أهون وأيسر كالآية المتقدمة وقول الشاعر :

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد
لها أبداً ما دام فيها الجراضم

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ
ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ
كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾
قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ
تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

الاعراب :

(وإبراهيم إذ قال لقومه) كلام مستأنف لسوق قصة ثانية بعد قصة نوح والطوفان . وابراهيم منصوب بفعل محذوف تقديره

أذكر ، وإذ الظرف بدل اشتمال من ابراهيم ولك أن تجعله كلاماً معطوفاً فتعطف ابراهيم على نوحاً وتعلق الظرف بأرسلنا والمعنى عندئذ أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن مبلغاً يخاطب فيه قومه بعبارات الوعظ والارشاد ، وجملة قال لقومه في محل جر بإضافة الظرف اليها ولقومه متعلقان بقال • (اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الجملة مقول قول ابراهيم لقومه ، واعبدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعوله واتقوه عطف على اذكروا الله وذلكم مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير وإن شرطية وكنتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تعلمون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فاعبدوا الله واتقوه • (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً) إنما كافة ومكفوفة وتعبدون فعل مضارع وفاعل ومن دون الله حال وأوثاناً مفعول به وتخلقون إفكاً عطف على ما قبله ويجوز في الإفك أن يكون مصدراً وأن يكون صفة أي خلقاً إفكاً أي ذا إفك وباطل •

(إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) إن واسمها وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال وجملة لا يملكون خبر إن ولكم متعلقان برزقاً ورزقاً مفعول به ليملكون لأنه بمعنى المرزوق أو مصدر مؤول من إن والفعل أن لا يقدرون أنيرزقوكم ويجوز نصبه على المصدر وناصبه لا يملكون لأنه في معناه • (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) الفاء الفصيحة وابتغوا فعل أمر وفاعل وعند الله متعلقان بابتغوا والرزق مفعول ابتغوا واعبدوه واشكروا له عطف على ابتغوا واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل •

(وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) عطف على ما تقدم منتظم في سلك حديث ابراهيم عليه السلام لقومه ، وان شرطية وتكذبوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل ، فقد الفاء رابطة للجواب لاقترانه بقد وكذب أمم فعل وفاعل ومن قبلكم صفة لأمم وقيل جواب الشرط محذوف أي فلا يضرني تكذيبكم فقد كذّب أمم من قبلكم أنبياءهم ورسلهم ، وما الواو حالية أو استئنافية وما نافية وعلى الرسول خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة لبلاغ • (أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولم حرف نفي وجزم وقلب وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وجملة يبدىء الله الخلق في محل نصب مفعول يروا لأنها علقت عن العمل بالاستفهام والرؤية قلبية والمراد بها العلم الصحيح الواضح لأنه كالرؤية البصرية ، ثم يعيده كلام مستأنف أو هو كلام معطوف على أولم يروا وسبب امتناع عطفه على يبدىء لأن المقصود الاستدلال بما علموه من أحوال المبدأ على المعاد لإثباته فلو كان معلوماً لهم لكان تحصيلاً للحاصل ولا يقال انه من قبيل عطف الخبر على الانشاء لأن الاستفهام متضمن معنى الانكار والتقرير فهو بمثابة الإخبار وإن واسمها وعلى الله متعلقان بيسير ويسير خبر إن •

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) الكلام حكاية قول ابراهيم لقومه أو حكاية قول الله لابراهيم وسيروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وفي الأرض متعلقان بسيروا ، فانظروا عطف على سيروا وكيف حال وبدأ الخلق فعل وفاعل مستتر

ومفعول به والجملة في محل نصب مفعول انظروا المعلقة بسبب الاستفهام • (ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) ثم حرف عطف والله مبتدأ وجملة ينشيء خبر والنشأة الآخرة نصب على المصدرية المحذوفة الزوائد والأصل الإنشاءة وقرىء النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر ان • (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون) الجملة حالية أو خبر ثان لإن أو مستأنفة ويعذب فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله ومن مفعوله وجملة يشاء صلة من ويرحم من يشاء عطف على يعذب من يشاء وإليه متعلقان بتقلبون وتقلبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومعنى تقلبون: تردون وترجعون • (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنتم اسمها والخطاب لأهل الأرض والباء حرف جر زائد ومعجزين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما وفي الأرض حال ومفعول معجزين محذوف للعلم به أي الله تعالى أي لا تفوتونه إن حاولتم الهرب من قضائه ، ولا في السماء عطف على في الأرض ان حمل السماء على العلو فجائز ، أي في البروج والقلاع الذاهبة في العلو ، ويكون تخصيصاً بعد تعميم وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دون الله حال ومن ولي من حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ولا نصير عطف على من ولي •

(والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي) والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة وبآيات الله متعلقان بكفروا ولقائه عطف على آيات وأولئك مبتدأ وجملة يئسوا من رحمتي خبر أولئك

وجملة أولئك يئسوا خبر الذين • (وأولئك لهم عذاب أليم) وأولئك الواو عاطفة وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة لعذاب وجملة لهم عذاب أليم خبر أولئك •

البلاغـة :

١ ـ نكر الرزق في قوله (لايملكون لكم رزقاً) ثم عرفـه بقوله « فابتغوا عند الله الرزق » لأن الأول مقصور عليهم فاستوجب أن يكون ضئيلاً قليلاً فنكره تدليلاً على قلته وضآلته ، ولما كان الثاني مبتغى عند الله استوجب أن يكون كثيراً لأنه كله عند الله فعرفه تدليلاً على كثرته وجسامته •

٢ ـ الاضمار والاظهار :

في قوله « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قـل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشـأة الآخرة » فن قـل من يتفطّن اليه لأنه دقيق للغاية ولا يجنح إليه الكاتب أو الشاعر إلا لفائدة تربو على البداهة وهي تعظيم شأن الأمر . ألا ترى أنه صرح باسمه تعالى في قوله « ثم الله ينشىء النشأة الآخرة » مع إيقاعه مبتدأ ، وقد كان القياس أن يقول : كيف بـدأ الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة فأفصـح باسمه بعد إضماره والفائدة في ذلك أنه لما كانت الإعـادة عنـدهم من الأمور العظيمة وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الإبداء وقرر لهم أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة إنشاء مثل الابداء وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء فوجب أن لا تعجزه الإعادة

فللدلالة وللتنبيه على عظم هـذا الأمر الذي هو الاعـادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ، والأصل في الكلام الاظهار ثم الإضمار ويليه لقصد التفخيم الإظهار بعد الإظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الإظهار بعد الإضمار كما في الآية .

وعلى هذا يقاس ما ورد من كلامهم كقول بعضهم يصف لقـاء مع بني تميم قـال : « ولما تلاقينا وبنو تميم أقبلوا نحونا يركضون فرأينا منهم أسوداً ثكلاً تسابق الأسنة الى الورود ، ولا ترتد عـلى أعقابها إذا ارتدت أمثالها من الأسود وتناجـد بنو تميم علينا بحملة فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الإدبار » فإنه إنمـا قيل « وتناجد بنو تميم » مصرحاً باسمهم ولم يقل وتناجـدوا كما قيل « أقبلـوا » للدلالة عـلى التعجب من إقدامهم عند الحملة وثباتهم عنـد الصدمة لا سيما وقد أردف ذلك بقوله « لذنا بالفرار ، واستبقنا الى توليـة الأدبار » كأنه قـال : وتناجد أولئك الفرسان المشاهير ، والفرسان الكماة المناكير وحملوا علينا حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين .

ولقد أشار الامام الرازي الى هذه النكتة ولكنه أوردها مورداً آخر ولذلك ننقل عبارته بنصها : « أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال : كيف يبدىء الله الخلق وأضمره عند الإعادة ، وفي هذه الآية أضمره عند البدء وأبرزه عند الإعادة حيث قـال : ثم الله ينشىء النشأة لأنه في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند اليه البدء فقال يبدىء الله ثم قال : ثم يعيـده وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مسنداً الى الله تعالى فاكتفى به وأما اظهاره عند الانشاء ثانياً حيث قال : ثم الله ينشىء النشأة ، فليقع في ذهن السامع كمال قدرته

وعلمه وإرادته ولم يقل يعيده بل قال ينشىء للتنبيه على أن البدء يسمى نشأة كالإعادة والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا : نشأة أولى ونشأة ثانية » .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

الاعراب :

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجواب خبرها المقدم وإلا أداة حصر وأن قالوا مصدر مؤول هو اسم كان المؤخر أي قال بعضهم لبعض فكانوا جميعاً في حكم القائلين ، واقتلوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وأو حرف عطف وحرّقوه عطف

على اقتلوه • (فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) الفاء الفصيحة أي فقذفوه في النار فأنجاه الله ، وأنجاه الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن النار متعلقان بأنجاه وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يؤمنون صفة لقوم • (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) الواو عاطفة وقال عطف على أنجيناه وإنما كافة ومكفوفة واتخذتم فعل وفاعل ومن دون الله في موضع المفعول الثاني لاتخذتم وأوثاناً مفعول به أول لاتخذتم ومودة مفعول لأجله أو منصوبة بفعل محذوف تقديره أعني وبينكم مضاف الى مودة وفي الحياة الدنيا متعلقان باتخذتم أو بمحذوف حال• وهذه الآية شغلت المعربين كثيراً لاختلاف قراءاتها وتباين وجهات النظر فيها وقد ابتسرنا الكلام في الاعراب على قراءة حفص واخترنا أمثل الأوجه وأسهلها وسننقل في باب الفوائد غيضاً من فيض مما قيل فيها شحذاً للأذهان • (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) ثم حرف عطف للتراخي ويوم القيامة ظرف متعلق بيكفر وبعضكم فاعل وببعض متعلقان بيكفر أيضاً ويلعن بعضكم بعضاً فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) مأواكم مبتدأ أو خبر مقدم والنار خبر أو مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مبتدأ مؤخر وهو مجرور لفظاً •

(فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم) الفاء عاطفة وآمن فعل ماض ولوط فاعله وله متعلقان بآمن وقال عطف على فآمن وفاعله مستتر يعود على ابراهيم ولذلك يجب الوقف على

لوط لأن قوله إني مهاجر مقول ابراهيم فلو وصل لتوهم أن الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى وان واسمها ومهاجر خبرها وإلى ربي متعلقان بمهاجر أي الى حيث يأمرني ربي ، ففي الكلام مجاز ، وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إني أو خبر هو والجملة خبر إني والحكيم خبر ثان • (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول به ويعقوب عطف عليه وجعلنا فعل وفاعل وفي ذريته في موضع المفعول الثاني والشجرة هي المفعول الأول والكتاب عطف على النبوة • (وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به والواو عاطفة وأجره مفعول به ثان وفي الدنيا حال وانه ان واسمها وفي الآخرة حال واللام المزحلقة ومن الصالحين خبر إنه •

الفوائد :

قدمنا لك أمثل الأوجه في إعراب قوله تعالى « وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا » ووعدناك أن ننقل شيئاً مما قالوه فيها وكله من الكلام الجيد والمنطق الحصيف ونبدأ بما قاله الزمخشري قال : « قرىء على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك ، فالنصب على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم، وأن يكون مفعولاً ثانياً كقوله: « اتخذ إلهه هواه » أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم

كقولهتعالى : «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله» وفي الرفع وجهان: أن يكون خبراً لأن على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ، وعن عاصم : مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرىء « لقد تقطع بينكم » ففتح وهو فاعل ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه « أوثاناً انما مودة بينكم في الحياة الدنيا » أي إنما تتوادون عليها أو تودونها في الحياة الدنيا » .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وقال انما اتخذتم : في ما هذه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف وهو المفعول الأول وأوثاناً مفعول ثان والخبر مودة في قراءة من رفع كما سيأتي والتقدير إن الذي اتخذتموه أوثاناً مودة أي ذو مودة ، أو جعل نفس المودّة مبالغة ومحذوف على قراءة من نصب مودة أي الذي اتخذتموه أوثاناً لأجل المودة لا ينفعكم أو يكون عليكم لدلالة قوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض .

والثاني : أن تجعل ما كافة وأوثاناً مفعول به ، والاتخاذ هنا متعد لواحد أو لاثنين والثاني هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ مضمر أي هي مودة أي ذات مودة أو جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة لأوثاناً أو مستأنفة ، ومن نصب كان مفعولاً له أو بإضمار أعني .

الثالث : ان تجعل ما مصدرية وحينئذ يجوز أن يقدر مضاف من الأول أي إن سبب اتخاذكم أوثاناً مودة فيمن رفع مودة ويجوز

أن لا يقدر بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة ، وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً على ما مر في الوجه الأول ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة وجر بينكم ، ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكـم ، وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم ، فالرفع قد تقدم والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولاً ثانياً عـلى المبالغة للاتساع في الظرف ، ومن نصبه فعلى أصله ، ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غـير منونة ونصب بينكم وخرجت عـلى إضافة مودة للظرف وإنما بني لإضافته الى غير متمكن كقراءة « لقد تقطع بينكم » بالفتح إذا جعلنا بينكم فاعلاً » .

وفي كتاب أبي البقاء جاء قوله « قوله تعالى « انما اتخذتم » في ما ثلاثة أوجـه أحـدها هي بمعنى الذي والعائد محـذوف أي اتخذتموه و « أوثاناً » مفعول ثان أو حال و « مودة » الخبر عـلى قراءة من رفع والتقدير ذو مودة ، والثاني هي كافـة وأوثاناً مفعول ومودة بالنصب مفعول له وبالرفع على اضمار مبتدأ وتكون الجملة نعتاً لأوثان ويجوز أن يكون النصب على الصفة أيضاً أي ذوي مودة ، والوجه الثالث أن تكون ما مصدرية ومودة بالرفع الخبر ولا حذف في هذا الوجـه في الخبر بل في اسم ان والتقـدير ان سبب اتخاذكم مودة ، ويقرأ مودة بالاضافة في الرفع والنصب و « بينكم » بالجر وبتنوين مودة في الوجهين جميعاً ، ونصب بين وفيما يتعلق به « في الحياة الدنيا » سبعة أوجه : (الاول) أن يتعلق باتخذتم إذا جعلت ما كافة لا على الوجهين الآخرين لئلا يؤدي الى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر و (الثاني) أن يتعلق بنفس مودة إذا لم تجعل

بين صفة لها لأن المصدر إذا وصف لا يعمل و (الثالث) أن تعلقه بنفس بينكم لأن معناه اجتماعكم أو وصلكم و (الرابع) أن تجعله صفة ثانية لمودة إذا نونتها وجعلت بينكم صفة و(الخامس) أن تعلقها بمودة وتجعل بينكم ظرف مكان فيعمل مودة فيهما و (السادس) أن تجعله حالاً من الضمير في بينكم إذا جعلته وصفاً لمودة و (السابع) أن تجعله حالاً من بينكم لتعرفه بالاضافة ، وأجاز قوم منهم أن تتعلق في بمودة : وإن كان بينكم صفة لأن الظروف يتسع فيها بخلاف المفعول به » •

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

اللغة :

(ناديكم) النادي والندوة والمنتدى مجلس القوم نهاراً أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه وجمعه أندية ولا تقل نواد ، وغلط صاحب المنجد فجمعه على نواد ، وما يندوهم النادي أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم • وقال الزمخشري : « ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً » •

الاعراب :

(ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) عطف على إبراهيم أو منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ، والظرف بدل اشتمال من لوطاً وجملة قال في محل جر باضافة الظرف اليها ولقومه متعلقان بقال وجملة إنكم لتأتون مقول القول وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تأتون خبرها والواو فاعل والفاحشة مفعول به وجملة ما سبقكم مستأنفة مسوقة لتقرير فحشها وهجنة فاعلها ورجح أبو حيان أن تكون حالية كأنه قال : أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها ، وما نافية وسبقكم فعل ماض ومفعول به وبها متعلقان بسبقكم ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل سبقكم ومن العالمين صفة لأحد . (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) الهمزة للاستفهام الانكاري وانكم إن واسمها واللام المزحلقة وجملة تأتون خبر إن والرجال مفعول به وتقطعون السبيل عطف على تأتون الرجال ، قيل انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين ، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبيل بهذا السبب ، وتأتون عطف أيضاً وفي ناديكم متعلقان بتأتون والمنكر مفعول به . (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجواب خبر كان المقدم وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر وجملة ائتنا مقول القول وائتنا فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبعذاب الله متعلقان بائتنا وإن شرطية وكنت فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومن الصادقين خبرها وجواب إن محذوف

دل عليه ما قبله أي فائتنا بعذاب الله . (قال ربي انصرني على القوم المفسدين) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وانصرني فعل دعاء والفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول به وعلى القوم متعلقان بانصرني والمفسدين صفة للقوم .

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

اللغـــة :

(ذرعاً) : الذرع : الطاقة والقوة وفي المصباح : « ضاق بالأمر ذرعاً عجز عن احتمـاله وذرع الانسان طاقته التي يبلغهـا » وعبارة الزمخشري : « وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقاً له والأصل فيه

أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة » وفي الأساس واللسان العجيب من مجاز هذه الكلمة إذ يقال : ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً إذا لم يطقه وأبطرْتَ ناقتك ذرعها كلفتها ما لم تطق واقصِدْ بذرعك وارْبَع على ظلعك : ارفق بنفسك ، ومالك عليّ ذراع أي طاقة وطفت في مذارع الوادي وهي أضواجه ونواحيه وقد أذرع في كلامه هو يذرع فيه إذراعاً وهو الإكثار وفلان ذريعتي إليك وقد تذرعت به إليه أي توسلت وسألته عن أمره فذرّع لي منه شيئاً وذرعت لفلان عند الأمير : شفعت له وأنا ذريع له عنده ووقع فيهم موت ذريع : سريع فاش وذلك إذا لم يتدافنوا واستوى كذراع العامل وهو صدر القناة وهو لك مني على حبل الذراع أي حاضر قريب وجعلت أمرك على ذراعك أي اصنع ما شئت .

هذا والذراع من الرجل من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد مؤنثة فيهما وقد تذكر والذراع من المقاييس طوله بين الخمسين والسبعين سنتيمتراً .

(رجزاً) : الرجز والرجس : العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب .

الاعراب :

(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية) الواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي فاستجاب الله دعاء لوط وأرسل ملائكة لإهلاكهم وأمرهم أن يبشروا ابراهيم بالذرية

الطيبة فجاءوا أولاً إلى ابراهيم • ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءت رسلنا ابراهيم فعل وفاعل ومفعول به وبالبشرى متعلقان بجاءت وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة إنا مقول القول وإن واسمها ومهلكو خبرها وأهل هذه مضافين والقرية بدل من هذه وهي سذوم أو سدوم وقد تقدم تفصيل ذكرها فجدد به عهداً • (إن أهلها كانوا ظالمين) الجملة لا محل لها لأنها تعليل للإهلاك وان واسمها وجملة كانوا خبرها وظالمين خبر كانوا • (قال : إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) إن حرف مشبه بالفعل وفيها خبرها المقدم ولوطاً اسمها المؤخر وسيأتي معنى هذا الإخبار في باب البلاغة وقالوا فعل وفاعل ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبمن متعلقان بأعلم وفيها صلة من • (لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) اللام موطئة للقسم وننجينه فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره نحن وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه وإلا أداة استثناء وامرأته مستثنى وقد تقدم هذا وجملة كانت حالية وكانت فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هي ومن الغابرين خبرها أي الباقين في العذاب •

(ولما ان جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً) أن زائدة بعد لما تفيد المهلة مع الترتيب في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما وقد تقدم نظيرها في يوسف وجملة سيء بهم لا محل لها وسيء فعل ماض مبني للمجهول وبهم متعلقان بسيء ونائب الفاعل هو ضمير المصدر أي جاءته المساءة والغم بسببهم على حد قوله :

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

وسيأتي تفصيل لهذا في باب الفوائد . وضاق بهم عطف على سيء وذرعاً تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه بهم ، ويحتمل أن نائب الفاعل ضمير يعود على لوط (وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل وإنا إن واسمها ومنجوك خبرها والكاف في موضع جر بالإضافة وعلى هذا تنصب وأهلك بفعل محذوف أي وننجي أهلك ، وما بعده تقدم إعرابه . (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) ان واسمها ومنزلون خبرها وعلى أهل هذه القرية متعلقان بمنزلون ورجزاً مفعول به لمنزلون لأنه اسم فاعل ومن السماء صفة لرجز وبما الباء سببية وما مصدرية أي بسبب فسقهم ، وكان واسمها وجملة يفسقون خبرها . (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وتركنا فعل وفاعل ومنها متعلقان بتركنا أو هو المفعول الثاني لها وآية مفعولها الاول وبينة صفة لأن « ترك » اختلف فيها النحاة فمنهم من جعلها تتعدى الى واحد ومنهم من جعلها بمعنى صير فإلى مفعولين وهو اختيار ابن مالك وأنشد :

وربيته حتى إذا ما تركته

أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

ولقوم متعلقان ببينة وجملة يعقلون صفة لقوم .

البلاغـة :

فن الاشارة :

في قوله « ان فيهـا لوطاً » فن الاشارة وقد تقدم ذكره كثيراً في هذا الكتاب فليس المراد إخبارهم بكون لوط في القرية وانما هو جدال في شأنه لأنهم ذكروا أن أهلها سيهلكون بسبب امعانهم في الظلم فاعترض عليهم بأن فيها من هو بريء الساحة من الذنب لم يجترح ذنباً ولم يقترف إثماً ولم يشارك قومـه فيما هم ممعنون فيه من غي وارتكاس وفي هذا كله أيضاً إشارة الى أن من واجب الانسان المؤمن أن يتحزن لأخيه وأن يسارع الى رد الحيف عنه ويتشمر للدفع عنه وهذا من بليغ الاشارة وخفيها .

الفوائـد :

نائب الفاعل :

ينوب عن الفاعل بعد حذفه واحد من أربعة :

١ ــ المفعول به نحو « وغيض الماء وقضي الأمر » .

٢ ــ المجرور بحرف الجر نحو « ولمـا سقط في أيديهـم » شريطة أن لا يكون حرف الجر للتعليل فلا يقال وُقف لك ولا من أجلك ويقال في اعرابه انه مجرور لفظاً بحرف الجر مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل ، غير انه اذا كان مؤنثاً لا يؤنث فعله بل يبقى مذكراً فلا يقال ذهبت بفاطمة بل ذُهب بفاطمة .

٣ ــ الظرف المتصرف المختص نحو مُشي يوم كامل وصيم رمضان ، والمراد بالظرف المتصرف ما يصح الإسناد اليه كيوم وليلة

ودهر وشهر وغير المتصرف مالا يصح الاسناد اليه كحيث وعند ، والمراد بالمختص أن يكون مفيداً غير مبهم ويكون مختصاً بالوصف نحو جلس مجلس مفيد أو بالاضافة نحو سهرت ليلة القدر أو بالعلمية نحو صيم رمضان فلا تنوب عن الفاعل الظروف المبهمة نحو زمان ووقت ومكان غير مضافة •

٤ ـ المصدر المتصرف المختص نحو « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة » فنفخة نائب الفاعل وهو مصدر متصرف يصح الإسناد إليه ومختص لكونه موصوفاً ويمتنع سير سير لعدم الفائدة ، وقد ينوب عن الفاعل في المصدر المتصرف المختص ومنه قول الفرزدق :

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يكلَّم إلا حين يبتسم

فيكون المعنى يغضي الاغضاء المعهود وهو إغضاء الاجلال من مهابته فنائب الفاعل ضمير الاغضاء المفهوم من يغضي ، ولا يجوز أن يكون من مهابته في موضع الرفع على أنه نائب الفاعل لأن حرف الجر هنا للتعليل فهو في محل نصب على أنه مفعول من أجه ، ومن أمثلته أيضاً قول طرفة بن العبد البكري :

فيا لك من ذي حاجة حيل دونها
وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

فيكون المعنى حيل الحول المعهود ، ولا يصح أن يكون الظرف لأنه غير متصرف •

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(ولا تعثوا) : ولا تفسدوا وفي المصباح : « عثا يعثو وعثي يعثى من باب قـال وتعب أفسد فهو عاث » وفي القاموس : « وعثا كرمى وسعى ورضي عثيا وعثيا وعثيانا ، وعثا يعثو عثو أفسد » .

(الرجفة) : الزلزلة الشديدة وفي الأساس : « ورجفت الأرض « فأخذتهم الرجفة » « يوم ترجُف الأرض والجبال » ورجف الشجر وأرجفته الريح ورجف البعير تحت الرحل والمطي تحت رحالها رواجف ورجّف ، وجاءنا شيخ ترجُف عظامه . ومن المجاز : خرجوا يسترجفون الأرض نجدة وارتجفت بهم دفتا الشرق والغرب وأرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصيح عندهم وهذا من أراجيف الغواة والإرجاف مقدمة الكون وتقول : إذا وقعت المخاويف ، كثرت الأراجيف » .

(حاصباً) : ريحاً عاصفة فيها حصباء وفي المختار : « عصفت الريح اشتدت وبابه ضرب » .

الاعراب :

(والى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) الواو عاطفة والى مدين متعلقان بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح أي وأرسلنا الى مدين شعيباً وأخاهم مفعول به وشعيباً بدل أو عطف بيان والفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وقد مر حكم المنادى المضاف الى ياء المتكلم واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وارجوا عطف على اعبدوا واليوم مفعول به والآخر صفة لليوم . (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو عاطفة ولا ناهية وتعثوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفي الأرض متعلقان بتعثوا ومفسدين حال . (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء عاطفة وكذبوه فعل ماض وفاعل ومفعول به، فأخذتهم الفاء عاطفة وأخذتهم فعل ماض ومفعول به مقدم والرجفة فاعل مؤخر فأصبحوا

عطف على فأخذتهم والواو اسم أصبح وفي دارهم متعلقان بجاثمين وجاثمين خبر أصبحوا . (وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم) الواو عاطفة وعاداً مفعول به لفعل محذوف معطوف على ما قبله أي وأهلكنا عاداً ، وثموداً عطف على عاداً بالصرف وتركه والواو عاطفة وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض وفاعل مستتر تقديره اهلاكهم وقدره بعضهم آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها ومن مساكنهم متعلقان بتبين أي من جهة مساكنهم إذا عرجتم بها . (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) الواو عاطفة وزين فعل ماض ولهم متعلقان بزين والشيطان فاعل وأعمالهم مفعول به فصدهم عطف على زين وعن السبيل متعلقان بصدهم والواو حالية وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها ومستبصرين خبرها أي والحال أنهم كانوا متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم أصموا آذانهم وأغشوا عيونهم عن الحق ورؤية معالمه .

(وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) وقارون معطوف على عاد ، وفرعون وهامان عطف عليه وقدم قارون لقرابته من موسى أي أهلكناهم جميعاً والواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجاءهم فعل ومفعول به مقدم وموسى فاعل وبالبينات متعلقان بجاءهم فاستكبروا عطف على جاءهم وفي الأرض متعلقان باستكبروا والواو حالية وما نافية وكانوا كان واسمها وسابقين خبرها أي أنهم لجوا في طغيانهم ولكنهم لم يكونوا فائتين فأدركهم عذابنا . (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) الفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعرف مصيرهم فقد أخذنا كلا منهم بذنبه . وكلاً مفعول مقدم

لأخذنا وأخذنا فعل وفاعل ، فمنهم الفاء عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وهي نكرة موصوفة وأرسلنا صفة وعليه متعلقان بأرسلنا وحاصباً مفعول أرسلنا . (ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا) الواو عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة أخذته الصيحة صفة ، ومنهم من خسفنا به الأرض : عطف على سابقتها وكذلك ومنهم من أغرقنا . (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الواو عاطفة وما نافية وكان الله كان واسمها واللام لام الجحود ويظلمهم منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود والواو حالية ولكن مخففة مهملة وكانوا كان واسمها وأنفسهم مفعول مقدم وجملة يظلمون خبر كانوا .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

اللغــة :

(العنكبوت) : دويّبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً وتصيد بذلك النسيج طعامها والجمع عناكب وعنكبوتات والعنكب ذكرها

والجمع عناكب وعناكيب والعنكبة والعنْكباة والعكنْباةأنثاها والجمع عناكب وعناكيب،وقال علماء التصريف«والعنكبوت معروف،ونونهأصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التصغير عنيكيب ويذكر ويؤنث وهذا مطرد في أسماء الأجناس » وقال ابن يعيش في شرح المفصل « ومن ذلك فعللوت قالوا عنكبوت وتخربوت ولم يأت صفة فالعنكبوت معروفة وهي دويبة تنسج لها بيوتاً من خيوط واهية والتخربوت الناقة الفارهة والواو والتاء في آخرهما زائدتان زيدا في آخر الرباعي كما زيدا في آخر الثلاثي من نحو ملكوت ورهبوت » وسيأتي البحث عن التشبيه المتعلق ببيت العنكبوت في باب البلاغة .

الاعراب :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)حال من اتخذ الاصنام أولياء وعبدها واعتمدها راجياً نفعها وشفاعتها كحال العنكبوت كما سيأتي في باب البلاغة . ومثل مبتدأ والذين مضاف اليه وجملة اتخذوا صلة وهو فعل وفاعل ومن دون الله حال وأولياء مفعول به وكمثل خبر وقد تقدم نظيره ، العنكبوت مضاف اليه وجملة اتخذت بيتاً حالية . (لو كانوا يعلمون) لو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف تقديره لما عبدوها . (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم) الجملة تعليل لما قبله وان واسمها وجملة يعلم خبرها وما اسم موصول مفعول يعلم وجملة يدعون صلة والعائد محذوف أي يعلم الذين يدعونهم ويعلم أحوالهم والمراد بالتعليل التوكيد لما ضربه من مثل ومن دونه حال ومن شيء متعلقان

بيدعون ويجوز أن تكون ما نافية ومن شيء مفعول يدعون على أن من زائدة لسبقها بالنفي وجملة ما يدعون في محل نصب مفعول يعلم وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان . وقال بعضهم : « ما استفهامية أو نافية أو موصولة ومن للتبعيض أو مزيدة للتوكيد ، وقيل ان هذه الجملة على إضمار القول أي قل للكافرين إن الله يعلم أي شيء يدعون من دونه » . (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) الواو عاطفة وتلك مبتدأ والامثال بدل وجملة نضربها للناس خبر ويجوز أن يكون الامثال خبراً وجملة نضربها حال يكون أو خبراً ثانياً ، والواو حالية وما نافية ويعقلها فعل مضارع ومفعول به وإلا أداة حصر والعالمون فاعل يعقلها وسيأتي بحث الأمثال في باب البلاغة .

(خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين) كلام مستأنف للشروع في تسلية المؤمنين بعد أن خامرهم اليأس من إيمان الكفار . وخلق الله السموات فعل وفاعل ومفعول به وبالحق حال والباء للملابسة وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر وللمؤمنين صفة لآية .

البلاغة :

في قوله « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » فن التمثيل وقد تقدمت نماذج مختارة منه وبعضهم يجعله ضرباً من ضروب الاستعارة ويمثل له بقول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتّل

فمثّل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّى وله سبعة أنصباء ، والرقيب وله ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ، ومثّل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل . وفي الآية مثّل ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ، أي كما صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أن دينهم أضعف الأديان وأوهنها .

ومن جيد التمثيل قول عمر بن أبي ربيعة وكانوا يسمون شعره « الفستق المقشر » :

أيها المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استهلت
وسهيل إذا استقل يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت نهاية في الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامة ، فمثّل بينهما وبين سمييهما ولم يرد إلا بُعد ما بينهما وتفاوته خاصة لأن سهيلاً اليماني قبيح لا دميم .

وعليه ورد قول المتنبي أيضاً من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب الخارجي ومخالفته كافوراً :

برغم شبيب فارق السيف كفه
وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقـــاب الناس قالـــت لسيفه
رفيقـــك ُقيســـي وأنت يمـــاني

فإن شبيباً الخارجي الذي خرج على كافور الاخشيدي وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب ، وأخبار ذلك مشهورة والسيف الذي يقال له يماني في نسبته الى اليمن ، ومراد المتنبي أن شبيباً لما قتل وفارق كفه السيف فكأن الناس قالوا لسيفه : أنت يمـــاني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه .

التمثيل في رأي عبد القاهر :

وسبب آخر يذكره عبـــد القاهر مبيناً به روعة التمثيـــل ويراه محيطاً بأطراف الباب وذلك ان لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله باباً آخر من الظرف واللطف ومذهباً من مذاهب الاحساس لا يخفى موضعه من العقل وإذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت الى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب والتمثيل أخص شيء بهذا الشأن .

قال عبد القاهر : « وهل تشك في أنه يعمـــل عمـــل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر ُبعد ما بين المشـــرق والمغرب وهو يريك المعاني الممثلة شبهاً في الاشخاص الماثلة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ويريك التئام عين الأضداد، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً » ونكتفي الآن بهذا القدر على أن نعود إلى هذا البحث في موطن آخر من هذا الكتاب .

اتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ
ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ
أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ
﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(أتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة) كلام مستأنف مسوق للحث على تلاوة الكتاب وتدبر منطوياته والعمل بأحكامه ، وإقامة الصلاة المكتوبة المؤداة بالجماعة لتوحيد الكلمة وتصفية النفس من أدران الشوائب ، وأتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت أي يا محمد والخطاب له ليشمل كل فرد من أفراد أمته وما مفعول به وجملة أوحي صلة واليك متعلقان بأوحي

ومن الكتاب حال وأقم فعل أمر معطوف على أتل والفاعل مستتر تقديره أنت أيضاً والصلاة مفعول به • (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) الجملة تعليل للأمر بإقامة الصلاة ، وان واسمها وجملة تنهى عن الفحشاء والمنكر خبرها والواو استئنافية واللام لام الابتداء وذكر الله مبتدأ وأكبر خبر والله الواو عاطفة والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وفاعله مستترتقديره هو وما مفعول به وجملة تصنعون صلة • (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان إرشاد أهل الكتاب وكيفية مجادلتهم ، ولا ناهية وتجادلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وأهل الكتاب مفعول به وإلا أداة حصر وبالتي متعلقان بتجادلوا وموصوف الموصول محذوف أي بالمجادلة التي ، وهي مبتدأ وأحسن خبر والجملة صلة التي وإلا أداة استثناء والذين استثناء من الجنس وفي المعنى وجهان أوردهما أبو البقاء قال : « أحدهما إلا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم بالحسنى بل بالغلظة لأنهم يغلظون لكم فيكون مستثنى من التي هي أحسن لا من الجدل والثاني لا تجادلوهم البتة بل حكّموا فيهم السيف لفرط عنادهم » •

(وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) الواو عاطفة وقولوا فعل أمر وفاعل وجملة آمنا مقول القول وبالذي متعلقان بآمنا وجملة أنزل صلة وإلينا متعلقان بأنزل وأنزل اليكم عطف على أنزل الينا ففي الكلام حذف الموصول الاسمي أي والذي أنزل اليكم وإلهنا الواو عاطفة وإلهنا مبتدأ وإلهكم عطف على إلهنا وواحد خبر ونحن مبتدأ وله متعلقان بمسلمون

ومسلمون خبر نحن وفي هذا القول منتهى المناصحة والنصفة والاقناع. (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الانزال أنزلنا ، وأنزلنا فعل وفاعل واليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به • (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) الفاء تفريعية والذين مبتدأ وجملة آتيناهم صلة وهو فعل وفاعل ومفعول به والكتاب مفعول به ثان وجملة يؤمنون به خبر الذين • (ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) الواو عاطفة ومن هؤلاء خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يؤمن به صلة وهذا من قبيل الاخبار بالمغيبات وهي إحدى ميزات القرآن الكريم والواو حالية وما نافية ويجحد فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان به وإلا أداة حصر والكافرون فاعل يجحد • (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) كلام مستأنف للشروع في إيراد الدليل على إعجاز القرآن ، وما نافية وكنت كان واسمها وجملة تتلو خبرها وفاعل تتلو مستتر تقديره أنت ومن قبله حال لأنه كان صفة لكتاب ويجوز تعليقه بتتلو ومن حرف جر زائد وكتاب مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول تتلو والواو حرف عطف ولا نافية وتخطه فعل مضارع معطوف على تتلو وبيمينك متعلقان بتخطه وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وقد تضمن معنى الجواب لشرط محذوف أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط ، ولارتاب اللام واقعة في جواب إذن وارتاب المبطلون فعل ماض وفاعل •

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل إضراب عن ارتيابهم أي ليس فيه ما يدعو الى الارتياب فيه وهو محفوظ في الصدور وهو مبتدأ وآيات خبر وبينات صفة لآيات وفي صدور

متعلقان بمحذوف خبر ثان لهو أي هو مثبت محفوظ في صدورهم والذين مضاف اليه وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا . (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) تقدم اعراب نظيرها قريباً .

البلاغة :

الاطناب :

في قوله « ولا تخطه بيمينك » إطناب لا بد منه فذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط فيه زيادة في التصوير واستحضار لنفي كونه كاتباً ، وقد قدمنا أن الاطناب يرد حقيقة ومجازاً ، وهذا من النوع الاول ومثله قولهم : رأيته بعيني وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي ، وذقته بفمي ، وكل هذا يظنه الظان المبتدىء والسطحي انه من قبيل الزيادة والفضول وانه لا حاجة اليه ويقول : إن الرؤية لا تكون إلا بالعين والقبض لا يكون إلا باليد والوطء لا يكون إلا بالقدم والذوق لا يكون إلا بالفم وليس الأمر كما توهم بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله ويعز الوصول اليه وهو كثير في القرآن الكريم وقد تقدم بعضه وسيأتي الكثير منه أيضاً .

الفوائد :

١ ــ أثارت دائرة المعارف إشكالاً في قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون » فتقول : « إنها تدل على أنه تعلم القراءة في الكبر أي بعد نزول القرآن وإن كان التعبير غامضاً أيضاً » وليس التعبير غامضاً ولكن التخريج الذي خرجته دائرة المعارف الاسلامية فاسد من أساسه ، إذ أن لفظ

الآية صريح كل الصراحة في الدلالة على أن أهل مكة عرفوا عن النبي قبل نزول الوحي أنه لم يكن يتلو كتاباً ولا يكتب بيمينه ولو أنه كان كذلك إذن لارتاب المبطلون بأن يذكروا للناس انه كان يخلو الى نفسه فيكتب القرآن ويعده ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم ، ولم تقف دائرة المعارف الاسلامية عند هذا الحد فأوردت آية الفرقان وهي « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وواضح أن مفهوم هذه الآية لا يدل على شيء مما تخرصت به دائرة المعارف الاسلامية إذ أنها تدل في بساطة تامة على أن كفار قريش كانوا يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين وليس كل ما يدعي الكفار صواباً بل هو هجوم يقصد منه تجريح القرآن وإضعاف شأنه ويدل على مغالطة دائرة المعارف الاسلامية انها تغافلت الآية السابقة إذ يقول تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وقالوا أساطير الأولين » ... الآية وقد أوردنا حملة فقهاء الشرق والغرب على أبي الوليد الباجي لزعمه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية .

٢ ــ كيف تمّ تدوين القرآن :

ورد في كتاب الإتقان للسيوطي عن زيد بن ثابت قال « قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء » وعن زيد ابن ثابت أيضاً قال : كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع » قال الخطابي : « إنما يجمع النبي صلى الله عيله وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بعهده

الصادق بضمان حفظه عـلى هـذه الأمـة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر » •

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن » وعلق السيوطي على هذا الحديث بقوله : « لا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله في عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غـير مجموع في موضع واحـد ولا مرتب السور » •

وقال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنن : « كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب فانمـا أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شيء » •

قال السيوطي : « وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العسب واللخاف وفي رواية والرقاع وفي أخرى وقطع الاديم وفي أخرى الاكتاف وفي أخرى والأضـلاع وفي أخرى والاقتاب والعسب » • جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض ، واللخاف جمع لخفة وهي الحجارة الرقاق ، وقال الخطابي : صفائح الحجارة ، والرقاع جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد ، والأكتاف جمـع كتف وهو العظم الذي للبعـير ليركب عليه •

وروى البخاري في تفسيره في ذلك رواية له : « قال علي عليه السلام أن رسول الله أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله فإنه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل» والذي نراه ونستخلصه من مجموع هذه الأقوال أن النبي كان يبيح للمسلمين كتابة القرآن لمن كان يستطيع الكتابة منهم وانه كان يأمر كتابه بتدوينه ولكن التدوين لم يكن وفق نظام مقرر بحيث يقطع الى أن النبي خلف القرآن كله مدوناً مرتب السور مجموعاً .

ولما قبض الرسول بدأ التفكير في جمع المصحف ، وفي البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : أرسل إليّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر :

ـ إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقال زيد لعمر :

ـ كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر :

ـ هذا والله خير .

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، قال أبو بكر:

ـ إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح

له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص » الى آخر براءة .

وواضح من هذا أن أبا بكر وعمر وغيرهما خشوا وقد اندفع المسلمون في حروب الردة ثم في حروب الفتح أن يهمل أمر القرآن وهو معجزة رسول الله الكبرى ودعامة الاسلام الأولى فاتفقوا على جمعه من هذه الصحائف المتفرقة التي كان يكتبها عارفو الكتابة من الصحابة ومن صدور الناس فكتب القرآن أو على الأصح نقل ما كان منه مكتوباً وأكمل بما كان محفوظاً في صدور الرجال .

وعلى الرغم من كثرة النصوص التي نقلنا بعضها ، لا يزال هناك بعض الغموض يحيط بالطريقة التي اتبعها زيد بن ثابت في جمع صحف القرآن ، فقد ذكر أنه كان يحفظ القرآن كله ، ومن المرجح أن عدداً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن منهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وربما أبو بكر وعمر فلماذا لم يجتمع هؤلاء ويتموا عملهم مستعينين بالصحف التي أملاها النبي وبذاكرتهم ؟ ويظهر لنا أن هذه الطريقة الطبيعية التي اتبعت حتى تم لهم جمع المصحف بطريقة هادئة لا ارتجال فيها وهو ما عنته الآية الكريمة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولما كان عهد عثمان بن عفان جد من المناسبات ما دعا الى إعادة النظر في أمر هذه الصحف التي كتبها زيد بن ثابت .

روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا فأرسل عثمان الى حفصة بنت عمر بن الخطاب وزوج رسول الله صـلى الله عليه وسلم أن أرسلي إلينا هـذه الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقـال عثمـان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتـم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما آنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل عثمان الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بمـا سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال زيد :

« ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف وقد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري وهي « من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله علية » فألحقناها مع سورتها في المصحف .

ترتيب المصحف :

أما بصدد ترتيب المصحف فيقـول السيوطي : « الاجمـاع والنصوص على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك ، وذلك أن رسول الله كان يدل على مكان كل آية في سورتها ويؤيد هذا الرأي قول عثمان بن أبي العاص : « كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : « إن الله يأمر بالعدل

والإحسان وإيتاء ذي القربى » الى آخرها وقد التزم عثمان في تدوين المصحف ما علم أنه رأي رسول الله في ترتيب الآيات •

وأما ترتيب السور فهو متروك لاجتهاد المسلمين ولكننا نثبت رواية عن ابن عباس : روى ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال •

وفي كتاب الاتقان طائفة هامة جداً من الترتيبات حسب أسباب النزول وفيما يلي الترتيب التاريخي كما رواه ابن عباس •

« السور المكية »

١ ــ اقرأ ، ٢ ــ ن ، ٣ ــ المزمل ، ٤ ــ المدثر ، ٥ ــ تبت ، ٦ ــ الشمس ، ٧ ــ الاعلى ، ٨ ــ الليل ، ٩ ــ الفجر ، ١٠ ــ الضحى، ١١ ــ ألم نشرح ، ١٢ ــ العصر ، ١٣ ــ العاديات ، ١٤ ــ الكوثر ، ١٥ ــ التكاثر ، ١٦ ــ الماعون ، ١٧ ــ الكافرون ، ١٨ ــ الفيل ،

١٩ ـ الفلق ، ٢٠ ـ الناس ، ٢١ ـ الاخلاص ، ٢٢ ـ النجم ،
٢٣ ـ عبس ، ٢٤ ـ القدر ، ٢٥ ـ الضحى ، ٢٦ ـ البروج ،
٢٧ ـ التين ، ٢٨ ـ قريش ، ٢٩ ـ القارعة ، ٣٠ ـ القيامة ،
٣١ ـ الهمزة ، ٣٢ ـ المرسلات ، ٣٣ ـ ق ، ٣٤ ـ البلد ،
٣٥ ـ الطارق ، ٣٦ ـ الساعة ، ٣٧ ـ ص ، ٣٨ ـ الاعراف ،
٣٩ ـ الجن ، ٤٠ ـ يس ، ٤١ ـ الفرقان ، ٤٢ ـ الملائكة ،
٤٣ ـ مريم ، ٤٤ ـ طه ، ٤٥ ـ الواقعة، ٤٦ ـ الشعراء، ٤٧ ـ النمل،
٤٨ ـ القصص ، ٤٩ ـ بني إسرائيل ، ٥٠ ـ يونس ، ٥١ ـ هود ،
٥٢ ـ يوسف ، ٥٣ ـ الحجر ، ٥٤ ـ الانعام ، ٥٥ ـ الصافات ،
٥٦ ـ لقمان ، ٥٧ ـ سبأ ، ٥٨ ـ الزمر ، ٥٩ ـ المؤمنون ،
٦٠ ـ السجدة ، ٦١ ـ الشورى ، ٦٢ ـ الزخرف ، ٦٣ ـ الدخان ،
٦٤ ـ الجاثية ، ٦٥ ـ الاحقاف ، ٦٦ ـ الذاريات ، ٦٧ ـ الغاشية ،
٦٨ ـ الكهف ، ٦٩ ـ النحل ، ٧٠ ـ نوح ، ٧١ ـ ابراهيم ،
٧٢ ـ الانبياء ، ٧٣ ـ المؤمنون ، ٧٤ ـ السجدة ، ٧٥ ـ الطور ،
٧٦ ـ تبارك ، ٧٧ ـ الحاقة ، ٧٨ ـ المعارج ، ٧٩ ـ النبأ ،
٨٠ ـ النازعات ، ٨١ ـ الانفطار ، ٨٢ ـ الانشقاق ، ٨٣ ـ الروم ،
٨٤ ـ العنكبوت ، ٨٥ ـ المطففين .

« السور المدنية »

٨٦ ـ البقرة ، ٨٧ ـ الانفال ، ٨٨ ـ آل عمران ،
٨٩ ـ الاحزاب ، ٩٠ ـ الممتحنة ، ٩١ ـ النساء ، ٩٢ ـ الزلزلة ،
٩٣ ـ الحديد ، ٩٤ ـ القتال ، ٩٥ ـ الرعد ، ٩٦ ـ الرحمن ،
٩٧ ـ الانسان ، ٩٨ ـ الطلاق ، ٩٩ ـ البينة ، ١٠٠ ـ الحشر ،
١٠١ ـ النصر ، ١٠٢ ـ النور ، ١٠٣ ـ الحج ، ١٠٤ ـ المنافقون ،

١٠٥ ــ المجادلة، ١٠٦ ــ الحجرات، ١٠٧ ــ التحريم، ١٠٨ ــ الجمعة، ١٠٩ ــ التغابن ، ١١٠ ــ الصف ، ١١١ ــ الفتح ، ١١٢ ــ المائدة ، ١١٣ ــ براءة .

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ
شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ
بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ
مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ
بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) كلام مستأنف لتقرير نوع آخر من أنواع لجاجهم ومكابرتهم ، وقالوا فعل ماض والواو فاعل يعود على كفار مكة ولولا حرف تحضيض بمنزلة هلا وأنزل

فعـل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل وآيات نائب فاعـل ومن ربه صفة لآيات أو متعلقان بأنزل • (قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) إنما كافة ومكفوفة والآيات مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف هو الخبر أي ينزلها كيف يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً ، وإنما الواو عاطفة أو حالية وإنما كافـة ومكفوفة وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين صفة • (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهـم) الهمزة للاستفهـام الانكاري التقريري والواو عاطفـة على محذوف مقدر يقتضيه المقام أي أقصّر محمد ولم يكفهم ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكفهم فعل مضارع مجزوم بلم والهاء مفعول به وأن وما بعدها فاعل يكفهم وان واسمها وجملة أنزلنا عليك الكتاب خبر أن وجملة يتلى عليهـم حالية • (إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة ورحمة اسمها المؤخر وذكرى عطف عـلى رحمة ولقوم صفـة لذكرى وجملة يؤمنون صفة لقوم • (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض) كفى فعـل ماض والبـاء حرف جر زائد ولفظ الجلالة مجرور بالباء لفظاً فاعل كفى المرفوع محلاً وبيني ظرف متعلق بشهيداً وبينكم عطف عـلى شهيداً وشهيداً تمييز وجملة يعلم حال وما مفعول يعلم وفي السموات صلة والارض عطف على السموات•

(والذين آمنوا بالباطـل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) الذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وبالباطل متعلقان بآمنوا وكفروا بالله عطف على آمنوا بالباطل وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ أو ضمير فصـل والخاسـرون خبر هـم أو خبر أولئك والجمـلة خبر الـذين • (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العـذاب) كلام

مستأنف مسوق للتعجب أو الاستهزاء بهم ويستعجلونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك ولولا حرف امتناع لوجود وأجل مبتدأ ومسمى صفته والخبر محذوف واللام رابطة للجواب وجاءهم العذاب فعل ومفعول به وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم •
(وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويأتينهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول به وبغتة حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر وجملة هم لا يشعرون حالية •

(يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) يستعجلونك بالعذاب تقدم اعرابها وكرر الجملة للتعجب من حماقاتهم لأن من هدد بشيء التمس أسباب الوقاية منه أما هؤلاء فيستعجلونه • والواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة ومحيطة خبر إن وبالكافرين متعلقان بمحيطة ، وعبر بالحال وأراد الاستقبال أي ستحيط بهم وذلك للدلالة على التحقق والمبالغة ، ويجوز أن يراد بجهنم أسبابها المؤدية إليها فلا تأويل في قوله محيطة •

(يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الظرف متعلق بمحيطة وجملة يغشاهم العذاب في محل جر بإضافة الظرف إليها ومن فوقهم حال ومن تحت أرجلهم عطف على من فوقهم •

(ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة ويقول فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الموكل بالعذاب وقرىء ونقول وعلى كل حال الجملة معطوفة على يغشاهم وجملة ذوقوا مقول القول وهو فعل أمر وفاعل وما مفعول به على تقدير مضاف أي جزاء ما وجملة كنتم صلة وجملة تعملون خبر كنتم •

البلاغـة :

خص سبحانه وتعالى نار جهنم بالجانبين الاعلى والاسفل ولم يذكر اليمين ولا الشمال ولا الخلف ولا الأمام لإظهار الفرق بينه وبين نار الدنيا التي تحيط بجميع الجوانب ، فنار جهنم لا تطفأ بالدوس عليها ولكنها تنزل من فوق .

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

الاعراب :

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) يا حرف نداء وعبادي منادى مضاف لياء المتكلم والذين صفة لعبادي وجملة آمنوا صلة وإن واسمها وخبرها والفاء الفصيحة أي إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبدوا ، وإياي مفعول لفعل محذوف تقديره اعبدوا إياي فاستغنى بأحد الفعلين عن الفعل الثاني ، فاعبدوني الفاء عاطفة على الفاء الأولى وجملة اعبدوني مفسرة وهي فعل أمر وفاعل ومفعول به وهي الياء المحذوفة . (كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون) كل نفس مبتدأ وذائقة الموت خبرها والمراد مرارته ومشقته

ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي والينا متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا واللام موطئة للقسم ونبوئنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وجملة القسم خبر الذين ، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف دل عليه الفعل المذكور بعده وهو نبوئنهم ومن الجنة حال وغرفاً مفعول به ثان لأن بوأ يتعدى لاثنين وقد مرّ نظيره في يونس والحج وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لغرفاً وخالدين فيها حال ونعم فعل ماض جامد لانشاء المدح وأجر العاملين فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف أي أجرهم •

(الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) الذين نعت للعاملين ولك أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو تنصبه على أنه منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح وجملة صبروا صلة وعلى ربهم متعلقان بيتوكلون ويتوكلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والصبر هنا عام يشمل الهجرة ومفارقة الوطن وأذى المشركين وغير ذلك مما استهدف له المسلمون في مستهل أمرهم وتجري أحكامه على كل من امتحنته نوائب الايام وحدثان الزمان •

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

اللغـــة :

(يقــدر) : يضيق ويقتر ، ولهــذا الفعل خصائص عجيبة فهو يتوزع على طائفة من المعاني سنتناولها فيما يلي :

يقال : قدر الرزق : قسمه وباب نصر وضرب وقَدَّرَ وقدّر على عياله ضيق وقتر ، قال في الاساس : « وقدر عليه رزقه وقدّر : قتــر » وقــدر يقــدر مــن باب علــم قَدْراً وقُدرة ومقــدرة ومقدَرَة ومَقْدُرة ومقداراً وقدارة وقُــدورة وقــدوراً وقدراناً وقَداراً وقِدَراً على الشيء قوي عليه ، وقدر يقدر من باب ضرب قدْراً الأمر دبره وقــدر الشيء بالشيء قاسه به وجعله عــلى مقداره وقدر يقدُر ويقدر من بابي نصر وجلس الله عظمه ، وقدر الرجل فكر في تسوية أمره وتدبيره وقدر يقدر من باب تعب قدراً بفتحتين قصرت عنقه ، وقدر على الشيء اقتدر .

(الحيوان) : مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واواً كما قــال سيبويه ، سمي ما فيه حيــاة حيواناً ، قالوا : اشتر الموتان

ولا تشتر الحيوان أي اشتر الارض والدور ولا تشتر الرقيق الدواب، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي مافي بناء فعلان من معنى الحركـة والاضطراب كالنزوان واللهبـان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة •

الاعراب :

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها) كلام مستأنف مسوق لتقرير التوكل على الله وعدم الجزع ، وكأين تقدم إعرابها مفصلاً وهي هنا مبتدأ ومن دابة تمييزها المجرور بمن وجمل لا تحمل رزقها صفة لدابة وقولـه : (الله يرزقهـا وإياكم وهو السميع العليم) هو الخبر والله مبتدأ وجملة يرزقها خبر الله وإياكم عطف على الهاء والواو عاطفة وهو مبتدأ والسميع خبر أول والعليم خبر ثان • (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل ماض والتاء فاعل والهاء مفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة خلق السموات والارض خبر من والجملة في محل نصب مفعول ثان لسألتهم المعلقة للاستفهام وسخر الشمس والقمر عطف على خلق السموات والأرض واللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحـذوفة لتوالي الامثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة والله خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو مبتـدأ والخـبر محـذوف تقـديـره الله خلـق السـموات

والفاء الفصيحة وأنى اسم استفهام في محل نصب حال ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم) الله مبتدأ وجملة يبسط الرزق خبر ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ويقدر فعل مضارع معطوف على يبسط وله متعلقان بيقدر والضمير راجع لمن وان واسمها وعليم خبرها وبكل شيء متعلقان بعليم •

(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله) عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها في اعرابها• (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) الحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول القول وبل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعقلون خبره• (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) الواو استئنافية وما نافية وهذه مبتدأ والحياة بدل والدنيا نعت للحياة وإلا أداة حصر ولهو خبر هذه ولعب عطف على لهو • (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) الواو عاطفة وان واسمها والآخرة نعت للدار واللام المزحلقة وهي مبتدأ والحيوان خبر والجملة خبر إن ولو شرطية وكان واسمها وجملة يعلمون خبرها وجواب لو محذوف أي ما آثروا الحياة الدنيا •

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى
الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

الاعراب :

(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف دل عليه ما وصفهم وشرح من أمرهم هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد ولا يبعد أن تكون استئنافية ليتطرق الى نمط آخر من عنادهم • وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ركبوا في محل جر بإضافة الظرف اليها وفي الفلك متعلقان بركبوا وجملة دعوا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول به لمخلصين لأنه اسم فاعل • (فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة ونجاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والى البر جار ومجرور متعلقان بنجاهم وإذا فجائية وهي مع مدخولها جملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب لما وهم مبتدأ وجملة يشركون خبر هم • (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) اللام لام كي ويتمتعوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي وبما متعلقان بيكفروا وجملة آتيناهم صلة ما وليتمتعوا عطف على ليكفروا فهي مثلها ويجوز أن تكون اللام فيهما لام العاقبة والمآل ويحتمل أن تكون اللام فيهما لام الأمر وقرئ وليتمتعوا

بسكون اللام أمر تهديد وسيأتي بحث واف عن معنى الأمر في باب البلاغة كما سيأتي بحث الخليل بن أحمد عن أقسام اللام في اللغة العربية في باب الفوائد والفاء الفصيحة وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع وفاعل . (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) الهمزة للاستفهام الانكاري المفيد للتقرير لأن همزة الاستفهام الانكاري إذا دخلت على النفي أفادت التقرير لأن الكلام يصير إيجاباً ، والواو عاطفة على محذوف تقدير لقد جعلنا آمنين قارين في مكة ولم يعلموا ذلك ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يروا وان واسمها وجملة جعلنا خبرها ومفعول جعلنا الأول محذوف أي جعلنا بلدهم مكة وحرماً مفعول به ثان وآمناً صفة والواو حالية ويتخطف فعل مضارع مبني للمجهول والناس نائب فاعل ومن حولهم حال .

(أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وبالباطل متعلقان بيؤمنون وبنعمة الله يكفرون معطوف على ما قبله . (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه) الواو استئنافية ومن اسم استفهام متضمن معنى النفي في محل رفع مبتدأ وأظلم خبر وممن متعلقان بأظلم وجملة افترى على الله صلة وكذباً مفعول به وأو حرف عطف وكذب عطف على افترى وبالحق متعلقان بكذب ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءه فعل وفاعل مستتر ومفعول به . (أليس في جهنم مثوى للكافرين) الهمزة للاستفهام التقريري وليس فعل ماض ناقص وفي جهنم خبر ليس المقدم ومثوى اسمها المؤخر وللكافرين صفة لمثوى

وسيأتي معنى التقرير في باب البلاغة . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) والذين مبتدأ وجملة جاهدوا صلة ومفعول جاهدوا محذوف وسيأتي سر حذفه في باب البلاغة وفينا متعلقان بجاهدوا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً واللام موطئة للقسم وجملة نهدينهم خبر الذين سبلنا مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وان واسمها ومع المحسنين ظرف متعلق بمحذوف خبر إن .

البلاغة :

١ ـ معنى الامر :

قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز أن يأمر الله بالكفر وبأن يفعل العصاة ما شاءوا وهو ناهٍ عن ذلك ومتوعد عليه ؟ قلت : هو مجاز عن الخذلان والتخلية وإن ذلك الأمر متسخط الى غاية ، ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي الى ضرر جسيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه (أي غضبت) وقلت : أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسّر ولكنك كأنك تقول له : فإذا قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك » .

٢ ـ الاستفهام التقريري :

قلنا إن همزة الانكار إذا دخلت على النفي صار ايجاباً فيرجع

الى معنى التقرير ومنه في الشعر قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قال بعضهم لو كان استفهاماً ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وقيل لما بلغ جرير هذا البيت في القصيدة كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً فرحاً وقال هكذا مدحنا وأعطاه مائة من الابل .

٣ ــ الحذف :

تقدم القول في حذف المفعول به للإيجاز وهو هنا في قوله « والذين جاهدوا فينا » فقد أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول لتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وهذا أحسن من تقدير مفعول به خاص كما فعل الكثيرون من المفسرين ليتناول جميع الطاعات والمزدلفات .

الفوائد :

ذكر اللامات للخليل بن أحمد الفراهيدي :

ذكر الخليل بن أحمد شيخ سيبويه في مصنف صغير له أن عدد اللامات إحدى وأربعون لاماً ونوردها مع إلماع يسير إلى أحكامها كما أوردها الخليل ثم نعلق على ما بعض نراه جديراً بالتعليق منها :

١ ــ لام القسم وهي مفتوحة وبعدها نون مشددة وذلك مثل قوله عز وجل « لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » .

٢ ــ لام جواب القسم وهي تشبه لام القسم وتقوم مقامها .

٣ ــ لام الأمر وهي لا تأتي أبداً إلا بعد واو أو فاء مثل قوله تعالى « فليعبدوا ربّ هـذا البيت » « ولتأت طائفة » وماأشبه ذلك فإن عدمت واو أو فاء كانت اللام مكسورة نحو قوله عز وجل : « لينفق ذو سعة من سعته » .

٤ ــ لام جواب الأمر وهي تشبه لام الأمر ، وأنا لا أعرف إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجل : « ولنحمل خطاياكم » لا غـير .

٥ ــ لام الوعـد وهي تشبه لام الأمر وتقوم مقامهـا ، وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفين وهما في قولـه تعـالى : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » .

٦ ــ لام الوعيـد وهي تشبه لام الأمر وتقوم مقامهـا ، وأنا لا أعرف في القرآن إلا أربعة أحرف وهي في قولـه عز وجل : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرّ » ومثلها : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » لا غير .

٧ ــ لام التوكيد وهي مفتوحة وقبلها نون مشددة لا تأتي إلا بعد إن وإنا وأنك وإنكم وإنهم ، وانهما ، وإنه ، وذلك مثل قوله تعالى « وإن الله لعليم حليم » و « إن الله لغفور رحيم » و« إننا لفي شك » و« يقول أئنك لمن المصدقين» « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين » ،« وإنه لحب الخـير لشديد » « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » .

٨ ــ لام العماد وهي مفتوحة ولا تأتي إلا بعــد الكيد أعني « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » « وإن كادوا ليستفزونك » وما أشبه ذلك .

٩ ــ لام الجحد وهي مكسورة في ذاتها ناصبة للفعل ولا تأتي إلا بعد كان وما كنا وما كانوا أعني بذلك الكون وذلك مثل قوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب» «وما كانوا ليؤمنوا » وما أشبه ذلك .

١٠ــ لام كي وهي مكسورة في ذاتهــا ناصبة للفعل ولا تأتي أبداً إلا بعد فعل قد مضى وذلك مثــل قوله عز وجل : « ولتجري الفلك » وما أشبه ذلك .

١١ــ لام إن الخفيفــة وهي مكسورة وتشبه لام كي وتقوم مقامها مثل قوله تعالى : « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

١٢ــ لام الغاية وهي تشبه لام كي وتقوم مقامهــا وذلك مثل قوله عز وجل « ليضلوا عن سبيلك » .

١٣ــ لام الترجي وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى « لعل الله يحدث بعــد ذلك أمراً » « لعلك باخــع نفسك » « لعله يذكتر أو يخشى » .

١٤ــ لام التمني وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى « يا ليتني كنت تراباً » « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا » .

١٥ـ لام التحذير ، فلم أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجل : « لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » لا غير ذلك .

١٦ـ لام المدح وهي مفتوحة ومن ذلك « لنعم دار المتقين » .

١٧ـ لام الذم وهي مفتوحة أيضاً ومن ذلك « لبئس المولى ولبئس العشير » .

١٨ـ لام كما وهي مفتوحة وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » والمعنى كما آتيتكم .

١٩ـ لام المنقول وهي مفتوحة وذلك مثل قوله عز وجل : « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه » « ولمن صبر وغفر » والمعنى من يضره ومن يصبر .

٢٠ـ لام الجزاء وهي مفتوحة أبداً ولا تأتي إلا بعد لو ولولا وذلك مثل قوله تعالى « ولو شئنا لبعثنا » « ولو شئنا لرفعناه بها » وما أشبه ذلك .

٢١ـ لام الايجاب وهي مفتوحة ولا تأتي أبداً إلا بعد إن الخفيفة وذلك مثل قوله تعالى : « وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » « وإن كلٌ لما جميع لدينا محضرون » وما أشبه ذلك .

٢٢ـ لام الشفاعة وهي مكسورة في ذاتها ، وأنا لا أعرف في

القرآن إلا حرفاً واحداً وهو قوله عز وجل « ليقض علينا ربك » .

٢٣ـ لام الاستغاثة فهي لام الخفض الزائدة نحو : يا لزيد .

٢٤ـ لام الجر وهي مكسورة في ذاتها خافضة لغيرها وذلك مثل للمؤمنين للعالمين وما أشبه ذلك .

٢٥ـ لام الصفة وهي مفتوحة في ذاتها خافضة لغيرها ومثل ذلك : ولنا ولكم ولك وله وما أشبه ذلك وإنما فتحت هذه اللام وكسرت لام الجر للفرق بين الضمير والظاهر .

٢٦ـ لام الأصل وهي ساكنة نحو : الحسنة ، السيئة ، والوالدات وما أشبه ذلك .

٢٧ـ لام المعرفة وهي ساكنة وزائدة وتكون للتعريف وذلك مثل الرجل والغلام والجارية والمؤمنين والمتقين وما أشبه ذلك .

٢٨ـ لام التكثير وهي مفتوحة وهي لام أصلية وذلك مثل : أولئك ، أولئكم وأولات حمل وما أشبه ذلك ، وإنما سميت لام التكثير لأنك تخاطب الواحد بلفظ الجمع .

٢٩ـ لام الابتداء وهي مفتوحة نحو « ولذكر الله أكبر » « لقالوا إنما سكرت أبصارنا » « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » .

٣٠ـ لام التفضيل وهي تشبه لام الابتداء وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » ومثله : « لمسجد أسس على التقوى » وما أشبه ذلك •

٣١ـ لام ليس وهي مفتوحة وذلك مثل قوله تعالى «لايعلمون» « لايسمعون » « لايألونكم خبالاً » وما أشبه ذلك •

٣٢ـ لام النفي وهي مفتوحة تشبه لام ليس وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى : « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب » « ولا أقول للذين تزدري أعينكم » والمعنى : ولا أقول لكم •

٣٣ـ لام غير وهي مفتوحة وتعطف ما بعدها على ما قبلها وذلك مثل قوله تعالى « لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » « لا شرقية ولا غربية » « لا ظليل ولا يغني من اللهب » وما أشبه ذلك •

٣٤ـ لام التبرئة وهي مفتوحة وتنصب النكرات نحو قوله تعالى « لا ريب فيه »« لا إكراه »« لا تثريب »« لا جرم » وما أشبه ذلك •

٣٥ـ لام الصلة وهي مفتوحة ولا تأتي إلا بعد الجحد وذلك مثل قوله تعالى : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » وما أشبه ذلك •

٣٦ـ لام النهي وهي مفتوحة في ذاتها جازمة لغيرها وذلك مثل قوله : « فلا يسرف في القتل »

٣٧ــ « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » « ولا تتبع الهوى » وما أشبه ذلك ٠

٣٨ــ لام الدعاء وهي تشبه لام النهي وتقوم مقامها وذلك مثل قوله تعالى : « ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ٠

٣٩ــ لام الاستحقاق وهي مضمومة في آخر الكلام وذلك مثل ويل حيث وقعت ٠ قال الخليل : « تمت اللام والحمد لله رب العالمين » ٠

ملاحظات :

١ ــ هذا ولم يذكر في الشرح لام الالحاق ولام الفصاحة وقد عدّها أولاً ٠

٢ ــ عدّ « لا » لاماً وهذا خلاف ما درج عليه النحاة ٠

أما ابن هشام فقد قسم اللام المفردة إلى ثلاثة أقسام : عاملة للجر ، وعاملة للجزم ، وغير عاملة ، وليس في القسمة أن تكون عاملة للنصب خلافاً للكوفيين ، فالعاملة للجر مكسورة مع كل ظاهر نحو لزيد ولعمرو إلا مع المستغاث المباشر لها فمفتوحة نحو يا لله ومفتوحة مع كل مضمر نحو لنا ولكم ولهم إلا مع ياء المتكلم فمكسورة ٠

وللام الجارة اثنان وعشرون معنى ذكرها في كتاب المغني فليرجع إليه من شاء ٠

ثم تكلم عن اللام العاملة للجزم ، وأما اللام غير العاملة فسبع :

لام الابتداء ، واللام الزائدة ، ولام الجواب واللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط ومن ثم تسمى اللام الموطئة للقسم،ولام أل،واللام اللاحقة لأسماء الاشارة للدلالة على البعد ، ولام التعجب غير الجارة والتفاصيل في كتاب المغني .

سورة الروم

مكية وآياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

اللغة :

(الروم) : سيأتي ما يقوله التاريخ عنهم في باب الفوائد .

(بضع سنين) : تقدم معنى البضع في سورة يوسف واختلاف العلماء في عدده ، واختار الأصمعي أنه من الثلاث الى العشر .

الاعراب :

﴿ ألم غلبت الروم ﴾ ألم تقدم القول في إعرابها ، وغلبت فعل ماض مبني للمجهول والروم نائب فاعل • ﴿ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ في أدنى متعلقان بغلبت والواو عاطفة وهم مبتدأ ومن بعد غلبهم الجار والمجرور متعلقان بقوله سيغلبون وغلبهم مصدر الفعل المبني للمجهول وقد أضيف الى مفعوله وجملة سيغلبون خبر المبتدأ • ﴿ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ في بضع سنين متعلقان بقوله سيغلبون أيضاً وسيأتي سر إبهام عدد السنين في باب البلاغة ولله خبر مقدم والأمر مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة كأنه جواب لسؤال مقدر وهو أي فائدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لأن قوله سيغلبون لا يكون إلا بعد الغلبة ؟ فأجيب بأن فائدته اظهار تمام القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله تعالى وحده ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ومن حرف جر وقبل وبعد ظرفان بنيا على الضم لقطعهما عن الاضافة لفظاً لا معنى ثم جرّا بمن وبقيا على ضمهما أي من قبل غلب الروم ومن بعده ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ الواو عاطفة ويومئذ ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بيفرح والتنوين عوض عن جملة كما تقدم أي يوم تغلب الروم وبنصر الله متعلقان بيفرح أيضاً وجملة ينصر من يشاء مستأنفة لاظهار صدق المؤمنين ومن اسم موصول مفعول لينصر وجملة يشاء صلة وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والرحيم خبر ثان •

﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وعد الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهي قوله سيغلبون ويفرح المؤمنون وجملة لا يخلف الله وعده إما مفسرة مقررة

لمعنى المصدر فلا محل لها وإما حالية من المصدر والواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعملون خبرها . (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) جملة يعلمون قيل هي مستأنفة وهو قول سليم لا إعتراض عليه وقال الزمخشري : « بدل من قوله يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود الجهل الذي لا يتجاوز الدنيا ، وقوله ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والأعمال الصالحة » وقول الزمخشري أقعد بالفصاحة وأملى بالبلاغة ولكن ابدال المثبت من المنفي لا يصح كما تنص عليه قواعد النحو . وهم مبتدأ وعن الآخرة متعلقان بغافلون وهم تأكيد لهم الأولى وغافلون خبر هم الأولى ويجوز أن تكون هم الثانية مبتدأ ثانياً خبره غافلون والجملة خبر هم الأولى .

البلاغة :

١ ـ الابهام :

في قوله « في بضع سنين » إبهام وفائدة التفخيم وادخال الرهبة في قلوب المشركين في كل وقت والاشعار بأن زهوهم بأنفسهم واعتدادهم بقوتهم ليس إلا حين يطول أو يقصر ولكنه آيل الى الانتهاء ومفض الى العاقبة الحتمية وهي الارتداد والانتكاس ، وقد تقدم ذكر الابهام كثيراً .

٢ ـ التنكير :

وذلك في قولــه « يعلمــون ظاهراً من الحيــاة الــدنيا » وفائدته تقليــل معلومهــم ، وتقليــله يقربه من النفي حتى يطــابق المبدل منه وهو قوله « لا يعلمون » وهذا ما يرجح الب لية ولله در الزمخشري ما أبعد غوره ، وأصقــل ذهنه ، وعن الحسن (، قــال في تلاوته هذه الآية : بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بإصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء وفي هذا تعليل للعلم الذي بلغ أبعد آماده فغاص في الدأماء ، وحلق في أجواز الفضاء ، وفطن الى أبعد السرائر ، ومكنون الضمائر ، ولكنه حين يعرض لما استسر من أسرار الكون كالمبدأ والمعاد والمنتهى وقف ضئيلاً لا يبدىء ولا يعيد .

٣ ـ التعطف :

في قولــه : « وهم عن الآخرة هــم غافلون » فن التعطف وهو إعادة اللفظة بعينهــا في الجملة من الكلام أو البيت من الشعر فقد ردد « هم » للمبالغة في تأكيد غفلتهم عن الآخرة .

الفوائــد :

ما يقوله التاريخ :

(الروم) اسم أطلقه العرب على البيزنطيين ويطلق اليوم عــلى المسيحيين الشرقيين الملكيين من كاثوليك وأرثوذكس ، والامبراطورية الرومانية الشرقية عرفت بالبيزنطية نسبة الى بيزنطية اسم القسطنطينية

القديم سمى العرب سكانهـا الروم ، وأول أباطرة البيزنطين قسم أبوه ثيودوسيوس الامبراطورية الى غربية وعاصمتها روما والى شرقية وعاصمتها القسطنطينية • وسبب نزول الآية أنه كان بين فارس والروم قتال ، فاحتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهـل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهـل فارس عـلى إخوانكم من الروم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهـم أبو بكر : لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبيّ بن خلف : كذبت ، فقال له الصديق : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه ، والمناحبة بالحاء المهملة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين فلمـا خشي أبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر أتاه ولزمه وقـال : إني أخاف أن تخرج من مكة فأقـم لي كفيـلاً فكفله له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلمـا أراد أبيّ أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله فلزمه وقال : لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج الى أحد ثم رجع الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه إياها النبي حين بارزه وظهرت الروم عـلى فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم فأخـذ أبو بكر الخطر من ذرية أبيّ وجاء به الى رسول الله فقال له تصدق به

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

الاعراب :

﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتفكروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وفي أنفسهم متعلقان بيتفكروا وما نافية وخلق الله السموات فعل وفاعل ومفعول به والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وقيل هي في محل نصب معلقة للتفكر فتكون في محل نصب على اسقاط الخافض وإلا أداة حصر وبالحق حال أي مصحوبة بالحق قال الزمخشري : « والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد

اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكـذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به » وأجل عطف عـلى الحق ومسمى نعت لأجل • (وإن كثـيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) الواو حالية وإن واسمها ومن الناس صفة لكثيراً وبلقاء ربهم متعلقان بكافرون واللام المزحلقة وكافرون خبر إن • (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو عاطفـة على مقدر يقتضيه السياق أي أقعـدوا في أماكنهـم ولم يسيروا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعـل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وفي الارض متعلقان بيسيروا فينظروا الفاء عاطفة على يسيروا ولك أن تجعل الفاء سببية ويسيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها والذين مضاف اليه ومن قبلهم صلة الذين • (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها) جملة كانوا إما تفسيرية لا محل لها ولك أن تجعلها تابعة على البدلية ، وكان واسمها وأشد خبرها ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز وأثاروا الأرض عطف على كانوا وعمروها عطف أيضاً وهو فعل وفاعل ومفعول به وأكثر نعت لمصـدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهـم ومما متعلقان بأكثر وما مصدرية مؤولة مع ما بعـدها بمصدر مجرور بمن

(وجاءتهم رسلهـم بالبينات فما كان الله ليظلمهـم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وجاءتهم رسلهم فعل ومفعول بهم وفاعل وبالبينات متعلقان بجاءتهـم والفاء عاطفـة وما نافية وكان واسمها واللام لام الجحود ويظلمهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود

والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف وقد تقدم تقريره ولكن الواو حالية ولكن حرف استدراك مهمل وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون وجملة يظلمون خبر كانوا . (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى) ثم الفاء عاطفة للتراخي والشروع في بيان هلاكهم في الآخرة بعد هلاكهم في الدنيا وكان فعل ماض ناقص وعاقبة خبر كان المقدم والذين مضاف اليه وجملة أساءوا صلة والسوءى نعت لمصدر أساءوا .

(أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) أن وما في حيزها اسم كان المؤخر ولك أن تجعل السوءى هي الاسم وأن وما في حيزها نصب باسقاط الخافض أو هي بدل من السوءى وفيما يلي نص اعراب أبي البقاء وهو أوضح الأعاريب : « قوله تعالى : ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى يقرأ بالرفع والنصب فمن رفع جعله اسم كان وفي الخبر وجهان أحدهما السوءى وأن كذبوا في موضع نصب مفعولاً له أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا أو في موضع جر بتقدير الجار على قول الخليل والثاني أن كذبوا أي كان آخر أمرهم التكذيب والسوءى على هذا صفة مصدر ، ومن نصب جعلها خبر كان وفي الاسم وجهان أحدهما السوءى والآخر أن كذبوا على ما تقدم ويجوز أن نجعل كذبوا بدلاً من السوءى أو خبر مبتدأ محذوف والسوءى فُعلى من الأسوأ وهي صفة لمصدر محذوف والتقدير أساء الإساءة السوءى . وان جعلتها اسماً أوخبراً كان التقدير الفعلة السوءى أوالعقوبة السوءى» وكانوا كان واسمها وبها متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا .

اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَؤُا وَكَانُوا
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

اللغــة :

(يبلس) : أبلس فلان فهو مبلس إذا سكت عن يأس ويقال : أبلس الرجل انقطعت حجته فسكت فهو لازم لا يتعدى، وفي الكشاف: « الإبلاس أن يبقى ساكناً يائساً متحيراً يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو » وفي القاموس : « وأبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي » فقول صاحب المنجد انه يقال « أبلسه » غلط فظيع وقد علل علماء التصريف قراءة يبلس بالبناء للمفعول بأن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه إذ الأصل يبلس إبلاس المجرمين •

(روضة) : الروضة : كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وفي أمثالهم : أحسن من بيضة في روضة ، يريدون بيضة النعامة • وفي الأساس واللسان : « بأرضه روضة وروضات ورياض وروّض الغيثُ الأرضَ وأراض المكانُ واستراض أي كثرت رياضه ومن المجــاز : أنا عندك في روضة وغدير ، ومجلسك روضة من رياض الجنة » •

(يحبرون) : يسرون يقال حبره إذا سره سروراً تهلّل له وجهه فيه أثره ، وفي الاساس : « وحبره الله سره « فهم في روضة يحبرون » وهو محبور : مسرور » قال ابن الرومي يصف العنب :

ثم جلسنا مجلس المحبور على حفافي جدول مسجور

وفي الكشاف : « ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار ، فعن مجاهد رضي الله عنه : يكرمون ، وعن قتادة : ينعمون ، وعن ابن كيسان : يحلون ، وعن أبي بكر بن عياش : التيجان على رؤوسهم ، وعن وكيع: السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال : يا رسول الله هل في الجنة سماع ؟ قال : نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة ، قال الراوي : فسألت أبا الدرداء بم يتغنين ؟ قال : بالتسبيح . وروي أن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعتها أهل الدنيا لماتوا طرباً » هذا ويأتي فصل ممتع عن السماع وأثره في باب الفوائد .

الاعراب :

(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون) لفظ الجلالة مبتدأ وجملة يبدأ الخلق خبره ؛ ثم يعيده عطف على يبدأ . (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) الظرف متعلق بيبلس وجملة تقوم في محل

جر بإضافة الظرف اليها والساعة فاعل تقوم ويبلس المجرمون فعل وفاعل • (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم خبر يكن المقدم ومن شركائهم حال لأنه كان صفة لشفعاء في الأصل وتقدم عليه وشفعاء اسم يكن وكانوا كان واسمها وبشركائهم متعلقان بكافرين وكافرين خبر كانوا • (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الظرف متعلق بيتفرقون وقد تقدم اعراب نظيرها ويومئذ تأكيد لفظي للظرف • (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) الفاء تفريعية وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على الصلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وهم مبتدأ وفي روضة متعلقان بيحبرون وجملة يحبرون خبر هم والجملة خبر الذين • (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) عطف على الجملة السابقة ونظيرها في الاعراب ومعنى محضرون أي لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم •

الفوائد :

الغناء في الجنة وغناء الحور العين :

روي عن علي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن في الجنة نهراً طولَ الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها ، قلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال : إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » .

لمحة عن تاريخ الغناء :

لم يكن الغناء في غابر العصور على ما نعهده اليوم من ضبط القواعد والروابط بل كان ساذجاً ، وأول من جعل له قواعد وضوابط — على ما قيل — بطليموس وهو فيلسوف رياضي اشتغل بالرياضيات والموسيقى وإليه ينسب أول سلم موسيقي ، وكان أول من غنى في العرب من النساء قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما :

ألا يا قينُ ويحك قم وهينم لعل الله يصبحنا غماما

وأول من غنى من الرجال في اليمن ذو جدن وهو قيل من أقيال حمير وهكذا كان غناء العرب في جاهليتهم ساذجاً كتغني الحداة في حداء إبلهم والفتيان بالقمر والنجم والفلاة والخيل . وقد ورد ذكر الغناء في شعرهم ، قال طرفة بن العبد :

إذا نحن قلنا : اسمعينا انبرت لنا

على رسلها مطروفة لم تردّد

أي لم تتكلف ، وقوله مطروفة هي التي أصيب طرفها بشيء أي كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها ويروى مطلوقة ومطروقة .

قال ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة : « غناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب والسناد والهزج ، فأما النصب فغناء الركبان والفتيان قال اسحق بن ابراهيم وهو الذي يقال له المرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل فنسب إليه ومنه كان أصل الحداء وكله يخرج من أصل الطويل في العروض ، وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وهو على ست طرائق : الثقيل الأول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه ، وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم .

قال اسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناءَ الرقيقُ من فارس والروم فغنوا الغناء المجزّأ المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير .

وقال الجاحظ : العرب تقطّع الألحان الموزونة على الاشعار الموزونة والعجم تمطّط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

ولم يزالوا على طريقتهم هذه حتى جاء الاسلام فكانوا إذ ذاك لا يطربون إلا بالقراءة والشعر الحماسي لتمكن الدين منهم ولأنهم في دور تأسيس وفتوح ، فلما استتب لهم الأمر غلب عليهم الرفه والترف فمالوا الى الدعة ، ورقت طبائعهم ولانت جوانبهم وتفرق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي لهم وغنوا جميعاً

بالعيدان والطنابير والمعازف وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم •

تأثير الغناء :

قال الغزالي في الإحياء : « لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى انها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً ، فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل : من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء إليه ، والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فترى الجمال إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمدّ أعناقها ، وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها » ثم ذكر الغزالي دليلاً على ما قاله قصة العبد الذي أهلك الجمال بطيب صوته إذ جعلها تقطع مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة وبعد ذلك قال : « فإن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد في غلظ الطبع وكثافته

على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعهـا تتأثر بالنغمات الموزونة ولـذلك كانت الطيور تقف عـلى رأس داود عليـه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز مطلقاً أن يحكم فيه بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب » .

ومن غريب ما ينقل في تأثير الغناء : خرج مخارق المغني مع بعض أصحابه الى بعض المتنزّهات فنظر الى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله إياها فكأن المسؤول ضنّ بهـا وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك خـدود هذه الظباء أتدفع إليّ هذه القوس ؟ قال نعم ، فاندفع يغني :

مـاذا تقول الظبـاء أفرقـة أم لقـاء ؟

أم عهـدها بسليمى وفي البيـان شفـاء

مرت بنا سانحـات وقـد دنا الإمسـاء

فمـا أحارت جواباً وطـال فيهـا الغنـاء

فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر اليه مصغية الى صوته فعجب من حضـر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوس فأخذها وقطـع الغناء فعاودت الظبـاء نفارها ومضت راجعة على سننها .

قصة المليحة صاحبة الخمار الاسود :

وقصة المليحة صاحبة الخمار الأسود مشهورة وهي من خير ما يتمثّل به ويرويها الاصمعي فيقول : « قدم أعرابي بعدل من خُمُر العراق فباعها كلها إلا السُّود فشكا ذلك الى الدارمي (وهو مسكين الدارمي الشاعر) وكان قد تنسَّك وترك الشعر ولزم المسجد فقال : ما تجعل لي ؟ على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك • قال ما شئت • قال : فعمد الدارمي الى ثياب نسكه فألقاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول وقال شعراً ورفعه الى صديق له من المغنين فغنّى به وكان الشعر :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبّد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد
ردّي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا : قد رجع الدارمي وتعشّق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة في المدينة إلا اشترت خماراً أسود وباع التاجر جميع ما كان معه فجعل اخوان الدارمي من النساك يمرون فيقون : ما صنعت فيقول ستعلمون بعد حين فلما أنفد العراقي جميع ما كان معه رجع الدارمي الى نسكه ولبس ثيابه •

هذا ولو أردنا استقصاء ما ورد في هذا الباب من التأثير العجيب لطال بنا البحث ولكننا اكتفينا بما أوردناه لئلا نخرج عن الموضوع •

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً
وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) الفاء الفصيحة كأنها أبانت وأفصحت عما تقدم من عظمته في الخلق وابتداء وقيام الساعة انتهاء فإذا تبين لك ذلك فسبح الله واحمده على كل حال لأن التسبيح والتقديس هما الذريعتان الى النجاة ، وقيل أشار الى الصلوات الخمس في هذه الآية لما روي عن ابن عباس عندما سئل : « هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ قال : نعم وتلا هذه الآية » ففي تمسون صلاتا المغرب والعشاء وفي تصبحون صلاة الفجر وفي العشي صلاة العصر وفي تظهرون صلاة الظهر أي تدخلون في الظهيرة • وسبحان الله مفعول مطلق لفعل محذوف وحين تمسون ظرف متعلق بسبحان وجملة

تمسون في محل جر بإضافة الظرف اليها وتمسون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل لأنها تامة ومعناها تدخلون في المساء وسيأتي بحث التمام في باب الفوائد وحين تصبحون عطف على حين تمسون • (وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) الواو اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه نكتة أوردها الرازي وستأتي في باب الفوائد ، وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر وفي السموات حال والأرض عطف على السموات والجملة معترضة وعشياً عطف على حين تمسون وكذلك قوله وحين تظهرون • (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) الجملة مستأنفة أو حالية ويخرج فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله والحي مفعول به ومن الميت متعلقان بيخرج أي كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي عطف على ما سبق أي كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر •

(ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) الواو عاطفة ويحيي الارض فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبعد موتها الظرف متعلق بيحيي وإحياؤها إخراج النبات منها وكذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الاخراج تخرجون ، وتخرجون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وقرىء بالبناء للمعلوم فالواو فاعل •

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) الواو عاطفة ومن آياته خبر مقدم وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقكم وثم حرف عطف للتراخي وإذا فجائية وأنتم مبتدأ وبشر خبر وجملة تنتشرون حال وسيأتي وقوع إذا الفجائية بعد ثم في باب الفوائد • (ومن آياته أن خلق لكم من

أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها وقد ذكر سبحانه ست آيات من آياته ، وأزواجاً مفعول خلق واللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام واليها متعلقان بتسكنوا . (وجعل بينكم مودّةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وجعل عطف على خلق وبينكم ظرف في موضع المفعول الثاني لجعل ومودة هو المفعول الأول ورحمة عطف على مودة وان حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يتفكرون صفة لقوم . (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) عطف أيضاً على ما تقدم وستأتي حكمة الاختلاف بين الألسنة والألوان في باب الفوائد .

الفوائد :

١ — معنى التمام في أفعال النقصان عند سيبويه والجمهور هو دلالتها على الحدث والزمان ، ومعنى النقصان عندهم هو سلب الدلالة على الحدث والتجرد للدلالة على الزمان ، وذهب ابن مالك وابن هشام الى أن معنى التمام هو الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب قال ابن مالك في الخلاصة : « وذو تمام ما برفع يكتفي » ومعنى النقصان هو عدم الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب، وقد أورد ابن مالك عشرة أمور ليبطل بها مذهب الجمهور وهي مذكورة في شرحه على التسهيل فليرجع اليها هناك من يجب الاستقصاء ، إذا عرفت هذا فاعلم **أن لـ « أصبح وأمسى وأضحى » ثلاثة معان :**

١ ــ أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصة التي هي الصباح والمساء والضحى على طريقة كان •

٢ ــ أن تفيد معنى الدخول في هذه الأوقات كأظهر وأعتم وهي في هذا الوجه تكون تامة يسكت على مرفوعها قال حميد الأرقط :

فأصبحوا والنوى عالي معرسهم
وليس كلّ النوى تلقي المساكينْ

وقبله :

باتوا وجلتنا الصهباء بينهم
كأن أظفارهم فيها السكاكين

والجلة قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ولذلك وصفها بالصهبة يقول : لما أصبحوا ظهر على معرسهم وهو موضع نزولهم نوى التمر وعلاه لكثرته على انهم لحاجتهم لم يلقوا إلا بعضه •

٣ ــ أن تكون بمعنى صار كقولك : أصبح زيد غنياً وأمسى فقيراً تريد أنه صار كذلك مع قطع النظر عن وقت مخصوص ، قال عدي بن زيد :

ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ
فألوت به الصبا والدّبور

٢ ــ الاعتراض :

تقدم القول في الجمل المعترضة والواو الاعتراضية وقوله

« وله الحمد في السموات والأرض » الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لنكتة أوردها الرازي وهي أن تسبيحهم لنفعهم لا له فعليهم أن يحمدوه إذا سبحوه لأجل نعمة هدايتهم الى التوفيق .

٣ ـ الفاء قبل إذا الفجائية :

تقدم القول في إذا الفجائية ونقول هنا إن الغالب فيها أن تقع بعد الفاء لأنها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الاطوار التي قصها علينا في مواضع أخر من كوننا نطفة ثم مضغة ثم عظماً مجرداً ثم عظماً مكسواً لحماً فاجأ البشرية بالانتشار أي انهم انما يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة .

٤ ـ الحكمة في اختلاف الألوان والألسنة :

خالف سبحانه بين الألوان والألسنة حتى ما تكاد تسمع منطقين متفقين في جرس واحد ولا جهارة واحدة وحتى ما تكاد ترى صورتين متشابهتين تمام التشابه في الألوان والسمات والقسمات لحصول التعارف وإلا فلو كانت على مسلاخ واحد وبلون واحد وتقاسيم وتقاطيع واحدة لحصل الخلل والالتباس ولانعدم التمييز بينها جميعاً حتى أن التوءمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك محالة مهما يتقاربا في وجوه الشبه .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا

وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾

الاعراب :

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) الواو عاطفة ومن آياته خبر مقدم ومنامكم مبتدأ مؤخر وبالليل متعلقان بمنامكم وابتغاؤكم عطف على منامكم ومن فضله متعلقان بابتغاؤكم . (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يسمعون صفة لقوم . (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً) من آياته خبر مقدم ويريكم مبتدأ مؤخر على أنه فعل مضارع مؤول مع ان المصدرية المحذوفة والاصل أن يريكم وسيأتي المزيد من هذا المبحث الهام في باب الفوائد ويريكم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله والكاف مفعول به أول والبرق مفعول به ثان وخوفاً وطمعاً نصب على أنهما مفعول لأجله وقد اعترض على هذا الاعراب بأن من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ، والجواب عن هذا الاعتراض يأتي من جهتين إما ان المفعولين فاعل في المعنى لأنهم راءون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق

خوفاً وطمعاً والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي إراءة خوف وإراءة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أي خائفين طامعين وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد .

(وينزلُ من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) وينزل عطف على يريكم ومن السماء جار ومجرور متعلقان بينزل وماء مفعول به فيحيي عطف على ينزل وبه متعلقان بيحيي والارض مفعول به وبعد موتها الظرف متعلق بمحذوف حال. (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) تقدم إعرابه . (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) عطف على ما تقدم . (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعاكم في محل جر بإضافة الظرف اليها ودعاكم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ودعوة مفعول مطلق ومن الأرض متعلقان بدعاكم ، يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي ، وإذا الفجائية وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط وأنتم مبتدأ وجملة تخرجون خبر . (وله من في السموات والارض كلٌ له قانتون) له خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وفي السموات والأرض صلة وكل مبتدأ وله متعلقان بقانتون وقانتون خبر كل أي مطيعون طاعة انقياد .

البلاغة :

في قوله تعالى « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » فن اللف وقد تقدم بحثه كثيراً قال الزمخشري : « هذا من باب اللف وترتيبه : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل

والنهار . إلا أنه فصل بين القرينتين الأوليين بالقرينتين الأخريين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ، ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأشدّ المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية » أقول ما ذكره الزمخشري مشكل من جهة الصناعة النحوية لأنه إذا كان المعنى ما ذكره يكون النهار معمول ابتغاؤكم وقد تقدم عليه وهو مصدر وذلك لا يجوز ثم يلزم العطف على معمولي عاملين فالتركيب لا يسوغ .

وشجب ابن هشام قول الزمخشري فقال : « قول الزمخشري ومن مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إنه من اللف والنشر وان المعنى منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ، وهذا يقتضي أن يكون النهار معمولاً للابتغاء مع تقديمه عليه وعطفه على معمول منامكم وهو بالليل وهذا لايجوز في الشعر فكيف في أفصح الكلام؟» .

أقول : إن الزمخشري لم يرد العمل الذي قاله ابن هشام بل مراده أن الليل مرتبط معنى بالمنام والنهار مرتبط معنى بالابتغاء وبالليل خبر لمبتدأ محذوف والتقدير وذلك كائن بالليل والنهار والجملة معترضة حقها التأخير .

الفوائد :

١ ــ شرط اتحاد الفاعل في المفعول لأجله :

أشرنا في الاعراب الى الاعتراض الموجه الى اعراب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما والرد على الاعتراض وشرط اتحاد الفاعل قاله المتأخرون

من النحاة وخالفهم ابن خروف فأجاز النصب مع اختلاف الفاعل محتجاً بهذه الآية قائلاً إن فاعل الإراءة هو الله تعالى وفاعل الخوف والطمع المخاطبون وأجاب عنه ابن مالك في شرح التسهيل فقال : « معنى يريكم يجعلكم ترون ففاعل الرؤية على هذا هو فاعل الخوف والطمع ».

ومن أمثلة حذف أن وانزال الفعل منزلة المصدر المثل المعروف « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » وهذا المثل يضرب لمن خبره خير من مرآه ، أول من قاله المنذر بن ماء السماء وكان يسمع بشقة بن خمرة المعيدي ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه ، وكان كريه المنظر ، قال هذا المثل فخير خبر للمصدر المنسبك من أن المضمرة في تسمع أي سماعك ، ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وقد روى أحضر بالنصب والرفع ووجه النصب بأن مضمرة ويؤيده وأن أشهد ، وقول الآخر :

وقالوا : ما تشاء ؟ فقلت ألهو
إلى الإصباح آثر ذي أثير

وهذا البيت لعروة بن الورد العبسي من جملة أبيات منها :

أرقت وصحبتي بمضيق عمق لبرق من تهامة مستطير
سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وقالوا ما تشاء البيت ..

وأرقت : سهرت والواو للمعية والمضيق المكان الضيق وعمقٌ بكسْر فسكون شجر ببلاد الحجاز وبضم ففتح موضع منخفض عند مكة ولعله سكن هنا للوزن والبرق متعلق بأرقت أي سهرت في هـذا الموضع لأجل برق من تهامة جهـة محبوبتي ويحتمل أن الواو حالية وحجتي مبتدأ خبره بمضيق عمق وإذا كان اصحابه فيه فهو فيه فرجع الى الاول ومستطير : منتشر وتكنفوني أحاطوا بي وعداة جمع عاد بمعنى عدو وقيل جمع عدو أي هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم وهي جملة اعتراضية ويحتمـل أن عداة بدل من ضمـير الفاعل أي أحاطوا بي وقالوا : ما الذي تريده ؟ فقلت ألهو أي هو أن ألهو فأن مقدرة معنى ان ولم ينتصب الفعل لفظاً وقال الجوهري في الصحاح : « يقال افعل هـذا آثر ذي أثير أي أول كل شيء » فأشار الى أن آثر نصب عـلى الظرفية المجازية أو الحالية أي افعله حال كونه أول كل شيء يؤثر فهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول .

٢ ـ خاض المعربون كثيراً في اعراب هـذه الآية وقد لخص أبو البقاء أقوالهم جميعاً في ثلاثة نوردها فيما يلي بنص كلامه :

« ومن آياته يريكم البرق » فيه ثلاثة أوجه أحدها أن من آياته حـال من البرق أي يريكم البرق كائناً من آياته إلا أن حق الواو أن تدخل هنا على الفعل ولكن لما قدم الفعل وكانت من جملة المعطوف أولاها الواو وحسن ذلك أن الجـار والمجرور في حكـم الظرف فهو كقوله: آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة، والوجه الثاني أن أن محذوفة أي ومن آياته أن يريكم وإذا حذفت أن في مثل هذا جاز رفع الفعل

والثالث أن يكون الموصوف محـذوفاً أي ومن آياته آية يريكم فيها البرق فحذف الموصوف والعائد ويجوز أن يكون التقدير : ومن آياته شيء أو سحاب ويكون الفاعل ضمير شيء المحذوف » والوجه الثاني هو الـذي اخترناه وهو الظاهر والأبعـد عن التكلف ،وهو الموافق لاخواته التي ذكر فيها الحرف المصدري .

وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الواو عاطفة وهو مبتدأ والـذي خبر وجملة يبدأ الخلق صلة الـذي والخلق في الاصل مصدر ولكنه اعادة الضمير في يعيده عليه بمعنى المخلوق فهو استخدام وسيأتي بحث هذا الفن الرفيع في باب البلاغـة وهو الواو حالية أو عاطفة وهو مبتدأ وأهون خبره وعليه متعلقان بأهون وسيأتي السر في تذكير الضمير في قوله وهو مع أن المراد به الاعادة كما سيأتي

معنى أهون عليه وسر تأخير الجار والمجرور وهو عليه • (وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الواو عاطفة وله خبر مقدم والمثل مبتدأ مؤخر والأعلى صفة وفي السموات حال والأرض عطف على السموات وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) ضرب فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ومعنى ضرب هنا جعل ولكم في محل نصب مفعول ثان ومثلاً هو المفعول الأول ومن أنفسكم صفة لمثلاً أي كائناً من أنفسكم فمن معناه الابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم • (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم ومما حال من شركاء لأنه في الأصل نعت نكرة فقدم عليها وجملة ملكت صلة وأيمانكم فاعل ملكت ومن حرف جر زائد وشركاء مبتدأ مؤخر وفيما رزقناكم متعلقان بشركاء وما في مما ملكت بمعنى النوع والتقدير هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت أيمانكم مستقرون لكم ، فكائنون هو الوصف المتعلق به مما ملكت فلما قدم صار حالاً ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به ولكم •

(فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) الفاء واقعة في جواب الاستفهام وأنتم مبتدأ وفيه متعلقان بسواء وسواء خبر وجملة تخافونهم خبر ثان لأنتم أو في موضع الحال من ضمير الفاعل في سواء أي فتساووا خائفاً بعضكم من بعض مشاركته له في المال ، وكخيفتكم نعت لمصدر محذوف أي خيفة مثل خيفتكم والمصدر مضاف لفاعله وأنفسكم مفعول به للمصدر وكذلك نعت لمصدر محذوف أيضاً ونفصل الآيات فعل مضارع وفاعل

مستتر تقديره نحن والآيات مفعول به ولقوم متعلقان بنفصل وجملة يعقلون صفة لقوم .

(بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) حرف اضراب وعطف واتبع عطف على طريق الالتفات والذين فاعل اتبع وجملة ظلموا صلة الذين وأهواءهم مفعول به وبغير علم حال . (فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين) الفاء الفصيحة ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يهـدي خبر ومن مفعول يهـدي وجملة أضل الله صلة والعائد محذوف أي أضله الله والواو حرف عطف وما نافية ولهم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور لفظاً مبتـدأ مؤخر محلاً ويجوز أن تجعل ما حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها .

البلاغـة :

١ ـ فن الاستخدام :

في قوله « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » فن الاستخدام كما قررنا في الاعراب وهو فن دقيق غامض المسلك وفيه قولان : الأول أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنين اشتراكاً أصلياً متوسطة بين قرينتين أو متقدمة عليهما أو متأخرة عنهما يستخدم كل قرينة منهما في معنى من معنيي تلك الكلمة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك سواء كان الاستخدام بضمير أو بغير ضمير ، قال الله تعالى « لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت » فإن لفظـة كتاب تحتمل الأجـل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظي أجل ، ويمحو إذ استخدمت أحد مفهوميها وهو الأجل بقرينة ذكر الأجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو المكتوب بقرينة يمحو .

والقول الثاني انه اطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقاً فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر أو يعيد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث وهذا هو المذهب المشهور في الاستخدام وهو طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومنه الآية التي نحن بصددها فقد أعاد الضمير وهو قوله « وهو أهون عليه » على الخلق بمفهومه الآخر وهو المخلوق لا بمفهومه الأول وهو المصدر ومنه قول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وان هم
شبوه بين جوانحي وضلوعي

فقد أعاد ضمير شبوه على الغضا بمفهومه الآخر وهو الشجر تكون ناره قوية وبها يضرب المثل فيقال جمر الغضا مع أنه يريد مكاناً معيناً تنزل فيه محبوبته •

٢ ـ وفي هذه الآية أيضاً فن « المذهب الكلامي » وقيل ان أول من اخترعه الجاحظ وزعم أنه لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم وهو مشحون به وتعريفه انهاحتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة وقد ساق الرماني في إعجازه المترجم بالنكت وفي تفسيره الجامع الكبير في الضرب الخامس من باب المبالغة من الاعجاز : اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج •

٣ ـ سر تذكير الضمير :

تذكير الضمير في قوله « وهو أهون » مع أنه عائد على الاعادة

باعتبار كونها رداً وارجاعاً أو مراعاة للخبر وهو أهون قال الكرخي : « وذكر الضمير فيه مع أنه راجع الى الاعادة المأخوذة من لفظ يعيده نظرا الى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو رده كما نظر اليه في قوله : « لنحيي به بلدة ميتاً » أي مكاناً ميتاً أو تذكيره باعتبار الخبر .

٤ ـ تأخير الصلة

وتأخير الجار والمجرور وهو « عليه » مع أنه مقـدم في قوله : « هو عليّ هين » لأن المقصود مما نحن فيه هنا خلاف المقصود هناك فإنه اختصاص الله بالقدرة على إيلاد الهم والعاقر ، وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في المشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ، وهذا سؤال مشهور تعورف بينهم وهو انه كيف قال تعالى«وهو أهون عليه» والافعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية في السهولة؟وايضاحه أن الأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم من أن الاعادة للشيء أهون من ابتدائه لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها فالإعادة محكوم عليها بزيادة السهولة وهناك جواب آخر وهو أن تكون أهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله أكبر أي كبير .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾

مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

اللغــة .

(حزب) : الحزب : الجماعة من الناس ، السلاح ، جند الرجل وأصحابه الذين عـلى رأيه ، النصيب ، القسم من القرآن أو غـيره والجمع أحزاب وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضاً .

الاعراب :

(فأقم وجهك للدين حنيفاً) الفاء الفصيحة وأقم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ووجهك مفعول به وللـدين متعلقان بأقم وحنيفاً حال من فاعل أقم أو من مفعوله أو من الدين . (فطرة الله التي فطر الناس عليها) مفعول به لفعل محذوف أي الزموا فطرة الله أي خلقته وإنما أضمرناه على خطاب الجماعة لقوله فيما بعد منيبين اليه كما سيأتي وقيل هي مصدر لفعل محذوف أي فطركـم فطرة والتي صفة للفطرة وجملة فطر الناس صلة وعليها متعلقان بفطر . (لا تبديل لخلق الله) الجملة تعليل للأمر بلزوم فطرته ولا نافية للجنس وتبديل اسمها المبني على الفتـح ولخلق الله خبر . (ذلك الدين القيـم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك مبتـدأ والدين خبره والقيم صفة والواو حالية أو استئنافية ولكن واسمهـا وجملة لا يعلمون خبرها . (منيبـين إليه واتقوه وأقيموا الصـلاة ولا تكونوا من المشركين) منيبين حال من فاعل الزموا المضمر كما أشرنا اليه آنفاً وهو أحسن من جعله حالاً من فاعل أقم واتقوا الله عطف على الزموا المضمرة وكذلك قوله وأقيموا الصـلاة ولا ناهية وتكونوا فعـل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية

والواو اسمها ومن المشركين خبرها • (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) من الذين بدل من قوله من المشركين بإعادة العامل وجملة فرقوا دينهم صلة وكانوا شيعاً كان واسمها وخبرها • (كل حزب بما لديهم فرحون) كل حزب مبتدأ وبما متعلقان بفرحون ولديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة للموصول وفرحون خبر كل والجملة مفسرة مقررة لما قبلها •

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ
رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

اللغـــة :

(سلطاناً) : السلطان : الحجة تقول له سلطان مبين أي حجة والملك وعبارة القاموس : « والسلطان الحجة وقدرة الملك وتضم لامه ، والوالي مؤنث لأنه جمع سليط للدهن كأن يضيء الملك أو لأنه بمعنى الحجة وقد يذكر ذهاباً الى معنى الرجل » وفي الأساس : « وله

عليهم سلطان » ، « وما كان لي عليكم من سلطان » وله سلطان مبين : حجة وسنابك سَلِطات : طوال قال الجعدي يصف فرساً :

مُدِلاًّ على سلطات النسو ر شمّ السنابك لـم تُقلَبِ

وروّى ذُباله بالسليط وهو الزيت الجيد » وقال أبو البقاء : « والسلطان يذكر لأنه بمعنى الدليل ويؤنث لأنه بمعنى الحجة وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان »

(يقنطون) : ييئسون من الرحمة وفي المصباح هو بفتح النون وكسرها سبعيتان وبابه ضرب وتعب وفي القاموس : « قنط كنصر وضرب وحسب وكرم قنوطاً وكفرح قَنَطاً وقناطة وكمنع وحسب وهاتان على الجمع بين اللغتين يئس فهو قنط كفرح وقنّطه تقنيطاً آيسه والقَنْط المنع وزُبَيْبٌ الصبي » •

الاعراب :

(وإذا مس الناس ضرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه) كلام مستأنف مسوق لتصوير طبائع الناس المتقلبة وترجحهم بين الرجاء والقنوط ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة مس في محل جر بإضافة الظرف اليها والناس مفعول به مقدم وضر فاعل مؤخر وجملة دعوا ربهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربهم مفعول به ومنيبين حال من فاعل دعوا واليه متعلقان بمنيبين • (ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي وإذا شرطية وجملة أذاقهم في محل جر بإضافة الظرف اليها ومنه حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة ورحمة مفعول به ثان وإذا الفجائية

وهي رابطة لجواب إذا الأولى بشرطها فهي تخلف الفاء في الربط وفريق مبتدأ ومنهم صفة وبربهم متعلقان بيشركون وجملة يشركون خبر ٠ (ليكفروا بما آتيناهــم فتمتعوا فسوف تعلمون) اللام للتعليــل أو العاقبة والصيرورة وقيل هي لام الأمر والمراد بالأمر التهديد والوعيد ويكفروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعــد اللام وبما متعلقان بيكفروا وجملة آتيناهم صلة ، فتمتعوا الفاء عاطفة وتمتعوا فعل أمر التفت فيه من الغيبة الى الخطاب للمبالغة في زجرهم والفاء واقعــة في جواب الأمر وسوف حرف استقبال وتعلمون فعــل مضارع مرفوع والواو فاعــل ٠ (أم أنزلنا عليهــم سلطاناً فهو يتكلم بمــا كانوا به يشركون) أم حرف عطف منقطعة فهي بمعنى بل وأنزلنا فعل وفاعل وعليهــم متعلقان بأنزلنا وسلطاناً مفعول به والفاء حرف عطف وهو مبتدأ وجملة يتكلم خبر وبما جــار ومجرور متعلقــان بيتكلم وجملة كانوا صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية وكان واسمها وبه متعلقان بيشركون وجملة يشركون خبر كانوا ٠

(وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها) عطف على ما تقدم وجملة فرحوا بها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة أذقنا في محل جر بإضافة الظرف اليها ٠ (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) عطف أيضاً وتصبهم فعل الشرط وسيئة فاعل والباء سببية وما اسم موصول في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بتصبهم وجملة قدمت لا محل لها وإذا الفجائية وقــد نابت عن الفاء في ربط الجواب بالشرط وهــم مبتدأ وجملة يقنطون خبر وجمــلة إذا هــم يقنطون في محل جزم جواب الشرط ٠ (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقــدر) الهمزة للاستفهام الانكاري المفيــد للتقرير والواو

عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا وان واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط . (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم إعراب نظائرها كثيراً .

البلاغـة :

في قوله (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم) مجـاز عقلي كما تقول كتابه ناطق بكـذا وهـذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالـة والشهادة فهو يشهد بشركهم أو بالذي يشركون به .

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ
وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن مقدر تقديره إن عرفت أن السيئة أصابتهم بما قدمت

أيديهم فآت • وآت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت وذا القربى مفعول به أول وحقه مفعول به ثان ، وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين وعاجزين عن الكسب والشافعي قاس القرابات على ابن العم لأنه لا ولادة بينهم • والمسكين عطف على ذا القربى وكذلك ابن السبيل • (ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) ذلك مبتدأ وخير خبر وللذين متعلقان بخير وجملة يريدون صلة والواو فاعل ووجه الله مفعول به أي ثوابه وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والمفلحون خبر هم والجملة خبر أولئك • (وما آتيتم من رباً ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله) الواو عاطفة وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لآتيتم وآتيتم فعل وفاعل ومن رباً حال وليربوا اللام للتعليل ويربوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بآتيتم وفي أموال الناس متعلقان بيربوا وسيأتي معنى الظرفية في باب البلاغة والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية ويربوا فعل مضارع مرفوع والجملة في محل جزم جواب الشرط وعند الله متعلق بيربوا • (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) عطف على ما تقدم ومعنى قوله فأولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة •

(الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) الله مبتدأ والذي خلقكم خبره وجملة خلقكم صلة وما بعده عطف عليه • (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) هل حرف استفهام ومن شركائكم خبر مقدم ومن للتبعيض، ومن يفعل مبتدأ مؤخر ومن ذلكم متعلق بمحذوف حال من شيء لأنه

كان في الأصل صفة له ومن حرف جر زائد وشيء مجرور بمن لفظاً مفعول به ليفعل محلاً وزيدت له لأن النكرة في حيز الاستفهام المتضمن معنى النفي وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وعما متعلقان بتعالى وما مصدرية أو موصولية •

البلاغـة :

١ ــ الكناية :

في قوله « ليربوا في أموال الناس » كناية لأن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموال الناس لا يملكها أصلاً فالظرفية هي موضع الكناية •

٢ ــ الالتفات :

في قوله « فأولئك هم المضعفون » التفات عن الخطاب الى الغيبة للتعظيم فهو أمدح من أن يقول لهم فأنتم المضعفون وفيه حذف المفعول به أي ثوابهم •

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم
بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾
مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

الاعراب :

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما عم في مختلف الأنحاء من البر والبحر من مفسدة وظلم ولهو ولعب وسائر ما يطلق عليه الفساد الذي هو ضد الصلاح • وظهر الفساد فعل وفاعل وفي البر والبحر متعلقان بظهر أو بمحذوف حال ولعله أرجح وبما متعلقان بظهر أي بسبب كسبهم فما مصدرية أو بسبب الذي كسبوه فهي موصولية وأيدي الناس فاعل كسبت • (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) اللام لام التعليل ويذيقهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والأولى أن يعلق الجار والمجرور بمحذوف أي عاقبهم بذلك وقيل اللام ليست للتعليل بل للصيرورة لأن ذلك هو مآلهم وصيرورتهم وأجاز أبو البقاء تعليقه بظهر ، والهاء مفعول به أول ليذيق وبعض الذي عملوا مفعوله الثاني ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها • (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) جملة سيروا في الارض مقول القول فانظروا عطف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وكان واسمها والجملة في محل نصب بانظروا المعلقة بالاستفهام ومن قبل متعلقان بمحذوف صلة الذين • (كان أكثرهم مشركين) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما أصابهم كان لفشو الشرك في أكثرهم والفساد والمعاصي في أقلهم • (فأقم وجهك للدين القيم) الفاء الفصيحة وأقم فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ووجهك مفعول به وللدين متعلقان بأقم والقيم صفة للدين أي اجعل وجهتك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة وقد تقدم تفسير هذه الكلمة •

(من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)
من قبل متعلقان بمحذوف حال وان وما بعدها في تأويل مصدر مضاف اليه ويوم فاعل يأتي ولا نافية للجنس ومرد اسمها وله خبرها والجملة صفة ليوم ومن الله لك أن تعلقه بيأتي أي يأتي من الله يوم لا يرده أحد ولك أن تعلقه بمحذوف يدل على المصدر المنسبك من أن ويرده ولا يجوز تعليقه بمرد لأنه يصبح عندئذ شبيهاً بالمضاف فيعرب ، ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بيصدعون والتنوين عوض عن جملة ويصدعون مضارع حذفت إحدى تاءيه أي يتفرقون يوم إذ يأتي هذا اليوم ، يقال : تصدع القوم إذا تفرقوا ، ومنه الصداع لأنه يفرق شعب الرأس ، وقال الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)
الجملة مفسرة لا محل لها مسوقة لتفسير قوله يصدعون ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وعليه خبر مقدم وكفره مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ، ومن عمل صالحاً عطف على ما سبقه مماثل له في اعرابه وقوله صالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون نعتاً لمصدر أي عملاً صالحاً والفاء رابطة ولأنفسهم متعلقان بيمهدون والجملة جواب الشرط أي يمهدون فرشهم الوثيرة ويوطئونها لئلا تنبو بهم فتتجافى مضاجعهم وتتنغص عيشهم • (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين) اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بيمهدون أو بيصدعون

أو بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي ذلك كائن ليجزي والذين مفعول يجزي وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على يجزي ومن فضله متعلقان بيجزي وان واسمها وجملة لا يحب خبرها والكافرين مفعول به والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها تعليلية .

البلاغـة :

في قوله (فأقم وجهك للدين القيم) جناس المناسبة اللفظي لأن للجناس أصلين وهما جناس المزاوجة وجناس المناسبة وقد تقدم ذكر هذا مستوفى .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ
ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

اللغــــة :

(الرياح) : أحد جموع الريح والريح مؤنثة وتجمع أيضاً عـلى أرواح وأرياح وريح ، وجمع الجمع أراويح وأراييح ، والرياح أربع : الجنوب وهي القبلية ، والشمال وهي الشمالية ، والصبا وهي الشرقية، والدبور وهي الغربية ، والثلاثة الأول رياح الرحمة والرابعة هي ريح العذاب ، وقد تقدم أن لفظ الريح لم يأت في القرآن إلا في الشر وجاء الجمع في الخير ومن ذلك نرى أن العربية غنية بمـــدلولاتها واننا إذا أوغلنا في الألفاظ المخصصة لبعض الأمور استنبطنا مفاهيم ربما كنا لا نعيرها التفاتاً في كتابتنا الحديثة ٠

(كسفاً) : بكسر ففتح ويجوز تسكين السين جمع كسفة أي قطعة وفي القاموس : « الكسفة بالكسر القطعـــة من الشيء والجمع كِسَف وكِسْف وجمـــع الجمـــع أكساف وكسوف وكسفـــه يكسفه قطعه » ٠

(الودق) : المطر ٠

الاعراب :

(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) كلام مستأنف مسوق لعرض آياته تعالى ومن آياته خبر مقدم وأن ومافي حيزها مبتدأ مؤخر والرياح مفعول به ومبشرات حال وهذا هو الغرض الأول في ارسالها ٠ (وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الواو عاطفة والجملة عطف على قوله مبشرات لأن الحال

والصفة تتعاوران في افهام العلة فكأن التقدير ليبشركم وليذيقكم ، وعبارة الزمخشري بهذا الصدد : « فإن قلت بم يتعلق وليذيقكم ؟ قلت : فيه وجهان : أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها » ومن رحمته متعلقان بيذيقكم وسيأتي معنى هذا المجاز في باب البلاغة ولتجري الفلك عطف أيضاً وبأمره حال ولتبتغوا من فضله عطف أيضاً ولعلكم تشكرون لعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .

(ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم فجاءوهم بالبينات) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له وإيذاناً بالنصر ، واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال ورسلاً مفعول به والى قومهم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا فجاءوهم عطف على أرسلنا وبالبينات متعلقان بجاءوهم أو بمحذوف حال . (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوهم فانتقمنا ومن الذين متعلقان بانتقمنا وجملة أجرموا صلة وكان الواو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وحقاً خبرها المقدم وعلينا متعلقان بحقاً أو بمحذوف صفة له ونصر المؤمنين اسمها المؤخر وهذا هو الاعراب المستقيم وقد تكلف بعض المعربين فأجازوا أن يكون حقاً مصدراً وعلينا الخبر وأن يكون في كان ضمير الشأن وحقاً مصدر وعلينا نصر مبتدأ وخبراً في موضع نصب خبر كان وفي هذا الكلام من تعظيم أمر المؤمنين وتأهيلهم للكرامة واستحقاق الاثابة والنصر ما فيه وفي تعريف المؤمنين تنويه بهم وإلماع الى أن من تخلّف عن مراتبهم لا يستحق هذه

المنّة الكبرى • (الله الـذي يرسـل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء) كـلام مستأنف أيضاً لتفصيل ما أجمله من ذكر الرياح وأحوالها والله مبتدأ والـذي خبره وجملة يرسل الرياح صلة فتثير عطف على يرسل وسحاباً مفعول به والفاء عاطفة ويبسطه عطف على تثير أيضاً وفي السماء متعلقان بيبسطه وكيف أداة شرط وتعليق كقولهـم كيف تصنع أصنع وكيف تكون أكون إلا أنه لا يجزم بهـا وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذلك مفعول يشاء وقد تقدم أن المفعول بعد يشاء يكون محذوفاً في الغالب والتقدير كيف يشـاء بسطه يبسطه فحذف بسطه لأنه مفعول يشاء وحـذف يبسطه لدلالة يبسطه الأول عليه وكيف منصوب على الحال بالفعل بعده والمعنى على أي حال شاء أن يبسطه يبسطه وسيأتي مزيد بحث عن كيف الشرطية في باب الفوائد • (ويجعـله كسفاً فترى الودق يخرج من خـلاله) ويجعله عطف على يبسطه والهاء مفعول يجعـل الاول وكسفاً مفعوله الثاني ، فترى عطف على ما تقـدم وفاعل ترى مستتر تقـديره أنت والودق مفعول به وجملة يخـرج حالية لأن الرؤية هنا بصـرية ومن خلاله متعلقان بيخرج •

(فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هـم يستبشرون) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أصاب في محل جرّ بإضافة الظرف اليها وبه متعلقان بأصاب ومن يشاء مفعول أصاب ومن عباده حال وإذا فجائية واقعة في جواب إذا الاولى وهم مبتـدأ وجملة يستبشرون خبر • (وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين) الواو حالية أو عاطفة وإن مخففة من الثقيلة مهملة أو عاملة في ضمير شأن محذوف وكان واسمها ومن قبل متعلقان بمحذوف حال

وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف لقبل وينزل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن وعليهم متعلقان به ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واللام الفارقة ومبلسين خبرها ومن قبله الثانية قيل هي تكرير وتوكيد لمن قبل الأولى قال الزمخشري : « من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها • ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك » وقال ابن عطية : « وفائدة هذا التأكيد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك أن قوله : من قبل أن ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثير فجاء قوله من قبله بمعنى أن ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد » •

(فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها) الفاء الفصيحة أي إذا أردت أن تعرف ما يترتب على انزال المطر فانظر ، وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والى آثار رحمة الله متعلقان بانظر وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال وهي معلقة لانظر عن العمل والارض مفعول به وبعد موتها ظرف متعلق بيحيي والجملة بدل من آثار فهي في حيز النصب بنزع الخافض والمعنى بعد كل هذا فانظر الى إحيائه البديع للأرض بعد موتها والمراد التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته • (إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) إن واسمها أي إن ذلك القادر واللام المزحلقة ومحيي الموتى خبرها وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر هو •

البلاغة :

في قوله « وليذيقكم من رحمته » استعارة ومجاز فالاستعارة

في قوله ليذيقكم وقد تقدمت نيراً وهي استعارة مكنية والمجاز المرسل في قوله من رحمته وهو مجاز مرسل علاقته الحالية لأن الرحمة تحل في الخصب والمطر فأطلق الحال وأريد المحل وفسر بعضهم الرحمة بقوله : « أي من نعمته من المياه العذبة والأشجار الرطبة وصحة الأبدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا الله » .

الفوائد :

كيف أيضاً :

جاء في المغني ما نصه : « وتستعمل على وجهين : أحدهما أن تكون شرطاً فيقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنع أصنع ولا يجوز كيف تجلس أذهب باتفاق ولا كيف تجلس أجلس بالجزم عند البصريين إلا قطرباً لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها كما مر ، وقيل يجوز مطلقاً وإليه ذهب قطرب والكوفيون ، وقيل يجوز بشرط اقترانها بما ، قالوا ومن ورودها شرطاً « ينفق كيف يشاء » « يصوركم في الأرحام كيف يشاء » « فيبسطه في السماء كيف يشاء » وجوابها في ذلك كله محذوف لدلالة ما قبلها وهذا يشكل على اطلاقهم أن جوابها يجب مماثلته لشروطها » وقد استدرك بعض المعلقين على المغني فقال « أجاب بعضهم بأنه يمكن أن يقدر الجواب موافقاً للشرط بأن يقدر الجواب فعل مشيئته متعلقة بالفعل السابق وهو دال عليه لأن الفعل الاختياري يستلزم المشيئة والأصل كيف يشاء أمراً يشاء التصوير في الارحام ، كيف يشاء أمراً يشاء الانفاق ، كيف يشاء أمراً يشاء بسطه ، غاية الأمر أن متعلق الفعلين مختلف وهذا جواب بعيد لأنهم قالوا لدلالة ما قبلها لأن المتبادر انه دال على الجواب وعلى دفع الاشكال فيكون

ما قبلها دالاً على متعلق جوابها لا على نفس جوابها وقد علمت دفع هــذا بأن الفعل الاختياري وهو الفعل الواقــع قبلها يستلزم المشيئة وهو الجواب المحذوف » .

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ
قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

(ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعــده يكفرون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وأرسلنا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط وريحاً مفعول أرسلنا فرأوه عطف على أرسلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومصفراً حال ولظلوا اللام واقعة في جواب القسم وظلوا فعل ماض ناقص والواو اسمها والجملة لا محل لها لأنهــا جواب القسم وقـــد أغنت عن جواب الشــرط حسب القاعدة المشهورة :

واحذف لـــدى اجتماع شرط وقسم
جـــواب ما أخرت فهـــو ملتـــزم

ومن بعــده حال وجملة يكفرون خبر ظلوا • (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين) الفاء تعليلية والجملة تعليل لمحذوف أي لا تجزع وإلا تحزن على عدم ايمانهم فإنهم موتى صم عمي ، وان واسمها وجملة لا تسمع الموتى خبرها ولا تسمع الصم الدعاء عطف على الجملة السابقة والصم مفعول تسمع الاول والدعاء مفعول تسمع الثاني وإذا ظرف مستقبل متعلق بتسمع وجمــلة ولوا مضاف اليها الظرف وولوا فعــل وفاعــل ومدبرين حال من الواو •

(وما أنت بهادي العمي عن ضــلالتهم) الواو عاطفة وما نافية حجــازية وأنت اسمها والباء حرف جر زائد وهادي مجرور لفظــاً منصوب محلاً لأنه خبر ما والعمي مضاف اليه وعن ضلالتهم متعلقان بالعمي أو بهادي على تضمين هادي معنى صارف وقد تقدم نظيره • (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) إن نافية وتسمع فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر ومن مفعول به وجملة يؤمن صلة من وبآياتنا متعلقان بيؤمن ، فهم الفاء عاطفة على المعنى وهم مبتدأ ومسلمون خبر • (الله الذي خلقكم من ضعف) الله مبتدأ والذي خبر وجملة خلقكم صلة ومن ضعف متعلقان بخلقكم• (ثم جعل من بعد ضعف قوة) ثم حرف عطف وتراخ وجعل فعل ماض ومن بعد ضعف مفعول جعل الثاني أو متعلق بجعل وقوة مفعول جعل• (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ثم وما بعدها عطف على ما تقدم وجملة يخلق ما يشاء حالية وهو مبتدأ والعليم خبر أول والقدير خبر ثان •

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟
يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ
ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

اللغــــة :

(الساعة) : القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة وجرت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وفي القاموس : « والساعة جزء من أجزاء الجديدين والوقت الحاضر والجمع ساعات وساع والقيامة أو الوقت الذي تقوم فيه القيامة والهالكون كالجاعة للجياع » والساعة أيضاً آلة يعرف بها الوقت بحسب الساعات (مولــدة) ومنهــا الساعة الرملية والساعة الشمسية .

(يستعتبون) : يطلب منهم العتبى أي الرجوع ، من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ، ألا ترى الى قوله :

غضبت تميم أن تقتل عامراً

يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم ، والغضب في معنى العتب ، والصيلم ماء لبني عامر والصيلم الداهية والسيف كما في الصحاح . وفي المصباح : « عتب عليه عتباً من بابي ضرب وقتل ومعتباً أيضاً لامه في سخط فهو عاتب وعتاب مبالغة وبه سمي ومنه «عتّاب ابن أسيد » وعاتبه معاتبة وعتاباً ، قال الخليل : حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة ، وأعتبني الهمزة للسلب أي أزال الشكوى والعتاب واستعتب طلب الإعتاب والعتبى اسم من الإعتاب » .

(يستخفنك) : يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر .

الاعراب :

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الظرف متعلق بيقسم وجملة تقوم الساعة في محل جر باضافة الظرف اليها ويقسم المجرمون فعل وفاعل وما نافية ولبثوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها واقعة في جواب القسم وغير ساعة ظرف متعلق بلبثوا . (كذلك كانوا يؤفكون) كذلك نعت لمصدر محذوف أي يصرفون عن الحق وهو الصدق كما صرفوا عن الحق وهو البعث وكان واسمها

وجملة يؤفكون خبرها ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول .
(وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا والايمان عطف على العلم وجملة لقد لبثتم مقول القول واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ولبثتم فعل وفاعل وفي كتاب الله حال أي محسوبة في علم الله وقدره والى يوم البعث متعلقان بلبثتم . (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قال إن كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم . ولكنكم الواو حالية ولكن واسمها وجملة كنتم خبرها وجملة لا تعلمون خبر كنتم .
(فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) الفاء تفصيل لما قبلها مما يفهم من أن تقليل مدة اللبث فهي الفصيحة أيضاً ويومئذ ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بينفع والتنوين عوض عن جملة محذوفة أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركين كاذبين ورد عليهم الذين أوتوا العلم والايمان من الملائكة وغيرهم ولا نافية وينفع فعل مضارع والذين ظلموا مفعوله المقدم ومعذرتهم فاعل ينفع وقرىء ينفع بالياء والتاء لأن معذرتهم مؤنث غير حقيقي أو بمعنى العذر والواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يستعتبون خبر ويستعتبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وللناس متعلقان بضربنا وفي هذا القرآن متعلقان بمحذوف حال ومن كل مثل صفة لمفعول به محذوف أي موعظة أو قصة من كل مثل أو تكون من

للتبعيض ويكون الجار والمجرور في موضع نصب على أنه مفعول ضربنا أي وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وطرافتها • (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وجئتهم فعل وفاعل ومفعول به في موضع فعل الشرط وبآية متعلقان بجئتهم وليقولن اللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فاللام مفتوحة باتفاق القراء والفاعل هو الاسم الموصول من باب اقامة الظاهر مقام المضمر وقد تقدم ذكره كثيراً وجملة كفروا صلة وإن نافية وأنتم مبتدأ وإلا أداة حصر ومبطلون خبر أنتم والجملة مقول القول • (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة الذين لا يعلمون وجملة لا يعلمون صلة الذين • (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون) الفاء الفصيحة أي إذا علمت أن حالهم بهذه المثابة فاصبر ، واصبر فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وجملة إن وعد الله حق تعليل للأمر بالصبر ولا الواو عاطفة ولا ناهية ويستخفنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به مقدم والذين فاعل يستخفنك المؤخر وجملة لا يوقنون صلة•

البلاغة :

في قوله« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » جناس تام وقد تقدم البحث في هذا الفن ونريد الآن أن نستوفي أبحاثه فهو ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف

المعنى نحـو قول زياد الاعجم وقيل الصلتان العبدي يرثي المغـيرة ابن المهلب :

فانعَ المغـيرةَ للمغـيرةِ إذ بدت
شعـواء مشعلة كنبـح النابـح

فالمغيرة الاولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس وهي ثانية الخيل التي تغير ، وقال أبو نواس في ابن الربيع :

عبـاس عبـاس إذا احتـدم الوغى
والفضـل فضـل والربيع ربيـع

وقال أبو تمام :

ليالينـا بالرقمتـين وأهلنـا
سقى العهدَ منك العهدُ والعهدُ والعهدُ

فالعهد الأول المسقى : هو الوقت ، والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ماله عهد ، والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهـدت إليه أي وصّاني ووصّيته ، والعهـد الرابع المطر وجمعه عهاد ، واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم •

هذا وقد ولع أبو تمام بالتجنيس كثيراً فأجاد في بعضه وأسف في بعضه الآخر وقد أوردنا فيما سبق من هـذا الكتاب نمـاذج من حسناته وسيئاته ويبدو التكلف ظاهراً فيه •

أما ابن الرومي فليس من هواة الصناعة اللفظية ولم يكن يشغل باللفظ كثيراً وانما كان يجانس لمعنى يراه هو ولا يجانس لتزويق فارغ ولهو سخيف ، ومن مليح ما جاء له :

للسود في السود آثار تركن بها

لمعاً من البيض تثني أعين البيض

فالسود الأول : الليالي،والسود الآخر : شعرات الرأس واللحية والبيض الأول الشيبات والبيض الآخر النساء .

وقوله :

فيسبيك بالسحر الذي في جفونه

ويصبيك بالسحر الذي هو نافثه

أو مثل هذا البيت :

تصيب إذا حكمت وإن طلبنا

لديك العرف كنت حياً تصوب

أو مثل هذا البيت :

ليس ينفكّ طيرها في اصطحاب

تحت أظلال أيكها واصطخاب

وهكذا كان في كل تجنيسه الذي لا تعسف فيه وليس هو بالكثير البارز في ديوانه الكبير فإذا جنس في غير ذلك فهو عابث متعمد للعبث وليس بملفق محسّنات ولا بطالب تزويق كما قال :

لو تلفّفت في كساء الكسائي وتلبّست فروة الفـــرّاء
وتخلّلت بالخليــل وأضحى سيبويه لـــديك رهن سباء
وتكوّنت من سواد أبي الاسو د شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبى الله أن يعدك أهــل العـــــلم إلا من جمــلة الأغبيــاء

ومن علماء البيان من جعل له اسماً سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه ، وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقــة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه ، قال أبو تمام :

خفّت دموعك في إثر القطـــين لــدن
خفّت من الكثُب القضبــان والكثب

الترديد في خفت ولو جعلت الكثب ترديداً لجاز .

وقال أبو الطيب المتنبي وأحسن ما شاء :

أمــير أمــير عليــه النــدى جواد بخيــل بأن لا يجودا

والترديد في أول البيت ، والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميريّ في قوله :

ألا حيّ من أجـــل الحبيب المغانيــا
لبسن البـــلى ممــا لبسن الليـاليـمـا

إذا ما تقاضى المــرءُ يوماً وليــلة
تقاضـــاه شيء لا يمــلّ التقاضيا

وما أجمل قول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللـــوم إغراء
وداوني بالتي كـــانت هي الـــداء

صفراء لا تنزل الأكـــدار ساحتهـــا
لو مسهـــا حجر مستهـــا ســـراء

وكذلك قول أبي تمام :

راحٌ إذا ما الراح كنّ مطيّهـــا
كانت مطايـــا الشوق في الأحشـــاء

ردد مطيّها ومطايا الشوق ٠

ونعود للآية الكريمـــة فنذكر أن ابن أبي الحديد قد نازع في الكتابة المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر في هذا وقال :

ان المعنى واحد في الآية ، فان يوم القيامة وان طال فهو عند الله تعالىٰ كالساعة الواحدة عند أحدنا ، وحينئذ فاطلاق الساعة عليه مجاز كقولنا رأيت أسداً وزيـــد أســـد ، وأردنا بالأول حيواناً وبالثاني الرجل الشجاع ٠

ولم نر أحداً نازع فيما ذكرناه غير ابن أبي الحديد ، فتدبر ٠

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

اللغة :

(لهو الحديث) اللهو كل باطل ألهى عن الخير يقال لهوت لهواً وفلان مشتغل بالملاهي وفيهن ملهى وملعب ، قال زهير :

وفيهن مَلْهى للصديق ومنظر
أنيقٌ لعين الناظر المتوسم

الملهى اللهو أو موضعه ، يقول : وفي هؤلاء النسوان لهو أو موضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن •

(وقرا) : صمماً •

الاعراب :

(ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) ألم تقدم اعرابها ، وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر والحكيم صفة للكتاب وسيأتي معنى إسناد الحكمة اليه في باب البلاغة ، وهدى ورحمة حالان من الآيات والعامل فيهما مافي تلك من معنى الاشارة ، وقرأ حمزة بالرفع على أنهما خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى ورحمة وللمحسنين متعلقان بمحذوف صفة أو بنفس المصدر • (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الذين نعت للمحسنين وجملة يقيمون الصلاة صلة ويؤتون الزكاة عطف عليها داخل في حيز الصلة وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بيوقنون وهم الثاني تأكيد للأول وجملة يوقنون خبر هم • (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدمت الآية بلفظها في سورة البقرة • (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) كلام مستأنف مسوق لتقرير حال اللاهين الذين يستنزفون أوقات فراغهم باللهو ومضاحيك الكلام ولغو الحديث وباطله ، وسيأتي في باب الفوائد ما قالوه في أسباب نزولها • ومن الناس خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر ومن مفرد لفظاً جمع معنى وروعي لفظها أولاً في ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروعي معناها في موضعين

وهما أولئك لهم ثم رجع الى اللفظ في خمسة ضمائر وهي وإذا تتلى الى آخر الآية كما سيأتي وجملة يشتري لهو الحديث صلة وليضل اللام للتعليل ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيشتري وعن سبيل الله متعلقان بيضل وبغير علم حال من فاعل يشتري أي يشتري غير عالم بحال ما يشتريه وقد تقدم تقرير الاستعارة في الاشتراء في سورة البقرة • (ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) ويتخذها بالنصب عطفاً على ليضل وقرىء بالرفع عطفاً على يشتري والضمير للسبيل لأنها مؤنثة ويتخذها فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول يتخذ الاول وهزواً مفعوله الثاني وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر ومهين صفة والجملة خبر أولئك •

(وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر باضافة الظرف اليها وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليه متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وجملة ولى لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومستكبراً حال • (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) كأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة لم يسمعها خبرها والجملة نصب على الحال من فاعل ولى وكأن حرف تشبيه ونصب وفي أذنيه خبر كأن المقدم ووقراً اسم كان المؤخر والجملة حال أيضاً من فاعل لم يسمعها أو بدل من جملة كأن لم يسمعها وأجاز الزمخشري أن تكون جملتا التشبيه استئنافيتين ، فبشره الفاء الفصيحة وبشره فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والأمر بالبشارة هو للتهكم وبعذاب متعلقان ببشره وأليم صفة •

البلاغـة :

١ ــ الاسناد المجازي :

في قوله تعـالى « الكتاب الحكيم » إسناد مجازي ويجوز أن يكون بمعنى ذي الحكمة ، وقال الزمخشري : « ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعـد الجر استكن في الصفـة المشبهة بعـد » وهـذا من أروع التعليل •

٢ ــ الايجاز :

وفي قولـه : « للمحسنين » إيجـاز بليـغ أي الذين يعملون الحسنات وهي لا تحصى ولكنه خص منها هذه الثلاث ، ونظير هـذا الايجاز قول أوس بن حجر في مرثاته لفضالة بن كلدة :

الألمعـي الـذي يظـن بك الظـن
كـأن قـد رأى وقـد سمعـا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد ، وهذه المرثاة من أفضل ما سمع في الرثاء وأولها :

أيتهـا النفس أجملي جزعـاً   إن الذي تحذرين قد وقعـا
إن الذي جمع السماحة والنجد   ة والبـر والتقى جمعـا
الألمعي الذي يظن الـخ •••
أودى فلا تنفع الاشاحة من   أمر لمن يحـاول البدعـا

يقول : يا نفس احتملي جزعاً عظيماً إن الـذي تخافين منه قد حصل ، وبيّنه بقوله إن الذي جّمع •••• وأودى : هلك ، وجُمعاً بالضم توكيد للصفات قبله والألمعي نصب عـلى النعت للذي وفسره بأنه الذي يظن بك يعني كـل مخاطب أي يظن الظن الحـق كـأنه قد رأى وسمع ما ظنه أو يظن الظن فيصيب كأنه قد رآه إن كان فعلاً أو سمعه إن كان قولاً وفيه نوع من البديع يسمى التفسير وهو أن يؤتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفته دون تفسيره •

الفوائـد :

١ ــ قصة النضر بن الحارث :

اعلم أن المقصود بآيات الله أن يتوجه الخطاب فيها الى العموم ولكن أسباب النزول خاصة ، ثم تسري أحكامها فيما بعد على العموم وقد ذكروا في أسباب نزول قوله «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» الآية أن النضـر بن الحارث كان يأتي الحـيرة فيتجر ويشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهـل مكة ويقول : إن محمـداً يحدثكم بأحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استمـاع القرآن • والحـيرة بكسر الحـاء مدينة بقرب الكوفة •

٢ ــ معنى الإضافة :

إضافة اللهو الى الحديث معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وضابطها أن يكون المضاف بعـد المضاف إليه صالحاً للاخبار به عنه كخاتم فضة ، وقد مر هذا البحث في مكان آخر من هذا الكتاب •

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ
ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين وان واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ولهم خبر مقدم وجنات النعيم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن • (خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم) خالدين حال مقدرة من المجرور باللام في لهم أي مقدراً لهم الخلود فيها إذا دخلوها وفيها متعلقان بخالدين ووعد الله حقاً : مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن معنى لهم جنات النعيم وعدهم الله بها فأكد معنى الوعد بالوعد وحقاً دال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ، وعاملها مختلف فتقدير الأولى وعد الله ذلك وعداً وتقدير الثانية وحقه حقاً ومؤكدهما جميعاً واحد وهو قوله لهم جنات النعيم وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (خلق السموات بغير عمد ترونها) الجملة مستأنفة مسوقة للتدليل على قدرته وعزته سبحانه • وخلق فعل ماض

وفاعله مستتر تقديره هو والسموات مفعول به وبغير عمد في موضع نصب على الحال أي حالية من عمد وقد مر نظيره في الرعد وجملة ترونها صفة لعمد أي بغير عمد مرئية . (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة) وألقى عطف على خلق وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله وفي الأرض متعلقان بألقى ورواسي صفة مفعول به محذوف أي جبالاً رواسي وان وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي أن لا تميد بكم أو كراهة أن تميد بكم وبكم متعلقان بتميد وبثّ عطف على ألقى وفيها متعلقان ببث ومن كل دابة صفة لمفعول به محذوف أي حيوانات من كل دابة .

(وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) وأنزلنا عطف على طريق الالتفات عن الغيبة الى التكلم وأنزلنا فعل وفاعل ومن السماء متعلقان بأنزلنا وماء مفعول به فأنبتنا عطف على أنزلنا وفيها متعلقان بمحذوف حال ومن كل زوج متعلقان بأنبتنا أو صفة لمفعول محذوف أي نباتاً من كل زوج وكريم صفة لزوج . (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) هذا مبتدأ والاشارة الى ما ذكر من مخلوقاته وخلق الله خبر والخلق بمعنى المخلوق ، فأروني الفاء الفصيحة وأروني فعل أمر يحتاج لثلاثة مفاعيل الياء أولها وجملة الاستفهام المعلقة سدت مسد المفعولين الباقيين ويجوز أن تكون أروني بمعنى أخبروني فتتعدى لمفعولين الأول مفرد صريح وهو ضمير المتكلم والثاني الجملة الاستفهامية ، وماذا اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لخلق أو ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر وخلق الذين فعل وفاعل ومن دونه صلة الذي . (بل الظالمون في ضلال مبين) بل اضراب انتقالي والظالمون مبتدأ وفي ضلال خبر ومبين صفة لضلال.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

الاعراب :

(ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل ولقمان مفعول به أول والحكمة مفعول به ثان وسيأتي الكلام مفصلاً عن لقمان وترجمته . (أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد) يجوز أن تكون أن هي المفسرة لأن الايتاء فيه معنى القول أي قلنا له اشكر ويجوز أن تكون على بابها فهي في تأويل مصدر في موضع نصب كما حكى سيبويه كتبت إليه أن قم والأول أظهر ، ولله متعلقان باشكر ومن الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويشكر فعل الشرط والفاء رابطة وانما كافة ومكفوفة والجملة في محل جزم جواب الشرط ومن كفر عطف على ومن يشكر داخلة في حيزها والجملة خبر من . (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) الظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة قال لقمان في محل جر باضافة الظرف اليها ولابنه متعلقان بقال والواو واو الحال وهو مبتدأ وجملة يعظه خبر والجملة حالية . (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الجملة مقول القول ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا وبالله متعلقان بتشرك وجملة

إن الشرك تعليل للنهي لا محل لها وان واسمها واللام المزحلقة وظلم خبرها وعظيم صفة .

الفوائـد :

لقمان وترجمته ولمح من أخباره :

قيل هو اسم أعجمي فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل عربي فهو ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون والأول أظهر وأورده صاحب القاموس في مادة لقم وقال « ولقمان الحكيم اختلف في نبوته وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً ». ولطرافة شخصيته وما نسج حولها من الأساطير نورد الأقوال السبعة فيه باختصار :

١ ــ قال قتادة: خيّره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفت عليه وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال : لو أرسل الله إليّ النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوّة .

وقيل : كان من النوبة قصيراً أفطس الأنف وقيل كان حبشياً .

٢ ــ قال سعيد بن المسيّب : كان أسود من سودان مصر ذا مشفر حكمته من حكمة الأنبياء ، وقيل كان خيّاطاً وقيل راعياً فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال : ألست عبد بني فلان ؟ كنت ترعى بالأمس ؟ قال : بلى ، قال : فما بلغ بك ما أرى؟ قال : وما يعجبك من أمري ؟ قال : وطء الناس بساطك وغشيانهم بابك ورضاهم بقولك ،

قال : يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال : وما أصنع؟ قال:غض بصري،وكف لساني وعفة طعمي وحفظ فرجي وقيامي بعهدي ووفائي بوعدي وتكرمة ضيفي وحفظ جاري وترك مالا يعنيني فذلك الذي صيرني كما ترى ، ويروى أنه قال : قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك مالا يعنيني •

٣ ــ وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة تزيد الشرف شرفاً وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » •

٤ ــ وقال الثعالبي المفسر : اتفق العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً إلا عكرمة تفرد بأنه نبي •

٥ ــ وقال وهب بن منبه : كان لقمان ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وكان في زمنه وكان داود يقول له : طوبى لك أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ، وأوتي داود الخلافة وبلي بالبلية ، وكان داود يغشاه ويقول : انظروا الى رجل أوتي الحكمة ووقي الفتنة •

٦ ــ وقال عبد الوارث : أوتي لقمان الحكمة في قالة قالها ، فقيل : وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق ؟ فقال : إن تختر لي فسمعاً وطاعة وان تخيرني أختر العافية وإنه من يبع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعاً ولأن أعيش حقيراً ذليلاً أحب إلي من أن أعيش قوياً عزيزاً ، وقيل كان عبداً نجاراً ، فقال له سيده اذبح شاة وائتني

بأطيب مضغتين فأتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج القلب واللسان ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا .

٧ - وقال أبو اسحق الثعالبي : كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له الى بستانه يأتونه بشيء من ثمر فجاءوه وما معهم شيء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان ، فقال لقمان لمولاه : ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً فاسقني وإياهم ماء حميماً ثم أرسلنا لنعدو ففعل فجعلوا يتقيئون تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء فعرف مولاه صدقه وكذبهم . وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت ، فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله ، فقال له داود : بحق ما سميت حكيماً .

هذا وأخبار لقمان وحكمته أكثر من أن تستوعبها ترجمة فحسبنا ما تقدم .

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

اللغــــة :

(وهناً) : الوهن : الضعف وفي المختار : « الوهن الضعف وقد وهن من باب وعد ووهنه غيره يتعدى ويلزم ووهن بالكسر يهن وهناً لغة فيه وأوهنه غيره ووهنه توهيناً والوهن والموهن نحو من نصف الليل ، قال الاصمعي : هو حين يدبر الليل » .

(وفصاله) : فطامه وفي القاموس : « الفصال : فطم الولد » وفيه أيضاً : « وفصل الولد عن الرضاع وبابه ضرب » .

الاعراب :

(ووصّينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً عـلى وهن وفصاله في عامين) كلام معترض عـلى سبيل الاستطراد في أثناء وصية لقمان مؤكد لما اشتملت عليـه من النهي عن الشرك . ووصينا فعل وفاعل والانسان مفعول به وبوالديـه متعلقـان بوصينا وجملة حملته أمـه اعتراضية بين المفسِّر والمفسَّر وحملتـه أمه فعـل ماض ومفعول به وفاعل ووهناً على وهن حال من أمه أي ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تهن وهناً وعلى وهن صفة للمصدر أي كائناً على وهن وقيـل منتصب بنزع الخافض أي حملته بضعف عـلى ضعف ، وقال الزجاج : المعنى لزمها بحملها إياه أن يضعف مرة بعد مرة ، وقال الزمخشري : « أي حملته أمه تهن وهناً على وهن كقولك رجع عوداً على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمـل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقـلاً وضعفاً » والواو عاطفـة وفصاله مبتـدأ وفي عامين خبر .

(أن اشكر لي ولوالديك إلي المصـير) أن مفسـرة والجملة تفسير لوصّينا كما تقدم واختار الزجاج أن تكون أن على بابها أي مصدرية ومحل المصدر النصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بوصينا وليس قوله ببعيد واشكر فعـل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولي متعلقان باشكر ولوالديك عطف عـلى لي وإلي ّ خبر مقدم والمصير مبتدأ والجملة استئنافية • (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الواو عاطفة وإن شرطية وجاهداك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعلى حرف جر وأن تشرك المصدر المؤول مجرور بعلى والجار والمجرور متعلقان بجاهداك وبي متعلقان بتشرك وما موصول مفعول به وجملة ليس صلة ولك خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر ، فلا الفاء رابطة ولا ناهية وتطعهما فعل مضارع مجزوم بلا والفاعـل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وجملة فلا تطعهما في محل جزم جواب الشرط •

(وصاحبهما في الدنيا معروفاً) الواو عاطفـة وصاحبهما فعل أمر وفاعل مستتر تقـديره أنت ومفعول به وفي الدنيا حال ومعروفاً صفة لمصدر محذوف أي صحاباً معروفاً واختار بعضهـم أن ينصب بنزع الخافض أي بالمعروف • (واتبـع سبيل من أناب إلي ّ ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) واتبع فعـل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وسبيل مفعول به ومن مضاف اليه وجملة أناب صلة من وإلي ّ متعلقان بأناب ، ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإلي ّ خبر مقـدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، فأنبئكم الفاء عاطفة وأنبئكم فعـل مضارع وفاعل مستتر تقـديره أنا والكاف مفعول به وبمـا متعلقان بأنبئكم وكنتم تعملون كان واسمها وجملة تعملون خبرها •

البلاغـة :

في قوله « ما ليس لك به علم » فن عكس الظاهر أو نفي الشيء بإيجابه وقد تقدم القول فيه مراراً ، فقـد أراد بنفي العلـم نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام على حد قوله « على لاحب لا يهتدى بمناره » أي ما ليس بإله فيكون لك علم بالإلهية .

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ
إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى
ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

اللغــة :

(خردل) : الخردل : نبات له حب صغـير جـداً أسود مقرّح الواحدة خردلة ويقال خردل الطعام أكل خياره وخردل اللحم قطـع أعضاءه وافرةً صغاراً ، ولحم خراديل : مقطع ومفرد ويضرب بها المثل في الضآلة وقد تقدم هذا في الأنبياء .

(ولا تصعّر) : لا تحل وجهك تكبراً ، قال أبو عبيدة : وأصل الصعر داء يصيب البصير ويلتوي عنقه ، ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار الى المقصود به بقوله للناس بلام العلة أي لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم . وفي المصباح : الصعر بفتحتين ميل في العنق وانقلاب في الوجه الى أحد الشدقين وربما كان الانسان أصعر خلقة أو صعره غيره بشيء يصيبه وهو مصدر من باب تعب وصعر خدّه بالتثقيل وصاعره أماله عن الناس إعراضاً وتكبراً » وفي الأساس : « في عنقه وخده صَعَر : ميل من الكبر ، يقال : لأقيمنّ صَعَرَكَ ، ويقول : في عينه صَوَر ، وفي خده صَعَر ، وهو أصعر ، وصعّر خده وصاعره ولا تصاعر خدك وفلان متصاعر وقد تصاعر ، قال حسان :

ألسنا نذود المُعْلَمين لدى الوغى
ذياداً يسلّي نخوة المتصاعر

والنعام صعر خلقة والابل تَصَاعَرُ في البُرى وفي الحديث : « يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر » .

وللصاد مع العين فاء وعينا للكلمة خاصة الصلف والاستعلاء يقال أمر صعب وخطة صعبة وعقبة صعبة وهي من العقاب الصعاب ووقع في خطط صعاب ولا يخفى مافي ذلك من الصلف والاستعلاء وأصْعب الجمل لم يُركب ولم يمسسه حبل فهو مُصْعَب ومن مجاز هذه المادة : فلان مُصْعَب من المصاعب كما تقول قرم من القروم ويقال صَعِد السطحَ وصعد الى السطح وصعد في السلم وفي السماء وتصعد وتصاعد وصعّد في الجبل وطال في الأرض تصويبي وتصعيدي

وأصعد في الأرض ذهب مستقبل أرضٍ أرفع من الأخرى وأصعدت السفينة ُمدّ شراعها فذهبت بها الريح وعليك بالصعيد أي اجلس على الأرض وصعيد الأرض وجهها وتنفّس الصعداء إذا علا نفسه وذهب السهم ُصعُداً وكأن قامتــه صَعْدة وهي القنــاة النابتة مستقيمة ، قال الأحنف :

إن عـــلى كـــل رئيس حقّـــا
أن يخضب الصَّعـــدةَ أو تنـدقّا

ومن المجاز : له شرف صاعد وجد مساعد ، ورتبته بعيدة المصعد والمصاعد ، وعنق صاعد : طويل ، وجارية صَعْدَة : مستقيمة القامة ، وجَوارٍ صَعْدات بالسكون ، وأخذ مائة فصاعداً بمعنى فزائداً ، وأرهقته صَعُوداً : حملته مشقّة .

والصعافقة هــم الذين يحضرون السوق بغـير رأس مال فإذا اشترى أحد شيئاً دخلوا معــه فيه . وصعقتهم السماء وأصعقتهم : أصابتهم بصاعقة وهي نار لا تمر بشيء إلا أحرقته مع وقع شديد ، والصعلكة معروفة وهي الفقر والذهــاب في الأرض بعيــداً ، قــال أبو دلود :

مثل عَيْرِ الفلاة صعلكه البقـــلُ مشيحٍ بأربعٍ عَسِرات

أربع أتن ، وقال ذو الرمة :

تخيـــل في المرعى لهـــنّ بشخصه
ُمصَعْلَكُ أعلى قلّةِ الرأس نِقنِقُ

(واقصد في مشيك) : أي توسط فيه ، قال الزمخشري : « واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين : لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن » وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما : « كان إذا مشي أسرع » فإنما أرادت السرعة المرتفعة على دبيب المتماوت » .

(واغضض من طرفك) : وانقص منه واقصر ، من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه ، وفي الاساس : « واغضض من صوتك : اخفض منه ، وغُضّ طرفك ، وطرف غضيض ، وغُضّ من لجام فرسك أي صوبه وطأ منه لتنقص من غَرْبه ، واغضُض لي ساعة أي احبس علي مطيتك وقف عليّ ، قال الجعدي :

خليلي غضّا ساعة وتهجرا

أي احبسا عليّ ركابكما ساعة ثم ارتحلا متهجّرين ، وفلان غضيض : ذليل" بين الغضاضة وعليك في هذا غضاضة فلا تفعل ولحقته من كذا غضاضة أي نقص وعيب » .

الاعراب :

(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) يا بني تقدم اعرابه كثيراً وهذا من تتمة وصية لقمان ، وان واسمها وإن شرطية وتك فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر يعود الى الخطيئة وذلك

أن ابن لقمان قال : يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يعلمها أحد كيف يعلمها الله ؟ فقال يا بني انهــا إن تك مثقال حبة من جنس الخردل ، ومثقال خبر تك وحبة مضاف اليه ومن خردل صفة لحبة أي فكانت مثلاً لحبة الخردل في الصغر والقماءة .(فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) فتكن عطف على تك واسم تكن مستتر تقــديره هي أي الخطيئة والهنــة وفي صخرة خبر تكن ، أو في السموات أو في الأرض عطف على في صخرة أي في أخفى مكان من الثلاث المذكورات ويأت جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وبهــا متعلقان بيأت والله فاعــل وإن واسمها وخبراها .

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) أقم فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقــديره أنت والصــــلاة مفعول به وأمر بالمعروف عطف وكذلك وانه عن المنكر . (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر ومعنى عزم الأمور : من معزوماتها فهو مصدر بمعنى المفعول أو بمعنى الفاعل أي من عازمات الأمور أي ممــا جعله الله عزيمــة وأوجبه عــلى عباده .

(ولا تصعر خــدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً) الواو حرف عطف ولا ناهية وتصعر فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت وللناس متعلقان بتصعر ولا تمش عطف عــلى ولا تصعر وفي الارض متعلقان بتمش ومرحاً مصدر وقع موقــع الحال أو نعت لمصدر محذوف أي مشياً مرحاً أو مفعول لأجله أي لا تمش لأجــل المرح والأشر .

وعبــارة الزمخشري « أراد ولا تمش تمــرح مرحاً أو أوقــع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز أن يراد لأجل المرح والأشر ».

(إن الله لا يحب كل مختال فخور) إن واسمها وجملة لا يحب خبرها وكل مفعول يحب وفخور عطف على مختال • (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) الواو عاطفة واقصد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي مشيك متعلقان باقصر واغضض من صوتك عطف على ما تقدم • (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) الجملة تعليل للأمر بخفض الصوت بصورة مؤكدة كما سيأتي في باب البلاغة وإن واسمها والأصوات مضاف اليه واللام المزحلقة للتأكيد وصوت الحمير خبر إن •

البلاغــة :

في قوله : « إنها إن تك مثقال حبة من خردل » الآية فن التمام أو التتميم وقد تقدمت الاشارة الى الفن في مواطن من هذا الكتاب ، والمعنى انه تمم خفــاء الهنة أو الخطيئة في نفسها بخفــاء مكانها من الصخرة والأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة أو في الأعالي من أجواز الفضاء ، ومنه في الشعر قول الخنساء :

وإن صخراً لتأتمّ الهــداة به   كأنه علــــم في رأسه نـــار

فقولها « في رأسه نار » تتميم جميل لا بد منه لتجسيد الظهور والشهرة للسارين والغادين •

وقول عنترة العبسي :

أثني عــــليّ بمـــا علمـــت فإنني
سهــــل مخــالقتي إذا لــم أظلـــم

فقوله « لم أظلم » تتميم حسن •

ومن التتميم الحسن قول امرىء القيس يصف الفرس :

على هيكـــل يعطيك قبـــل سؤاله
أفانـــين جري غـــير كزٍّ ولا واني

فقوله « قبـل سؤاله » تتميم عجيب لقولـه « أفانين جري »

وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في هذا الباب :

من يلق يوماً عـــلى عـــلاته هرمـاً
يلق السماحـة منـه والنـدى خلُقا

والتتميم هنا في قوله « على عـلاته » وهو تتميم عجيب تضمن مبالغة أعجب • ويجري على هـذا المنوال قول ابن محكان السعدي حين قدم الى القتل :

ولست ــ وإن كـانت إليّ حبيبـة ــ
بباك على الدنيـا إذا ما تولـــت

قال أبو العباس المبرد : فاستثنى : « وإن كانت إليّ حبيبة » استثناء مليحاً ، ونوى التقديم والتأخير فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدّماً على مظهره •

٢ ــ التأكيد بأن وفنون أخرى :

ومن بديع هـذه الآية « إن أنكر الأصوات لصوت الحمـير » فنون عديدة نشير اليها :

أ ـ فقد أتى بالتمثيل مؤكداً بإن أولاً وعزز هذا التأكيد باللام فصار الكلام خبراً إنكارياً كأنّ التمثيل أمر مبتوت فيه لا يتطرق اليه الشك ، فقد تدخل إن في الجملة فترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً ، واستخدامها على هذا الوجه يحتاج الى تدبر وروية معاً ، وقد خفي سر هذا الاستخدام حتى على أفراد العلماء ؛ روي عن الأصمعي أنه قال : كنت أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر وكانا يأتيان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان ، وأتياه يوماً فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلْم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكم . قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم بلغني أن سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت أن أرد عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما :

بكّرا يا صاحبيّ قبل الهجير

إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح في التبكير » « بكّرا فالنجاح في التبكير » كان أحسن فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت : « إن ذاك النجاح في التبكير » كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت : بكرا في النجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقبل بين عينيه . قال عبد القاهر في تعليقه على هذه القصة : « فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه ؟ » .

ومضى عبد القاهر في تحليله لبيت بشار فقال : أما ان الجملة مستأنفة مع إن ّ فلأنها غير معطوفة على ما قبلها بالواو وهي واقعة في جواب سؤال مقدر فكأن سائلاً سأل : ولماذا يطلب الى صاحبيه أن يبكرا قبل الهجير فكان الجواب : إن ذاك النجاح في التبكير واما انها تصل جملتها بالجملة السابقة فالدليل عليه أنك لو أسقطت « إن » من الجملة لرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول : بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ولعل ذلك هو سر لطفها ودقتها وجزالة التعبير بها وهو سمة البناء الأعرابي الوحشي على عكس ما لو قال : بكرا فالنجاح في التبكير فهو بناء سهل واضح الترابط بالفاء وذلك سمة بناء الجمل عند المولّدين وإذا كانت الفاء تفيد الربط فانها لا تفيد التوكيد الذي تدل على « إن » وهذا البناء الجزل هو الذي جاء في القرآن الى درجة لا يدركها الاحصاء •

ويروي عبد القاهر في دلائل الاعجاز حديث يعقوب بن اسحق الكندي المتفلسف إذ ركب الى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ثم يقولون : إن عبد الله قائم ثم يقولون : إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد • كلام العرب حشواً فقال أبو العباس : في أي موضوع وجدت ذلك ؟ فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم : إن عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني •

وانما أطلنا في الاقتباس لدقة هذا البحث وخفائه وهو في الآية التي نحن بصددها واقع أجمل موقع وألطفه ، موضح لتعليل الأمر بخفض الصوت مبني عـلى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمـير وتمثيل أصواتهم بالنهيق وافراط في التنفير عن رفع الصوت وقد أجاد الخطيب في تعليله لهذا التعليل وننقل فصله بطوله لروعته وابداعه قال :

« فإن قيل : لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي ؟ أجيب بأن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشاء الذي في داخل الأذن وأما سرعة المشي فلا تؤذي وإن آذت فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من عـلى اليمين وعلى اليسار ولأن المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع عـلى باب القلب فإن الكلام ينقـل من السمع الى القلب ولا كذلك المشي ، وأيضاً فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب ، ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكراً كما أن خفضه دونها يعتبر تماوتاً وتكبراً وكان قد أشار الى النهي عن هذا بمن فأفهم أن الطرفين مذمومان علّل النهي عن الأول بقوله إن أنكر أي أفظع وأشنع الأصوات برفعها فوق الحاجة لصوت الحمير أي هذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة فإن كل حيوان قد يفهم من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغـير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتـل لا يصيح وفي بعض أوقات عـدم الحاجة يصيـح وينهق بصوت أوله شهيق وآخره شهيق » .

ب ـ توحيد الصوت :

وقال الزمخشري : « لمَ وحّد صوت الحمير ولم يجمع ؟ قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده » •

الاستعارة التصريحية :

وفي هذه الآية الاستعارة التصريحية حيث أخلي الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة فجُعلوا حميراً وجعل صوتهم نهاقاً مبالغة في الذم والتهجين وإفراط في النهي عن رفع الصوت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة الموجعة وكذلك نهاقه •

ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين ، وعن عبد الحميد الكاتب انه قال : لا تركب الحمار فإنه إن كان فارهاً أتعب يدك وإن كان بليداً أتعب رجلك • وقال أعرابي : بئس المطية الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى ، كثير الروث ، قليل الغوث ، سريع الى الفرارة ، بطيء في الغارة ، لا توقى به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، ولا يحاب في الإناء • ومن العرب من لا يركبه أبداً ولو بلغت به الحاجة والجهد •

الصوت مصدر :

وفي القرطبي : « لصوت الحمير اللام للتأكيد ووحد الصوت وإن كان مضافاً الى الجماعة لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت ويقال صوّت تصويتاً فهو مصوت ورجل صات أي شديد الصوت بمعنى صائت » •

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَٰقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

اللغـــة :

(واسبغ) : وأتم ، يقال : أسبغ الله عليه النعمة أتمها وأسبغ الثوب : أوسعه وأطاله وأسبغ الرجـل لبس درعاً سابغـة وأسبغ له النفقة وسّع عليه وأنفق تمام ما يحتاج اليه، وفي المصباح: « وسَبَغت النعمة سبوغاً اتسعت وأسبغها الله أفاضها وأتمهـا وأسبغت الوضوء أتممته » وقرىء بالسين وبالصاد ، وهكذا كل سين اجتمع معه الغـين والخاء والقاف تقول في سلخ صلـخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ ومعنى سالغ من سلغت البقرة والشاة إذا اسقطت السنّ التي خلفت السديس والسلوغ في ذوات الأظلاف بمنزلة البزول في ذوات الأخفاف.

(بالعروة الوثقى) : جـاء في القاموس ما يلي : « العروة من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب أخت زره كالعُري ويكسـر ومن الفرج لحم ظاهره يعرض فيأخـذ يمنة ويسرة مع أسفل البظر وفرج معرّى والجماعـة من العضاة والحمض يرعى في الجـدب والأسد والشجر الملتفّ تشتوفيه الإبل فتأكـل منه أو مالا يسقط ورقه في الشتاء والنفيس من المال كالفرس الكريم وموالي البلد » وفي الاساس واللسان : « وتستعار العروة لما يوثق به ويعوّل عليـه فيقـال للمال النفيس والفرس الكريم : لفلان عروة ، وللابل عروة من الكلأ وعلقة : لبقية تبقى منه بعد هيج النبات تتعلق بها لأنها عصمة لها تراغم اليها وقد أُكل غيرها قال لبيد :

خلع الملوكَ وسار تحت لوائه شجر العُرا وعُراعر الاقوام

أي هـم عِصَم للناس كالعِضاه التي تعتصم بهـا الاموال ، ويقـال لقادة الجيش : العُرا ، والصحابة رضوان الله عليهـم عرى الاسلام ، وقول ذي الرّمة :

كـأن عُرا المرجـان منهـا تعلّقت

عـلى أمّ خشف من ظبـاء المشاقر

أراد بالعرا : الأطواق ... والعروة من أسماء الأسد » .

الاعراب :

(أولم تروا أن الله سخر لكـم مافي السموات ومافي الأرض) كلام مستأنف للرجوع الى ما سلف قبل قصة لقمان ووصيته من خطاب

المشركين • والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو عاطفة على ما تقدم من خطابهم ولم حرف نفي وقلب وجزم وتروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والرؤية قلبية وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تروا وأن واسمها وجملة سخر خبرها ولكم متعلقان بسخر وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف هو صلة ما ومافي الارض عطف على مافي السموات • (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وأسبغ عطف على سخر وعليكم متعلقان بأسبغ ونعمه مفعول به وظاهرة حال وباطنة عطف على ظاهرة وسيأتي معنى الظاهرة والباطنة في باب البلاغة • (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير) الواو استئنافية ومن الناس خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يجادل صلة من اذا كانت موصولة أو صفة لها إذا كانت نكرة تامة بمعنى ناس وفي الله متعلقان بيجادل أي في توحيده وصفاته وبغير علم حال ولا هـدى معطوفة ولا كتاب منير عطف على علم • (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر باضافة الظرف اليها ولهم متعلقان بقيل وجملة اتبعوا مقول القول وما مفعول به وجملة أنزل الله صلة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبل حرف اضراب وعطف ونتبع فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وما مفعول به وجملة وجدنا صلة وعليه متعلقان بوجدنا أو بمحـذوف هو مفعول وجدنا الثاني وآباءنا هو مفعول وجدنا الاول أي وجدنا آباءنا عاكفين عليه •

(أو لو كان الشيطـان يدعوهم الى عـذاب السعير) الهمـزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو فيها وجهان أحدهما أن تكون

عاطفة على محذوف وثانيهما انها حالية ، وعلى كل حال لا بد من تقدير محـذوف معنـاه : أيتبعونه ولو كان الشيطان يدعوهم ، ولو شرطية وجوابهـا محذوف أي يدعوهم فيتبعون ومحـل الجملة النصب على الحال ، وكان الشيطان كان واسمها وجملة يدعوهم خبرها والى عذاب السعير متعلقان بيدعوهم • (ومن يسلم وجهـه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويسلم فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووجهه مفعول به والى الله متعلقان بيسلم ويسلم يتعدى باللام ولكنه عـدي هنا بإلى ليكون معناه أنه سلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجـل إذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه ، والواو واو الحال وهو مبتدأ ومحسن خبر ، فقد الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واستمسك فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وبالعروة جار ومجرور متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من •

(وإلى الله عاقبة الامور) الى الله خبر مقدم وعاقبة الامور مبتدأ مؤخر • (ومن كفر فـلا يحزنك كفره) الواو حرف عطف والجملة معطوفة على سابقتهـا ولا ناهية ويحزنك فعـل مضارع مجزوم بلا والجملة في محـل جزم جواب الشرط • (إلينا مرجعهـم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور) إلينا خبر مقـدم ومرجعهم مبتدأ مؤخر فننبئهم الفاء عاطفة وننبئهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن ومفعول به وبمـا متعلقـان بننبئهـم وجملة عملوا صلة ما وإن واسمها وعليم خبرها وبذات الصدور متعلقان بعليم • (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) جملة نمتعهم يجوز أن تكون حالية من

فاعل نمتعهم وأن تكون مستأنفة وقليلاً ظرف أو صفة لمصدر محذوف أي زماناً قليلاً أو متاعاً قليلاً ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ونضطرهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والى عذاب متعلقان بنضطرهم وغليظ صفة لعذاب •

البلاغة :

١ ــ الطباق :

في قوله « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » طباق وقد مرّ بحثه ، والمراد بالنعم الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة ، والباطنة مالا يعلم إلا بدليل ، وجميل قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية : « الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيىء عملك » وقد أفاض المفسرون فيها مما يرجع اليه في المطولات •

٢ ــ الاستعارة التمثيلية :

وذلك في قوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى » فقد مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من جبل شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وقيل هو تشبيه تمثيلي لذكر طرف التشبيه •

٣ ــ الاستعارة المكنية :

وفي قوله « ثم نضطرهم الى عذاب غليظ » استعارة مكنية فقد شبه إلزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي

لا يقدر على الانفكاك منه أي يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذَّب .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

الاعراب :

(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله) كلام مستأنف مسوق لبيان تناقضهم مع أنفسهم واعترافهم بما لا يسع المكابرين انكاره من دلائل التوحيد الساطعة . واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعل ومفعول به ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة خلق السموات والارض في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم واللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع حذفت منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين والله خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله أو مبتدأ حذف خبره أي الله خالقها . (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول قول والأمر للالزام لهم على قرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو

الله وحده وأنه يجب أن يكون الحمد والشكر مصروفين له وبل حرف اضراب انتقالي للتنبيه بأنهم إذا ألزموا بذلك لم يلتزموا به ولم ينتبهوا، وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر • (لله مافي السموات والارض إن الله هو الغني الحميد) لله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات والارض صلة وإن حرف مشبه بالفعل ولفظ الجلالة اسمها وهو ضمير فصل والغني خبرها الأول والحميد خبرها الثاني • (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام) كلام مستأنف مسوق للتنبيه على أن معاني كلامه سبحانه لا تنفد ، ولو حرف شرط غير جازم وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد وأن وما بعدها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت وأن واسمها وفي الأرض صلة ما ومن شجرة في موضع الحال من ضمير الاستقرار أو من ما وأقلام خبر أن •

(والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) والبحر الواو حالية أو عاطفة والبحر مبتدأ خبره جملة يمده أو معطوف على موضع أن ومعمولها إذ هو مرفوع على الفاعلية كما تقدم وقرىء والبحر بالنصب عطف على اسم أن ، ويمده فعل مضارع ومفعول به مقدم ومن بعده حال وسبعة أبحر فاعل يمده وجملة ما نفدت جواب لو فلا محل لها وإن واسمها وعزيز خبرها الاول وحكيم خبرها الثاني •

الفوائد :

١ ـ تكلمنا فيما سبق عن « لو » ووعدناك بأن ننقل لك الخلاف الذي شجر بين النحاة والمعربين حول هذه الآية التي طال

حولها الجدل وسنقدم لك خلاصة لأقوالهم لتقف على ما يذهلك من براعة الاستنتاج ودقة المنطق .

قال الشيخ شهاب الدين القرافي : « قاعدة « لو » أنها إذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين وعلى نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي ، تقول لو جاءني لأكرمته فهما ثبوتان فما جاءك ولا أكرمته ، ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب، ولو لم يؤمن أريق دمه التقـدير انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل ، وإذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك لأن « لو » دخلت على ثبوت أولاً ونفي آخراً فيكون الأول نفياً وهو كـذلك فإن الشجرة ليست أقلاماً ويلزم أن يكون النفي الأخير ثبوتاً فتكون نفدت وليس كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام : « نعم العبـد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » إذ يقتضي انه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنباً لكن الحديث سبق وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثـيراً ، أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا في الحديث وجوهاً وأما الآية فلم أر لأحد فيها شيئاً ويمكن تخريجها على ماقالوه في الحديث غير أنه ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعاً وسأذكره فيما بعـد ، وقال ابن عصفور : « لو » في الحـديث بمعـنى « إن » لمطلق الربط وان لا يكون نفيها ثبوتاً ولا ثبوتها نفياً فيندفع الإشكال وقـال الشيخ شمس الدين الخسروشاهي : إن « لو » في أصل اللغـة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفياً وبالعكس ، والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة ، وقال الشيخ ابن عبد السلام : الشيء الواحد قـد يكون له سبب واحـد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له

سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لأن السبب الثاني يخلف الأول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لـم يكن زوجـاً لورث أي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عـدم أحدهما عدم الآخر وكـذلك هاهنا إذ الناس في الغالب إنما لم يعصوا لأجل الخوف فإذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيباً رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن، وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ، ويدلّ على ذلك قوله : لم يعصه ، وهذه الأجوبة تتأتى في الآية غـير الثالث فإن عدم نفاد كلمات الله تعالى وانها غـير متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلّل بالأسباب فتأمل ذلك . هذا كلام الفضلاء الذي اتصل بي .

ويتابع القرافي : والذي ظهر لي أن « لو » أصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقـدم ثم أنها أيضاً تستعمـل لقطع الرابط فتكون جواباً لسؤال محقّق ومتوهم وقـع فيه ربط فتقطعـه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجاً لم يرث فتقول أنت : لو لم يكن زوجاً لم يحرم ، تريد أن ما ذكرته من الربط بين عـدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك قطع ربط كلامه لا ربط كلامـه وتقول لو لم يكن زيداً عالماً لأكـرم أي لشجاعته جواباً لسؤال سائل يتوهمه أوسمعته يقول إنه إذا لم يكن عالماً لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لأن ذلك غير مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك إلا الى عدم الربط ، فكذلك الحديث لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله

تعالى وان ذلك في الأوهام قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هــذا الربط وقال لو لم يخف الله يعصه وكذلك لما كان الغالب أن الاشجار كلها إذا صارت أقلاماً والبحر الملح مع غيره يكتب به الجميع والوهم يقول ما يكتب بهذا شيء إلا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هــذا الربط وقال ما نفــدت الخ ••• وهــذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس مخالفاً لعرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غــيره في تلك الموارد ونعم هــذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضي الله عنه » انتهى كلام شهاب الدين •

أما ابن هشام فبعــد أن ذكر أن « لو » المستعملة عــلى خمسة أوجه قال : « الثاني انها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري عــلى ألسنة المعربين ونص عليه جماعــة من النحويين وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى : « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » « ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » وقول عمر رضي الله عنه : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ، وبيانه أن كل شيء امتنع ثبت نقيضه فاذا امتنع « ما قام » ثبت « قام » وبالعكس ، وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت إيمانهم مع عــدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيء عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل مافي الأرض من شجرة أقلاماً تكتب الكلمات وكون

البحر الاعظم بمنزلة الدواة وكون السبعة الأبحر مملوءة مداداً وهي تمد ذلك البحر ، ويلزم في الأثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد ، والثالث أنها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه إن كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً ، لزم انتفاؤه لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وإن كان أعم كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط وهذا قول المحققين » الى أن يقول :

« ويتلخص على هذا أن يقال إن « لو » تدل على ثلاثة أمور : عقد السببية والمسببية وكونهما في الماضي وامتناع السبب ثم تارة يعقل بين الجزأين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاول على ثلاثة أقسام :

ما يوجب فيه الشرع أو العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الأول نحو قوله تعالى : « ولو شئنا لرفعناه بها » ونحو لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً ، وهذا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني قطعاً . وما يوجب أحدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو : لو نام لانتقض وضوءه وهذا لا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني كما قدمنا .

وما يجوز فيه العقل ذلك نحو : لو جاءني زيد أكرمته فإن العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجحه أن ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الأول وأنه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المادي لانتفاء السبب

لا على الانتفاء مطلقاً ويدل الاستعمال والعرف عـلى الانتفاء المطلق ، والنوع الثاني (وهو مالا يعقـل فيه بين الجزأين ارتبـاط مناسب) قسمان : أحدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجـد الشرط أو فقد ولكنه مع فقده أولى وذلك كالأثر المروي عن عمر في صهيب رضي الله عنهما : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » فإنه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف أولى وانما لم تدل «لو » على انتفاء الجواب لأمرين :

أحدهما : أن دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الأثر دل مفهوم الموافقة عـلى عـدم المعصية لأنه إذا انتفت المعصية عند عـدم الخوف فعند الخوف أولى وإذا تعارض هـذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة .

الثاني : انه لما فقـدت المناسبة انتفت العليّة فلم يجعـل عدم الخوف علة عدم المعصية فعلمنا أن عدم المعصية معلل بأمر آخر وهو الحياء والمهابة والإجلال والإعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستنداً اليه فقط أو اليه والى الخوف معاً وعلى ذلك تتخرج آية « لقمان » السابقة لأن العقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور فلأن لا تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى » .

هذا ومن نسب الأثر بهذا اللفظ الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم وإنما الوارد ما رواه أبو نعيم في الحلية أن النبي قال في سالم مولى أبي حذيفة أنه شديد الحب لله تعالى لو كان لا يخاف الله ما عصاه.

٢ ــ لماذا وحد الشجرة ؟ :

وقال الزمخشري : « فإن قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر ؟ قلت : أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لايبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً » .

ووحد الشجرة لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل فكأنه قال كل شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجرة واحدة إلا وقد بريت أقلاماً وجمع الأقلام لقصد التكثير أي لو أن يعد كل شجرة من الشجر أقلاماً .

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ
آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

اللغــــة :

(كالظلل) : الظلل : جمع ظلة بضم الظاء كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو شجر أو غيرها •

(ختار) : مبالغة من الختر وهو أشد الغدر ومنه قولهم : انك لا تمد لنا شبراً من الغدر إلا مددنا لك باعاً من ختر ، قال :

وانك لو رأيت أبا عمــــير ملأت يديك من غــــدر وختر

وقوله ملأت يديك من غدر وختر شبه المعقول بالمحسوس عــلى سبيل الاستعارة المكنية وملء اليدين تخييل ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً عدّ بأصابع يده اليمنى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبأصابع اليسرى : اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني فقال رسول الله : ملأت يديك خيراً •

الاعراب :

(ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) ما نافية وخلقكم مبتدأ ولا بعثكم عطف على خلقكم وإلا أداة حصر والكاف خبر خلق أو الجــار والمجرور خبر خلق ولا بد من تقــدير مضاف أي إلا كخلق نفس واحدة وما بعثكم إلا كبعث نفس واحدة ، والكلام مستأنف مسوق للرد على المتشككين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطواراً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة ، وان واسمها وسميع

خبرها الأول وبصير خبرها الثاني • (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة يولج الليل في النهار خبرها وجملة يولج النهار في الليل عطف عليها • (وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير) الواو عاطفة وسخر عطف على يولج وستأتي علة المخالفة في الصيغة في باب البلاغة والشمس مفعول سخر والقمر عطف على الشمس وكل مبتدأ وجملة يجري خبر والى أجل متعلقان بيجري ، وسيأتي سر هذا الحرف في باب البلاغة ، وان واسمها وبما تعملون متعلقان بخبير وخبيرخبر إن•(ذلك بأن الله هوالحق وأن مايدعون من دونه الباطل) ذلك مبتدأ وخبره بأن الله وأن اسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر أن أو خبر هو والجملة خبر أن وأن عطف على بأن وأن واسمها وجملة يدعون صلة ما ومن دونه حال والباطل خبر أن • (وأن الله هو العلي الكبير) عطف على ما تقدم •

(ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري أيضاً ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وأن وما بعدها في محل نصب مفعول تر وأن واسمها وجملة تجري في البحر خبرها وبنعمة الله حال أي مصحوبة بنعمته • (ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور) اللام للتعليل ويريكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ومن آياته في محل نصب مفعول به ثان ليريكم وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن ولكل صفة لآيات وصبار مضاف لكل وشكور صفة لصبار • (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا

الله مخلصين له الدين) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة غشيهم في محل جر باضافة الظرف اليه وغشيهم فعل ماض ومفعول به وموج فاعل وكالظلل صفة لموج وجملة دعوا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول لمخلصين لأنه اسم فاعل • (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) الفاء عاطفة ولما حينية ظرفية أو رابطة ونجاهم فعل ماض ومفعول به وفاعل مستتر تقديره هو والى البر متعلقان بنجاهم والفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومقتصد مبتدأ مؤخر أي متوسط في الكفر والظلم لأنه انزجر بعض الانزجار ، وقيل المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة • (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) الواو استئنافية وما نافية ويجحد فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان بيجحد وإلا أداة حصر وكل فاعل وختار مضاف اليه وكفور صفة لختار •

البلاغة :

المخالفة في الصيغة وفي حرفي الجر :

في قوله « وسخر الشمس والقمر » مخالفة في الصيغة بين سخر المعطوف ويولج المعطوف عليه لأن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد كل حين فعبر عنه بالصيغة المتجددة حيناً بعد حين وأما تسخير النيرين فهو أمر لا يتجدد ولا يتعدد بل هو ديمومة متصلة متتابعة فعبر عنه بالصيغة الماضية الكائنة •

وفي قوله : « إلى أجل غير مسمى » مخالفة بين حرف الجر « إلى » المستعمل هنا وحرف الجر « اللام » المستعمل في مكان آخر فليس هو من تعاقب الحرفين فالاول للانتهاء والثاني للاختصاص وكل واحد منهما واقع موقعه ملائم لصحة الغرض الذي هدف اليه ، لأن قولك يجري الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى معناه يجري لإدراك أجل مسمى ، فما ينتهي هنا غاية ماينتهي اليه الخلق فناسب ذكر « الى » ، وما في فاطر والزمر ليس من هذا الوادي فناسب ذكر اللام وهذا من الدقائق البديعة فتأمل .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده) اتقوا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به واخشوا عطف على اتقوا ويوماً مفعول به وجملة لا يجزي والد عن ولده صفة ليوماً . (ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق) ولا مولود عطف على والد

وهو مبتدأ وجاز خبر وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين والجملة صفة ليوماً وشيئاً مفعول جازٍ أو يجزي فالمسألة من باب التنازع وإن وعد الله حق ان واسمها وخبرها • (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتغرنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية والحياة فاعل تغرنكم والكاف مفعوله والدنيا صفة للحياة ولا يغرنكم بالله الغرور عطف على ما تقدم مماثل له في اعرابه والغرور بفتح الغين كل ما يسبب الانخداع والافتتان • (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام) كلام مستأنف مسوق لتقرير تفرد الله بالاحاطة بالمغيبات ، وسبب نزولها ان الحارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حياتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر ؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت مافي بطنها أذكر أم أنثى ؟ وإني علمت ما علمت أمس فما أعمل غداً ؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت ؟ •

وان واسمها وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعلم الساعة مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن وينزل الغيث عطف على عنده علم الساعة فهو بمثابة خبر ثان ويعلم مافي الأرحام عطف أيضاً • (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) الواو حرف عطف وما نافية وتدري فعل مضارع ونفس فاعله وماذا اسم استفهام مركب في محل نصب مفعول مقدم لتكسب وجملة تكسب سادة مسد مفعولي تدري المعلقة بالاستفهام وغداً ظرف متعلق بتكسب ويجوز أن تكون ما مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر ، وقد تقدم القول في ماذا •

(وما تـدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) الواو حرف عطف وما نافية وتدري فعل مضارع مرفوع ونفس فاعل وبأي أرض متعلق بتموت وهو معلق للدراية فالجملة في محل نصب والباء ظرفية بمعنى في أي في أي أرض وان واسمها وخبرها .

البلاغـة :

للضمائر شأن كبير في الفصاحة والبلاغة ولها تأثير في قوة الكلام وضعفه ، أو توكيده وعدم توكيده ، ومن ذلك قوله « ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » فقد ورد الضمير بعد مولود ولم يرد بعد والد في قوله « لا يجزي والد عن ولده شيئاً » وذلك لسر يتجاوز الاعراب، وقد أجاب الامام الزمخشري بجواب في غاية الدقة ولكنه أغفل أمراً هاماً يرد عليه ، وفيما يلي نص قوله :

« فإن قلت : قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه ؟ قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً فلذلك جيء به على الطريق الآكد » وواضح من هـذا التعليل الجميل أنه يتمشى على الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أوأنه خاص بهم والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطبق عليهم اسم الناس فالأولى أن يقال في جواب السؤال ان الله تعالى

لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه وغاية طوقه قطع هنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مظنة لأنه يجزيه حقه عليه ويكفيه مايلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه ، ولما كان إجزاء الولد عن الوالد ظنة الوقوع وموطن الأمل لأن الله حضه عليه في الدنيا كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم وهذا غير وارد في حق الولد على الوالد وهذا من الحسن بمكان فتأمله .

سُورة السجدة
مكية وآياتها ثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

الاعراب :

(ألم ، تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) ألم خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول مفصلاً في ذلك وتنزيل الكتاب مبتدأ ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيه خبرها والجملة حال من الكتاب ومن

رب العالمين خبر تنزيل وهناك أعاريب أخرى ضربنا صفحاً عنها وقد تقدم في أول البقرة ما يشبه هذا • (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل الاضرابية وهمزة الاستفهام الانكارية ويقولون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة افتراه مقول القول وافتراه فعل ومفعول به والفاعل مستتر تقدير هو يعود على محمد وبل اضراب ثان يفيد ابطال قولهم وهو مبتدأ و لحق خبر ومن ربك حال • (لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) اللام للتعليل وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل وفاعل تنذر مستتر تقديره أنت وقوماً مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف إذ التقدير لتنذر قوماً العقاب ، وما نافية وآتاهم فعل ومفعول به ومن حرف جر زائد والجملة صفة لقوماً ومن قبلك صفة لنذير ويجوز أن يتعلق بآتاهم وجملة ما آتاهم المنفية في محل نصب صفة لقوماً ويجوز العكس ، ومفعول تنذر الثاني محذوف أي لتنذر قوماً العقاب ، وجوز بعضهم أن تكون ما موصولة والتقدير لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك ، ومن نذير متعلقان بأتاهم أي أتاهم على لسان نذير من قبلك وبواسطته فما مفعول به ثان وانذر يتعدى الى اثنين قال تعالى : « فقل أنذرتكم صاعقة » ولعل واسمها وجملة يهتدون خبرها وجملة الترجي حال من فاعل لتنذر أي لتنذرهم راجياً لاهتدائهم •

(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) الله مبتدأ والذي خبره وجملة خلق السموات والارض صلة وما عطف على السموات وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة لما وفي ستة أيام متعلقان بخلق • (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي

ولا شفيع أفلا تتذكرون) ثم حرف عطف وتراخ واستوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله وعلى العرش متعلقان باستوى وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دونه حال لأنه كان في الاصل صفة لولي ومن حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ولا شفيع عطف على ولي ، ويجوز أن تكون ما حجازية على رأي بعض النحاة ، والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولا نافية وتتذكرون فعل مضارع مرفوع والواو فاعله • (يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) الجملة حالية والأمر مفعول يدبر ومن السماء متعلقان بيدبر والى الارض متعلقان بيدبر أيضاً ومن ابتدائية والى انتهائية ، ثم حرف عطف وتراخ ويعرج فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو أي الأمر أي يرجع اليه واليه متعلقان بيعرج وفي يوم حال من فاعل يعرج أي كائناً في يوم وجملة كان واسمها وخبرها صفة ليوم وسيأتي مزيد بيان لمعنى هذا الزمان في باب البلاغة، ومما صفة لألف سنة وجملة تعدون صلة •

البلاغة :

قال النحاس : اليوم في اللغة بمعنى الوقت ، فاندفع الإشكال الذي أورده بعضهم مع قوله تعالى في سورة سأل « خمسين ألف سنة » فالعرب تعبر عن مدة العصر باليوم ، ويوم القيامة فيه أيام متباينة الأوقات فمنها ما هو مقداره ألف سنة ومنها ما مقداره خمسون ألف سنة فالمراد من ذكر الألف والخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد بخصوصه ومن شواهد التعبير باليوم عن المدة قول الشاعر :

يومان : يوم مقامات وأندية ويوم سيرٍ الى الأعداء تأويب

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ
شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ
أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) ذلك مبتدأ والاشارة إلى الله الخالق المدبر وعالم الغيب والشهادة خبر أول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث • (الذي أحسن كل شيء خلقه) يجوز في اسم الموصول أن يكون خبراً رابعاً أو نعتاً أو خبراً لمبتدأ مضمر وأن يكون منصوباً على المدح وجملة أحسن صلة وكل شيء مفعول به وخلقه فعل ماض ومفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره يعود على الله وجملة خلقه صفة لشيء في محل جر أو صفة لكل فهي في محل نصب وقرىء خلْقه بسكون اللام فيكون بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء • (وبدأ خلق الانسان من طين) وبدأ عطف على أحسن وخلق الانسان مفعول به ومن طين متعلقان بخلق والمراد بالانسان آدم. (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) ثم حرف عطف للترتيب مع

التراخي وجعل نسله فعل وفاعل مستتر يعود على الله ومفعول به ومن سلالة متعلقان بجعل أو في محل نصب على أنه مفعول ثان ، وسميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه كما سميت النطفة سلالة لأنها تسل منه ، وفي الصحاح : النجل : النسل ونجله أبوه أي ولده فالولـد سليل ونجل ، ومن ماء صفة لسلالة ومهين صفة لماء وهي النطفـة الضعيفة . (ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) ثم حرف ترتيب وتراخ وسواه فعل وفاعل مستتر ومفعول به والمراد بالتسوية تقويمـه في أحسن تقويم ونفخ عطف على سواه وفيه متعلقان بنفخ ومن روحه متعلقان بنفخ أيضاً وجعل عطف ولكم متعلقان بجعل والسمع مفعول به والأبصار والأفئدة معطوفان على السمع وقليـلاً مفعول مطلق وما زائدة مؤكدة للقلة وتشكرون فعل مضارع مرفوع ، ويجوز أن يعرب قليلاً ظرف زمان فعلى الأول يكون التقدير شكراً قليلاً وعلى الثاني زماناً قليلاً .

(وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جـديد) كـلام مستأنف مسوق لبيان ضروب من أباطيلهـم وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة والهمزة للاستفهام الانكاري واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف تقديره نبعث وهو جواب إذا أو نخرج بدلالة خلق جديد عليه وجملة ضللنا في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وفي الأرض متعلقان بضللنا والهمزة للاستفهام الانكاري أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة وفي خلق خبرها وجديد صفة لخلق . (بل هم بلقاء ربهم كافرون) اضراب انتقالي من بيان كفرهم بالبعث إلى ما هو أطم وأدل عـلى سوء ما هم مترددون فيه ، وهـم مبتدأ وبلقـاء ربهم متعلقان بكافرون وكافرون خبر هم . (قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يتوفاكم فعل مضارع والكاف مفعول به

مقدم وملك الموت فاعل والذي نعت لملك الموت وجملة وكل بكم صلة ، ثم حرف عطف وتراخ والى ربكم متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل •

الفوائد :

التفعل والاستفعال :

قال الزمخشري : « والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى : « الله يتوفي الأنفس » ومعلوم أن التفعل والاستفعال يلتقيان في مثل تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته » وللتفعل معان أخرى ندرجها فيما يلي :

١ـ مطاوعة الرباعي المضعف نحو نبّهته فتنبّه وجمعته فتجمّع •

٢ـ التكلف نحو تصبّر وتكرّم أي تكلّف الصبر والكرم •

٣ـ الاتخاذ نحو توسّد ذراعه أي اتخذه وسادة وتورّك البعير أي اتخذ وركه مطية •

٤ـ التجنّب نحو تأثم أي تجنب الإثم وتهجّد أي تجنب الهجود وهو النوم •

٥ـ التدريج نحو تحفّظت الدرس أي حفظته قسماً بعد قسم وتجرعت الدواء أي أخذته جرعة بعد جرعة •

وأشهر معاني الاستفعال ما يأتي :

١ـ الطلب نحو استقدمت فلاناً أي طلبت قدومه واستخرجت حل المسألة أي حصلت عليه بعد طلب •

٢ـ الصيرورة نحو استحجر أي صار حجراً واستنوق الجمل أي صار كالناقة واسترجلت المرأة أي صارت كالرجل •

٣ـ النسبة نحو استصوبت رأيه أي نسبت اليه الصواب واستقبحت فعله أي نسبت اليه القبح •

٤ـ اختصار اللفظ نحو استرجع القوم أي قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون •

٥ـ القوة نحو استهتر أي اشتد هتاره واستكبر أي قوي كبره •

وقد تأتي هذه الصيغة بمعنى أفعل نحو استجاب وأجاب وقد تكون مطاوعاً له نحو أحكمت البناء فاستحكم وأقمت اعوجاجه فاستقام •

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

اللغـــة :

(تتجافى) : تجافى : تنحى ولم يلزم مكانه يقال تجافى السرج عن ظهر الفرس وتجافى جنبه عن الفراش وقال في الاساس : « جفاني فلان : فعل بي ما ساءني واستجفيته ، والأدب صناعة مجفوّ أهلها ، وجفت المرأة ولدها فلم تتعاهده ، وثوب جاف : غليظ وقد جفا ثوبه ، وهو من جفاة العرب ، وجفا السرج عن ظهر الفرس ، وجنب النائم عن الفراش وتجافى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » وأجفاه صاحبه وجافاه ، قال :

وتشتكي لو أننا نشكيها غمزَ حوايا قلّما تجفيهـا

ومن المجاز : أصابته جفوة الزمان وجفاوته • وللجيم مع الفاء خاصة الانكمـاش والجفاف يقـال جف يجف من باب تعب جفـافاً وجفوفاً : يبس ونشف والانكماش واضح في هذا المعنى ، واجتف ما في الاناء : أتى عليه ، وجفأ يجفـأ من باب فتح النهـر رمى بالزبد والقـذى وجفجف الابل : ساقهـا بشـدة حتى ركب بعضها بعضاً أي انكمش بعضها على بعض ، وجفخ تكبر والمتكبر منكمش عن الناس ترفعاً وتيهاً منه ، وجفل القوم وأجفلوا هربوا مسرعين ووقعت في الناس جَفْلة إذا خافوا فاجفلوا وليس مثل الخائف في الانكماش والاسراع، وجفن الناقة : نحرها وأطعم لحمهـا في الجفان وجفن نفسه كفهـا عن الخبائث وتجفّن الكرم صار له أصل والجفنة بفتـح الجيم القصعة الكبيرة والخمرة والبئر الصغيرة فما تطلقه العامة على جفنة الكرم له أصل صحيح •

الاعراب :

(ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم) كلام مستأنف مسوق لاستحضار صورة المجرمين عامة يوم القيامة والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح له ولتجسيد الفظاعة التي حلت بهم • ولو شرطية وترى فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى وانما جاز ذلك لترقب وقوعه وتحققه نحو أتى أمر الله ، وجعله أبو البقاء مما وقعت فيه إذ موقع إذا ، والمجرمون مبتدأ وناكسو رءوسهم خبر وسيأتي سر التعبير بالجملة الاسمية في باب البلاغة وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال ومفعول ترى محذوف لأن الرؤية بصرية أي لو ترى المجرمين ، وقد أغنى عن ذكره المبتدأ ، وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً لا يمكن وصفه ، وأجاز الزمخشري أن تكون لو للتمني والمضي فيها وفي إذ لأن الثابت في علم الله بمثابة الواقع ، وناكسو رءوسهم اسم فاعل مضاف الى مفعوله • (ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون) الكلام مقول قول محذوف في موضع الحال أي قائلين وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء وأبصرنا فعل وفاعل والمفعول محذوف أي أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك ، وسمعنا عطف على أبصرنا ويجوز عدم تقدير مفعول أي صرنا ممن يبصر ويسمع وكنا من قبل صماً وعمياناً وهو جميل ، فأرجعنا الفاء الفصيحة وارجعنا فعل أمر المقصود منه الدعاء ومفعول به ونعمل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وان واسمها وخبرها •

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الواو عاطفة ولو شرطية وشئنا فعل وفاعل ولآتينا اللام واقعة في جواب لو وآتينا فعل وفاعل وكل نفس مفعول آتينا الاول وهداها مفعول آتينا الثاني . (ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين) الواو حالية ولكن مخففة مهملة فهي لمجرد الاستدراك وحق القول فعل وفاعل ومني حال ولأملأنّ اللام موطئة للقسم وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا وجهنم مفعول به ومن الجنة متعلقان بأملأن والناس عطف على الجنة وقدم الجن لأن المقام مقام تحقير لهم وأجمعين تأكيد وسيأتي القول في معنى أجمعين هنا في باب الفوائد . (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) الفاء الفصيحة أي إن نسيتم هذا كله فذوقوا ، وذوقوا فعل أمر وفاعله وبما الباء حرف جر للسببية وما مصدرية والمصدر الاول مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بذوقوا ومفعول ذوقوا محذوف تقديره العذاب ولقاء يومكم مفعول نسيتم وهذا صفة ليومكم أي المشار اليه . (إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كلام مستأنف لزيادة إيلامهم ومقابلة نسيانهم اللقاء بنسيان أمضى وأنكى ، وان واسمها وجملة نسيناكم خبرها وذوقوا فعل أمر والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي ونقول ذوقوا وعذاب الخلد مفعول ذوقوا ، وكرر الذوق مع مفعوله للتأكيد وتبيين المفعول المطوي للذوق ، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا وقدمر قريباً وكنتم كان واسمها وجملة تعملون خبرها . (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً) كلام مستأنف مسوق لبيان الذين إذا قرىء عليهم القرآن خروا سجداً وإنما كافة ومكفوفة ويؤمن فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان به

والذين فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذكروا في محل جر بإضافة الظرف اليها والواو نائب فاعل وبها متعلقان بذكروا وجملة خروا جواب إذا وسجداً حال من فاعل خروا •

(وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) وسبحوا عطف على خروا وبحمد ربهم حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يستكبرون خبر والجملة في محل نصب على الحال. (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الجملة مستأنفة أو حالية أيضاً وجنوبهم فاعل وعن المضاجع متعلقان بتتجافى • (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) جملة يدعون إما مستأنفة وإما حالية أيضاً ويدعون ربهم فعل مضارع وفاعل ومفعول به وخوفاً وطمعاً إما مفعول من أجله وإما حالان وإما مصدران لفعل محذوف ومما متعلقان بينفقون وجملة رزقناهم صلة ما • (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) يجوز أن تكون الفاء عاطفة أي تتجافى جنوبهم ويدعون ربهم فلا ، ويجوز أن تكون فصيحة أي إن حاول أحد أن يعلم مصيرهم وما أعد الله لهم من قرة أعين فلا يعلم • ولا نافية وتعلم نفس فعل مضارع وفاعل وما اسم موصول مفعول تعلم أي لا تعلم الذي أخفاه الله ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع مبتدأ وأخفي لهم خبره وعلى قراءة أخفي بسكون الياء تكون ما مفعول أخفي لأنه فعل مضارع وفاعله أنا وتكون ما الاستفهامية معلقة لتعلم ولهم متعلقان بأخفي ومن قرة أعين حال من ما وجزاء مفعول مطلق لفعل محذوف أي جوزوا جزاء أو مفعول لأجله أي أخفي لهم لأجل جزائهم وبما متعلقان بجزاء وكان واسمها وجملة يعملون خبرها •

البلاغــة :

العدول عن الفعلية الى الاسمية :

في قوله « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم » عدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية لتقرير ثباتهم عــلى نكس رءوسهم خجلاً وحياءً وخزياً عنــدما تبدو مثالبهم وهناتهــم بصورة دميمة شوهاء تبعث على الهزء بهم والسخرية منهم كأنما استمر ذلك منهم ، لا يرتفع لهم رأس ، ولا يمتد منهم طرف •

وكــذلك عــدل عن الفعلية الى الاسمية المؤكــدة في قولــه « إنا موقنون » أي انهم ثابتون على الايقان راغبون فيه بعد أن ظهرت لهم المغاب منادية عليهم بالويل والثبور •

الفوائــد :

التوكيد بأجمعين :

يجوز إذا أريد تقوية التوكيد أن يتبع كله بأجمع وكلها بجمعاء وكلهم بأجمعين وكلهن بجمع فتقول جاء الجنس كله أجمع والقبيلة كلها جمعاء والقوم كلهم أجمعون والنساء كلهن جمــع ، وقد يؤكد بهن وإن لم يتقدم كل نحو الآية المتقدمة وقوله « لأغوينهم أجمعين »•

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ومن مبتدأ وجملة كان صلة واسمها مستتر تقديره هو ومؤمناً خبرها وكمن خبر من وجملة كان صلة من الثانية وفاسقاً خبر كان وجملة لا يستوون مستأنفة لا موضع لها من الاعراب ويستوون فعل مضارع مرفوع وفاعل ومتعلقه محذوف أي في المآل ، وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعمّد الوقف على قوله فاسقاً ثم يبتدىء بقوله لا يستوون . قال الزجاج : جعل الاثنين جماعة حيث قال : لا يستوون ، لأجل معنى من ، وقيل لكون الاثنين أقل الجمع . (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون) أما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات معطوفة على الصلة داخلة في حيزها فلهم الفاء رابطة ولهم خبر مقدم وجنات المأوى مبتدأ مؤخر ، والمأوى المكان تلجأ إليه ويقال المأواة والمأوي ، ونزلاً حال من جنات المأوى أي حالة كونها مهيأة ومعدة

لهم ، والنزل بضمتين عطاء النازل ثم صار عاماً فاستعماله بمعنى الفندق لا غبار عليه بل لعله أولى بالنسبة للفنادق الرفيعة لأن الفندق كقنفذ هو الخان كما في القاموس ويقال فيه الفنتق ، قال ابن عباد هو خان السبيل لغة في الفنـدق وأنكره الخفاجي في شفاء الغليل قال شارح القاموس : « وهو ـ أي كلام الخفاجي ـ غير متجه فقد قال الفراء سمعت أعرابياً من قضاعة يقول فتق للفندق وهو الخان » ، وبما صفة لنزلاً وما مصدرية أو موصولية وكان واسمها وجملة يعملون خبرها . (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) الواو عاطفة وأما شرطية تفصيلية كما تقدم والغالب تكريرها وسيرد في باب الفوائد إلماع اليها والذين مبتدأ وفسقوا صلة والفاء رابطة ومأواهم النار ابتداء وخبر والجملة خبر الذين .

(كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيـدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط وقد تقدم القول في كلما كثيراً وأرادوا فعـل وفاعل والجملة مستأنفة لبيان كيفية مأواهم فيها وأن ومافي حيزها مفعول أرادوا ومنها متعلقان بيخرجوا وجملة أعيدوا لا محل لها وفيها متعلقان بأعيدوا وقيل عطف على أعيدوا والواو نائب فاعل ولهم متعلقان بقيل وجملة ذوقوا عذاب النار مقول القول والذي صفة للعذاب وجملة كنتم صلة وبه متعلقان بتكـذبون وجملة تكذبون خبر كنتم . (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العـذاب الأكبر لعلهم يرجعون) الواو عاطفـة واللام موطئة للقسم ونذيقنهم فعـل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعـل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ومن العذاب جار ومجرور متعلقان بنذيقنهم والأدنى صفة للعـذاب

والمراد بالأدنى عذاب الدنيا وما يستهدفون له من محن ونكبات ، ودون ظرف زمان بمعنى قبل متعلق بمحذوف حال والعذاب مضاف إليه والأكبر نعت والمراد بالأكبر عذاب الآخرة ولعل واسمها وخبرها وجملة الترجي حالية والمراد بها ترجي المخاطبين كما قال سيبويه في تفسيرها • (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون) كلام مستأنف مسوق لبيان حال من قابل النعمة بالإعراض والإشاحة عنها ومن اسم استفهام معناه النفي مبتدأ وأظلم خبر وممن متعلقان بأظلم وجملة ذكر صلة لمن وبآيات ربه متعلقان بذكر وثم حرف عطف وتراخ وأعرض عطف على ذكر وعنها متعلقان بأعرض وسيأتي معنى التراخي في باب البلاغة وإنا ان واسمها ومن المجرمين متعلقان بمنتقمون ومنتقمون خبر إن •

البلاغة :

١ ــ ذكرنا فيما سبق أن لحروف العطف أسراراً لا يدركها إلا المبين ، فلا يصح وضع بعضها موضع بعض للفوارق بينها ، وكلمة « ثم » خاصة بالاستبعاد والتطاول في المدة وقد ناسب ذكرها في قوله « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها » لأن الإعراض عن الآيات مع غاية وضوحها وإشراقها مستبعد في حكم البدائه الثابتة وموازين العقول الراجحة • وقد رمق الشعراء سماء هذه البلاغة فقال جعفر بن علبة الحارثي فيما يرويه ديوان الحماسة :

ولا يكشف الغمّاء إلا ابن حرّة
يرى غمرات الموت ثم يزورها

نقاسمهـــم أسيافنا شـــر قسمـــة

ففينا غواشيهـــا وفيهـــم صدورها

فقدشبه الداهيةالعماء بأمرمحسوس يغشي الناس ويغطيهم على طريق الاستعارة المكنية ، وقال ابن حرة ليكون حفزاً للسامع وتهييجاً له على خوض الهيجاء وغمرات الموت شدائده وأهواله ، والشاهد في قولـه ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها لأن بين رؤية الأهوال المفزعة وبين الانحـــدار اليها برغبة تشبه الرغبة في لقاء المحبوب بوناً بعيداً في العادة والعقـــل ، وشبه السيوف ممتدة متوسطة بينهم بشيء تجري فيه المقاسمة على طريق الاستعارة المكنية ثم فرع على تلك المقاسمة أن لهـم غواشيها أي ما يغشاهم منها وهي مقابضها أو لأنها زائدة على النصل فهي غاشية له ولأعدائه صدورها أي أطرافها المتقدمة منها وصدر كل شيء مقدمه ، وعبر بفي دون اللام لأن « في » تفيد مجرد اشتمال الاعداء عـــلى الصدور لدخولهـــا في أجسامهم واللام تفيد التملك وليس مراداً وإن كان مقتضى القسمة فلعله دفع توهمه بالعدول الى « في » وذكرها أولاً تمهيداً للثانية .

٢ ــ في قوله « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار » الآية ، فن من فنون البديع لم يذكره أحد من الذين كتبوا في فنون البديع ما عدا ابن أبي الإصبع وهو الشماتة ، وهو ذكر ما أصاب عدوك من آفات ومحن جزاء ما اقترفت يداه مع المبالغة في تصوير غمائه وما يتخبط به من أهوال وإظهار اغتباطك بما أصابه شماتة به وتشفياً منه ، وفي هذه الآية من ضروب التشفي والشماتة مالا يخفى ، وهو شائع في القرآن وفي الشعر ومنه قصيدة « فتح الفتوح » لأبي تمام .

الفوائـد :

عود على أمّا :

(أمّا) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف شرط وتوكيد وتفصيل غالباً ويدل على معنى الشرط مجيء الفاء بعدها غالباً ، ويدل على معنى التفصيل استقراء مواقعها وعطف مثلها عليها ، ولا بد لها من فاء تالية لتاليها إلا ان دخلت الفاء على قول قد طرح استغناء عنه بالمقول فيجب حذفها منه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ
وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ
ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن
كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا
هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

اللغـــة :

(الجرز) : يقال : جرزه الزمان : اجتاحه ، قال تبع :

لا تسقـــني بيديك إن لـــم ألقهــا
جـــرزاً كأن أشاءهــــا مجـــروز

وأرض مجروزة وقـد جُرزت : قطـع نباتهـا وأرض جُرُز وأرضون أجراز وسنون أجراز : جدبة ومفازة مِجْراز . قال الراعي :

وغبـراء مجـــراز يبيـت دليلهـــا
مشيحاً عليهـــا للفراقـــد راعيـــا

وسيف جُرَاز و « لن ترضـى شانئة إلا بجَرْزة » مثـل في العداوة وأن المبغض لا يرضى إلا باستئصال من يبغضه وضربه بالجُرْز وخرجوا بأيديهم الجرْزة وجاء بجُرْزة من قت وبجُرَز منه وهي الحزمة والعامة تستعمل هذه الكلمة كثيراً ولا غبار عليها كما ترى ، ومن المجاز رجـل جَرُوز : أكول لا يدع عـلى المائدة شيئاً ، وامرأة جارز : عاقر . وفي المختار : « أرض جُرُز وجُرْز كعسر لا نبات بها » أي قطع وأزيل بالمرة وقيـل هو اسم موضـع باليمن ، وفي المصباح : « الجرزة : القبضة من القت ونحوه أو الحزمة والجمـع جرز كغرفة وغرف وأرض جرز بضمتـــين قد انقطـع المـــاء عنها فهي يابسة لا نبات فيها .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم وانما اختار موسى لأن اليهود والنصارى كانوا مؤمنين به فتمسك بالمجمع عليه ليكون ألزم لإيقاع الحجة عليهم . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول لآيتنا والكتاب مفعول به ثان والفاء الفصيحة ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها ضمير مستتر تقديره أنت وفي مرية خبرها أي شك ومن لقائه صفة لمرية والضمير في لقائه يعود على موسى فيكون المصدر وهو لقاء مضافاً الى مفعوله أو على الكتاب وحينئذ تكون الاضافة للفاعل أي من لقاء الكتاب لموسى ، وهناك أقوال كثيرة في عودة الضمير ضربنا عنها صفحاً لتهافتها . (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على موسى والكتاب أيضاً وهدى مفعول به ثان ولبني إسرائيل متعلقان بهدى أو صفة له . (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وجعلنا عطف على جعلنا الأول ومنهم مفعول جعلنا الثاني وأئمة مفعول جعلنا الأول وجملة يهدون صفة لأئمة وبأمرنا حال ولما ظرف بمعنى حين متعلق بجعلنا أي جعلناهم أئمة حين صبروا وجواب لما محذوف دل عليه ما قبله والتقدير ولما صبروا جعلنا منهم أئمة وكانوا عطف على صبروا وبآياتنا متعلقان بيوقنون ويوقنون خبر كانوا (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) إن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ وجملة يفصل خبر إن أو خبر هو والجملة خبر إن وبينهم ظرف متعلق بيفصل ويوم القيامة متعلق بمحذوف حال

وفيما متعلقان بيفصل وجملة كانوا صلة وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون خبر كانوا •

(أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه السياق أي أغفلوا ولم يهد لهم أي يتبين ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويهد فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ما دل عليه « لم يهد » لأن كم لا تقع فاعلة والتقدير أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون ، ولك أن تقدره بهذا الكلام ، وكم خبرية في محل نصب مفعول به مقدم لأهلكنا ومن قبلهم حال من القرون ومن القرون حال أيضاً من كم وجملة يمشون إما أن تكون استئنافية مسوقة لبيان وجه هدايتهم وإما أن تكون حالاً من الضمير في لهم والتقدير يمشون أي يمرون في أسفارهم للتجارة على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم وفي مساكنهم متعلقان بيمشون • (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه أسلوب الحديث أي أصموا فلا يسمعون ولا نافية ويسمعون فعل مضارع مرفوع • (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر أيضاً ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعول يروا وان واسمها وجملة نسوق خبرها والماء مفعول به والى الارض متعلقان بنسوق والجرز نعت للأرض •

(فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)
فنخرج عطف على نسوق وفاعل نخرج ضمير مستتر تقديره نحن وبه متعلقان بنخرج وزرعاً مفعول به وجملة تأكل صفة لزرعاً ومنه متعلقان بتأكل وأنعامهم فاعل تأكل وأنفسهم عطف على أنعامهم والهمزة للاستفهام الانكاري ، فلا يبصرون تقدم إعراب نظيره • (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) كلام مستأنف مسوق للرد على استهزائهم فقد كانوا يسخرون من المسلمين الذين يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم فيقولون متى هذا الفتح ؟ ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والفتح بدل من اسم الاشارة وإن شرطية وكنتم كان واسمها في محل جزم فعل الشرط وصادقين خبر كان وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله• (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح مبتدأ وجملة لا ينفع خبره والذين كفروا مفعول ينفع المقدم وإيمانهم فاعل ينفع المؤخر والواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر وينظرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل أي يمهلون • (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) الفاء الفصيحة وأعرض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعنهم متعلقان بأعرض وانتظر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف تقديره النصر عليهم وإن واسمها ومنتظرون خبرها ومفعول منتظرون الذي هو اسم فاعل محذوف أيضاً تقديره النصر عليكم •

البلاغـة :

في قوله تعـالى « أولم يهد لهم كـم أهلكنا من قبلهم » الآية ، فن المناسبة . والمناسبة قسمان : إما مناسبة في المعاني وإما مناسبة في الألفاظ ؛ أما الأولى فهي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وقد مرت أمثلته في الأنعام والقصص وهـذه الآية ، فقد قال تعالى في صدرها أولم يهـد لهم وهي موعظـة سمعية لكونهم لم ينظروا الى القرون الهالكة وإنما سمعوا بها فناسب أن يأتي بعدها بقوله « أفـلا يسمعون » أما بعد الموعظـة المرئية وهي قوله « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » فقد ناسب أن يقول « أفلا يبصرون » لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله ، وأما المناسبة اللفظية فهي الاتيان بألفاظ متزنات مقفاة وغـير مقفاة ، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة وغير المقفاة مع الاتزان مناسبة ناقصة وشيوع هـذه في الكلام الفصيح أكثر لعـدم التكلف ولأن التقفية غير لازمة فيها فإن وقعت مندرجة في الكلام من غير تكلف ساغت وكانت آية في الجمال وستأتي أمثلتها في القرآن الكريم وسبق مثالها في قوله في يونس : « لهم شراب من حميم وعذاب أليم » ومن شواهد التامة في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه من الدعاء مما كان يرقي به الحسن والحسين« أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عـين لامّة » ولم يقـل ملمة وهي القياس لمكـان المناسبة ، ومما ورد من المناسبة اللفظيـة التامة قول ابن هانىء الأندلسي من أبيات :

وعوانس وقوانس وفوارس وكوانس وأوانس وعقـائل

ومن المناسبة اللفظية غير التامة :

مهـــا الوحش إلا أن هـــاتا أوانس

قنـــا الخط إلا أن تلك ذوابـــل

فقد ناسب بين مها وقنا مناسبة غـير تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل .

سُورَةُ الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن
قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ
ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ
فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

اللغــة :

(تظاهرون) : مضارع ظاهر ومصدره الظِهار بكسر الظاء وهو ــ كما في القاموس ــ قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي وقد ظاهر منهـا وتظهَّر وظهّر ، وخصوا الظهر دون غـيره لأنه موضع الركوب والمرأة مركوب الزوج ففي قول المظاهر أنت عليّ كظهر أمي كناية تلويحية لأنـه ينتقـل من الظهر الى المركوب ومن المركوب إلى المرأة لأنهـا مركوب الزوج فكأن الظاهر يقـول : أنت محرمة عليّ لا تركبين كتحريم ركوب أمي .

ومن المفيد أن نورد ما قاله الزمخشري في معنى أنت عليّ كظهر أمي قال : « أرادوا أن يقولوا أنت عليّ حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنـه حديث عمر رضي الله عنه : يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن إتيان المـرأة وظهرها الى السماء كان محرماً عنـدهم محظوراً وكان أهـل المدينة يقولون : إذا أتيت المرأة ووجههـا الى الارض جاء الولـد أحول فلقصد المطلق منهـم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنـع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك ظهر الأم » وأحكام الظهار مبسوطة في كتب الفقه .

(أدعياءكم) : جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ، فعيل بمعنى مفعول ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس لأن أفعلاء إنما يكون جمعاً لفعيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو تقي وأتقياء وغني وأغنياء ، وهذا وإن كان فعيلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى .

الاعراب :

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً) يا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب يا والهاء للتنبيه والنبي بدل واتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت ولفظ الجلالة : مفعول به ولا الواو حرف عطف ولا ناهية وتطع فعل مضارع مجزوم بلا وفاعل تطع ضمير مستتر تقديره أنت والكافرين مفعول به والمنافقين عطف على الكافرين وجملة إن الله تعليل للأمر والنهي لا محل لها وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وعليماً خبر كان الأول وحكيماً خبرها الثاني • (واتبع ما يوحى اليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً) واتبع عطف على اتق وما مفعول به وجملة يوحى صلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واليك متعلقان بيوحى ومن ربك حال وجملة إن الله تعليل للأمر أيضاً وقد تقدم اعرابها قريباً •

(وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) عطف على ما تقدم وعلى الله متعلقان بتوكل وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلاً ووكيلاً تمييز وأجازوا إعرابه حالاً • (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) كلام مستأنف مسوق للرد على مزاعم المشركين بأن لبعضهم قلبين فهو أعقل من محمد وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد• وما نافية وجعل الله فعل وفاعل ولرجل متعلقان بمحذوف مفعول جعل الثاني أو بنفس جعل وقلبين مفعول جعل محلاً مجرور بمن الزائدة لفظاً وفي جوفه صفة لقلبين • (وما جعل أزواجكم اللائي

تظاهرون منهن أمهاتكم) الواو عاطفة وما نافية وجعل فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله وأزواجكم مفعول جعل الأول واللائي اسم موصول صفة وجملة تظاهرون صلة ومنهن متعلقان بتظاهرون وإنما عدي بمن لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل متباعدين من نسائهم بسبب الظهار ، وأمهاتكم مفعول جعل الثاني • (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) عطف على ما تقدم وأدعياءكم مفعول جعل الاول وأبناءكم مفعول جعل الثاني وستأتي قصة زيد بن حارثة في باب الفوائد ، وذلكم مبتدأ والاشارة للنسب وقولكم خبر وبأفواهكم حال أي كائناً بأفواهكم فقط من غير أن تكون له حقيقة •

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) الواو للحال أوللاستئناف والله مبتدأ وجملة يقول خبر والحق صفة لمصدر محذوف أي القول الحق وهو مبتدأ وجملة يهدي السبيل خبر والسبيل منصوب بنزع الخافض أو مفعول ثان ليهدي كما تقدم • (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) كلام مستأنف لبيان أن نسبة كل مولود الى والده أقوم وأعدل . وادعوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ولآبائهم متعلقان بادعوهم وهو مبتدأ وأقسط خبر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال. (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلموا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعله وآباءهم مفعوله ، فإخوانكم الفاء رابطة للجواب وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف أي فهم اخوانكم وفي الدين حال ومواليكم عطف على اخوانكم أي أبناء عمومتكم ، والمولى يطلق على عدة معان منها ابن العم •

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وفيما صفة لجناح وجملة أخطأتم صلة وبه متعلقان بأخطأتم • (ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه خفف وما عطف على ما في قوله فيما فمحله الجر ، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي تؤاخذون به أو عليكم الجناح فيه وجملة كان الله حالية أو استئنافية •

الفوائـد :

اشتملت هـذه الآيات عـلى فوائد كثيرة نوردها فيما يلي على سبيل الاختصار ونحيل من أراد المزيد منها على المطولات •

١ ـ معنى ولا تطع الكافرين والمنافقين :

قال الزمخشري : « لا تساعدهم عـلى شيء ولاتقبل لهم رأياً ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعـداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارّة والمضادّة ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظـة والنضـير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلـين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت » وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمـة بن أبي جهـل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه فنزلوا عـلى عبـد الله بن أبيّ رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبـد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمـة بن

أبيرق فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب : أرفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربّك فشقّ ذلك عـلى النبي فقال عمر : يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال : إني أعطيتهم الأمان فقال عمر : اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي أن يخرجوا من المدينة •

٢ ــ معنى جمع القلبين :

قام النبي صـلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة فقـال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترى أن له قلبين : قلباً معكم وقلباً معهم ، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال : كان رجل من قريش يسمى ذا القلبـين يقول : لي نفس تأمرني ونفس تنهـاني فأنزل الله فيه ما تسمعون • وروي أنه وجد من المشركين من ادعى أن له قلبين يفهم بكل منهما أو يعقل أفضل من عقل محمد وانه هو أو غيره كان يدعى ذا القلبين وأن الآية ردت هـذا الزعم كما أبطلت مزاعـم التبني والظهار من ضلالات العرب ومعنى القلب اللحمي غير مراد على كل حال •

هذا ويطلق لفظ القلب اسماً لمضغـة من الفؤاد معلقة بالنياط أو بمعنى الفؤاد مطلقاً ، ويقول بعضهم : ان القلب هو العلقة السوداء في جوف هذه المضغة الصنوبرية الشكل المعروفة كأنه يريد أن هذا هو الأصل ثم جعله بعضهم اسماً لهذه المضغة وبعضهم توسع فسمى هذه اللحمة كلها حتى شحمها وحجابها قلباً ويطلق اسماً لما في جوف الشيء وداخله واسماً لشيء معنوي وهو النفس الانسانية التي تعقل وتدرك وتفقـه وتؤمن وتكفر وتتقي وتزيـغ وتطمئن وتلين وتقسو وتخشى وتخاف ، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن ، والأصل في هذا أن أسماء الاشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الاشياء الحسية

وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الانسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء ، عدة أسماء منها القلب والروح والنفس واللب ، وهناك مناسبة أخرى للقلب وهي أن قلب الحيوان هو مظهر حياته الحيوانية ومصدرها وللوجدانات النفسية والعواطف تأثير في القلب الحسي يشعر به الانسان ومهما كانت المناسبة التي كانت سبب التسمية فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة التي يموت الانسان بخروجها منه قال تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » أي الارواح لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها وقال « فتكون لهم قلوب فيعقلون بها » أي نفوس وأرواح وليس المراد أن القلب الحسي آلة العقل وقال « نزل به الروح الأمين على قلبك » أي على نفسك الناطقة وروحك المدركة وليس المراد بالقلب هنا المضغة اللحمية ولا العقل ، لأن العقل في اللغة ضرب خاص من ضروب العلم والادراك ولا يقال ان الوحي نزل عليه ولكن قد تسمى النفس العاقلة عقلاً كما تسمى قلباً ، وقد يعزى الى القلب ويسند اليه ما هو من أفعال النفس أو انفعالاتها التي يكون لها أثر في القلب الحسي كقوله تعالى : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وقوله : « ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم » وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » .

وقد افتتحت السورة بالأمر بتقوى الله والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي المنزل خاصة وجاء بعد ذلك قوله تعالى « ما جعل الله لرجل من قلبين » فكان المراد منه أن الانسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين وهما ابتغاء مرضاة الله وابتغاء مرضاة الكافرين والمنافقين بل له قلب واحد إذا صدق في التوجه الى شيء لا يمكنه أن يتوجه الى ضده بالصدق والاخلاص

فيكون في وقت واحد مخلصاً لله ومخلصاً لأعداء دينه ، ومن هـذا الباب قول الشاعر وقد رمق سماء هذا المعنى :

لو كان لي قلبـان عشت بواحـد
وتركت قلبـاً في هواك يعـذب

وخلاصة القول أن أشـد ما ذكر فيه من التأويلات انهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة كجعل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات وهـذه الأمور الثلاثة متنافية ، أمـا الأول فإنه يلزم مـن اجتماع القلبـين قيام أحـد المعنيين بأحدهما وضـده في الآخر وذلك كالعلم والجهل والأمن والخوف وغير ذلك ، وأما الثاني فلأن الزوجة في مقام الامتهان والأم في محل الاكرام فنافى أن تكون الزوجة أماً ، وأما الثالث فلأن البنوّة أصالة وعراقة في النسب والـدعوة لاصقـة عارضة به فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتمـاع القلبـين فيه حتى يبادره السامع بالانكار .

هذا وقد قال تعالى هنا « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وقـال في موضـع آخر : « رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً » فاستعمل الجوف في الأولى والبطن في الثانية ولـم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء في الدّلالة وهما ثلاثيتان في عدد واحـد ووزنهما واحـد أيضاً فانظر الى سبك الألفاظ كيف يفعل فعله ؟

٣ ـ قصة زيد بن حارثة :

أجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » أنزل في زيد بن حارثة ، وكان من أمره ماروواه أنس بن مالك وغيره أنه سبي صغيراً فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما رسول الله : خيّراه فإن اختراكما فهو لكما دون فداء فاختار زيد الرق مع رسول الله على حريته فقال النبي عند ذلك : يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني ، ولما تزوج النبي زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فكذبهم الله في ذلك وسترد القصة مع مناقشتها قريباً في هذه السورة .

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

الاعراب :

(النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) النبي مبتدأ وأولى بالمؤمنين خبر ومن أنفسهم متعلقان بأولى أيضاً . (وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الواو عاطفة وأزواجه مبتدأ وأمهاتهم خبر وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة وأولو الأرحام مبتدأ أيضاً والأرحام جمع رحم وهي القرابة وبعضهم مبتدأ ثان أو بدل من أولو وأولى ببعض خبر ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي بإرث بعض وفي كتاب الله متعلقان بأولى أو بمحذوف حال من الضمير في أولى ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان بأولى أيضاً أي الأقارب بعضهم أولى بإرث بعض من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب ولك أن تعلقها بمحذوف على أنها حال لأنها بمثابة البيان لقوله أولو الأرحام . (إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً) إلا أداة استثناء وأن تفعلوا مصدر مؤول مستثنى من أعم العام لأنه استثناء من غير الجنس أي إلا في الوصية وهي المعنية بفعل المعروف والى أوليائكم متعلقان بتفعلوا بعد تضمينها معنى تؤدوا أو تسدوا ومعروفاً مفعول به وكان واسمها ومسطوراً خبرها وفي الكتاب متعلقان بمسطوراً . (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) الظر فمتعلق بمحذوف أي اذكر والكلام مستأنف ولك أن تعطفه على محل في الكتاب فيتعلق بمسطوراً والأول أولى وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها ومن النبيين متعلقان بأخذنا وميثاقهم مفعول به والمراد به تبليغ الرسالة وما بعده عطف على من النبيين من عطف الخاص على العام كما سيأتي في باب البلاغة .

(وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عطف على أخذنا السابقة وسيأتي سر وصف الميثاق بالغلظ في باب البلاغة . (ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً) اللام للتعليل ويسأل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بأخذ على طريق الالتفات وفاعل مستتر يعود على الله والصادقين مفعول به وعن صدقهم متعلقان بيسأل وأعد للكافرين عطف على أخذنا من النبيين وللكافرين متعلقان بأعد وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

البلاغة :

١ ـ التشبيه البليغ :

في قوله « وأزواجه أمهاتهم » تشبيه بليغ ووجه الشبه متعدد يتعلق ببعض الأحكام وهي : وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن ولذلك قالت عائشة : « لسنا أمهات النساء » تعني أنهن إنما كنّ أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم ولهذا كان لا بد من تقدير أداة التشبيه فيه .

٢ ـ عطف الخاص على العام :

وفي قوله « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك » الآية ، عطف الخاص على العام لأن هؤلاء الخمسة المذكورين هم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل فآثرهم بالذكر للتنويه بإنافة فضلهم على غيرهم ، وقدم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم مع أنه مؤخر عن نوح ومن بعده لأنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لهذا السبب لا لأن التقديم في الذكر مقتض لكونه أفضلهم ، فقد ورد في الشعر قوله :

بها ليل منهم جعفر وابن أمــه ... علي ومنهم أحمد المتخـــير

فأخر ذكر النبي ليختم به تشريفاً •

٣ ــ الاستعارة المكنية :

وفي وصف الميثاق بالغلظ استعارة مكنية ، شبّه الميثاق بجرم محسوس واستعار له شيئاً من صفــات الأجرام وهو الغلظ للتنويه بعظم الميثاق وجلاله وهو المعني بقولــه تعــالى « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية •

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ
وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

اللغـــة :

(الحناجر) : جمع حنجرة وهي الحلقوم أو رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم وعبارة الزمخشري : « قالوا : إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة ».

(زلزالاً) : بكسر الزاي وهي القراءة العامـــة ويجوز فتحها إذ هما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال نحو زلزال وقلقال وصلصال ، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل •

(يثرب) : في القاموس : « يثرب وأثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يثربي وأثربي بفتح الراء وكسرها فيهما » قيل سميت باسم رجل من العمالقـــة كان نزلها في قديم الزمان وقيل يثرب اسم لنفس المدينة وقد نهى النبي أن تسمى بهذا الاسم لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ فذكروها بهذا الاسم مخالفة للنبي وفي المختار: التثريب التعيير والاستقصاء في اللوم وثرب عليه تثريباً قبح عليه فعله •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) اذكروا فعل أمر وفاعل ونعمة الله مفعول به وعليهم متعلقان بنعمة أو بمحذوف حال وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا فهو بمثابة

بدل الاشتمال من نعمة الله والمراد بنعمة نصره في غزوة الاحزاب وسيأتي حديثها في باب الفوائد وجملة جاءتكم جنود في محل جر بإضافة الظرف اليها . (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) فأرسلنا عطف على جاءتكم وعليهم متعلقان بأرسلنا وريحاً مفعول به وجنوداً عطف على ريحاً وجملة لم تروها صفة لجنوداً وكان الله كان واسمها وبما متعلقان ببصيراً وجملة تعملون صلة وبصيراً خبر كان . (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) الظرف بدل من إذ جاءتكم وجملة جاءوكم مضاف اليها ومن فوقكم متعلقان بجاءوكم ومن أسفل منكم عطف على من فوقكم .

(وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) عطف على إذ السابقة وكذلك بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا والظنونا مفعول مطلق والألف مزيدة تشبيهاً للفواصل بالقوافي وسيأتي سر الجمع مع أقوال النحاة في جمع المصدر في باب الفوائد .

(هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية واللام للبعد والكاف للخطاب وهو متعلق بابتلي ويجوز أن يكون ظرف زمان وابتلي فعل ماض مبني للمجهول والمؤمنون نائب فاعل وزلزلوا عطف على ابتلي والواو نائب فاعل وزلزالاً مصدر مبين للنوع وشديداً صفة . (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) الظرف متعلق باذكر محذوفاً وجملة يقول في محل جر بإضافة الظرف اليها والذين عطف على المنافقون وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر وجملة ما وعدنا مقول القول والله فاعل ورسوله عطف عليه

وإلا أداة حصر وغروراً صفة لمفعول مطلق محذوف أي إلا وعد غرور (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) عطف على ما تقدم وقالت طائفة فعل وفاعل ومنهم صفة لطائفة ويا حرف نداء وأهل يثرب منادى مضاف ويثرب منعت من الصرف للعلمية ووزن الفعل وفيها التأنيث أيضاً ولا نافية للجنس ومقام اسمها المبني على الفتح ولكم خبرها ومقام بضم الميم وفتحها أي لا إقامة ولا مكانة ، فارجعوا الفاء الفصيحة أي إن سمعتم نصحي فارجعوا والقائل هو أوس بن قيظي بكسر الظاء من رؤساء المنافقين •

(ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) ويستأذن الواو استئنافية ويستأذن فريق فعل مضارع وفاعل ولك أن تعطف على ما تقدم فتكون صيغة المضارع لاستحضار الصورة ومنهم صفة لفريق والنبي مفعول به وجملة يقولون حالية أو مفسرة ليستأذن وهو قول جميل وجملة إن وما في حيزها مقول القول وإن واسمها وخبرها والمراد بعورة الخلل الذي يجعلها مستهدفة للعدو لأنها تكون غير حصينة والواو للحال وما نافية حجازية وهي اسمها والباء حرف جر زائد وعورة مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما وإن نافية ويريدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإلا أداة حصر وفراراً مفعول به •

الفوائـد :

١ ــ غزوة الأحزاب :

كانت غزوة الأحزاب في شوال سنة أربع وقيل سنة خمس المصادف لآذار سنة ٦٢٧ م حيث تحرك الى المدينة جيش مؤلف من

حوالي عشرة آلاف رجل بينهم أربعة آلاف قرشي بقيادة أبي سفيان وكانت حركة هذا الجيش سريعة فوق العادة ، هذه المرة ، وسببها فيما يذكر المؤرخون انه لما وقع اجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم بينهم حيي بن أخطب سيدهم الى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلاً وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم قالت قريش لأولئك اليهود : يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أنتم على الحق وفي موقف اليهود هذا من قريش وتفضيلهم وثنيتهم على محمد يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه « تاريخ اليهود في بلاد العرب » : « كان من واجب هؤلاء اليهود أن لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدّى بهم الأمر الى عدم إجابة مطلبهم لأن بني إسرائيل الذين كانوا منذ عدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من أدوار التاريخ كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف منهم موقف الخصومة » .

تحريض القبائل وتأليبها :

لم يكف حيي بن أخطب واليهود الذين معه هذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتها على توحيد محمد حتى تنشط لمحاربته بل

خرج أولئك اليهود الى غطفان من قيس عيلان ومن بني مرة ومن بني فزارة ومن أشجع ومن سليم ومن بني سعد ومن أسد ومن كل من لهم عند المسلمين ثأر وما زالوا يحرضونهم على الأخذ بثأرهم ويذكرون لهم متابعة قريش إياهم على حرب محمد ويحمدون لهم وثنيتهم ويعدونهم النصر لا محالة وخرجت الأحزاب التي جمع اليهود لحرب محمد وأصحابه .

ما عسى أن يصنع المسلمون لمقابلة الألوف المؤلفة من رجال وخيل وإبل وأسلحة وذخيرة ؟ لم يكن لهم غير التحصن بيثرب العذراء سبيل ولكن ؟ ! أفيكفي هذا التحصن أمام تلك القوة الساحقة ، وكان سلمان الفارسي يعرف من أساليب الحرب ما لم يكن معروفاً في بلاد العرب فأشار بحفر الخندق حول المدينة وتحصين داخلها وسارع المسلمون الى تنفيذ نصيحته فحفر الخندق وعمل فيه النبي بيده فكان يرفع التراب ويشجع المسلمين بذلك أعظم تشجيع ، وأقبلت قريش وأحزابها وهي ترجو أن تلقى محمداً بأحد فلم تجد عنده أحد فجاوزته الى المدينة حتى فاجأها الخندق فعجبت إذ لم تتوقع هذا النوع من الدفاع المجهول منها وبلغ منها الغيظ حتى زعمت الاحتماء وراءه جبناً لا عهد للعرب به ورأت قريش والاحزاب معها أن لا سبيل الى اجتياز الخندق فاكتفت بتبادل الترامي بالنبال عدة أيام .

وأيقن أبو سفيان والذين معه أنهم مقيمون أمام يثرب وخندقها طويلاً دون أن يستطيعوا اقتحامها وكان الوقت آنئذ شتاء قارصاً برده ، عاصفة رياحه ، يخشى في كل وقت مطره ، وإذا كان يسيراً أن يحتمي أهل مكة وأهل غطفان من ذلك كله بمنازلهم في مكة وفي غطفان فالخيام التي ضربوا أمام يثرب لا تحميهم منه فتيلاً وهم بعد

جاءوا يرتجون نصراً ميسوراً لا يكلفهم غير يوم كيوم أحد ثم يعودون أدراجهم ويستمتعون باقتسام الغنائم والأسلاب ، وماذا عسى يسك غطفان على أن تعود أدراجها وهي إنما اشتركت في الحرب لأن اليهود وعدتها متى تم النصر ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر وحدائقه وهذه هي ترى النصر غير ميسور أو هو على الأقل غير محقق وهو يحتـاج من المشقة في هـذا الفصـل القارص الى ما ينسيها الثمار والحدائق .

فأما انتقام قريش لنفسها من بدر ومما لحقها بعد بدر من هزائم فأمره مدرك على الأيام ما دام هذا الخندق يحول دون إمساك محمد بالتلابيب وما دامت بنو قريظة تمد أهل يثرب بالمئونة مدداً يطيل أمد مقاومتهم شهوراً وشهوراً ، أفليس خيراً للأحزاب أن يعودوا أدراجهم؟ بلى ولكن جمع هذه الاحزاب لحرب محمد مرة أخرى ليس بالميسور ، وإن انتصر محمد بانسحاب الأحزاب فالويل لليهود ، قدر حيي بن أخطب هذا كله وخاف مغبّته ورأى أن لا مندوحة له عن أن يغامر بآخر سهم عنده فأوحى الى الاحزاب انه مقنع بني قريظة بنقض عهد موادعتهم محمداً والمسلمين وبالانضمام اليهم ، وان قريظة متى فعلت ذلك انقطع المدد والميرة عن محمـد من ناحية وفتح الطريق لدخول يثرب من الناحية الأخرى ، وسارع هو فذهب يريـد كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وما زال به حتى فتح باب الحصن وقال له : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام : جئتك بقريش وبغطفان وقد عاهدوني عـلى أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمـداً ومن معه ، وتردّد كعب وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده وخشي مغبة ما يدعوه حيي إليه ، بيد أن حيياً ما زال به يذكر له ما أصاب اليهود من محمد

وما يوشك أن يصيبهم منه إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه حتى لان كعب له فسأله : وماذا يكون إذا ارتدت الأحزاب ؟ هناك أعطاه حيي موثقاً إن رجعت غطفان وقريش ولم يصيبوا محمـداً أن يدخل معـه في حصنه فيشد أزره ويشاركه حظـه وتحركت في نفس كعب يهوديته فقبل ما طلب حيي ونقض عهده مع محمد والمسلمين وخرج عن حياده .

وسمت روح الأحزاب المعنويـة حتى دفعت بعض فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب أن يقتحموا الخندق فتيمموا مكاناً منه ضيقاً فضربوا خيلهم فأجتازت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهـم الثغرة التي اقتحموا منهـا خيلهم وتقدم عمرو بن عبـدود ينادي من يبارز ؟ ولما دعـاه علي بن أبي طالب الى النزال قال في صلف : ارجع يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال علي : لكني والله أحب أن أقتلك فتنازلا فقتله علي وفرت خيل الأحزاب منهزمة حتى اقتحمت الخندق من جديد مولية الأدبار لا تلوي على شيء .

وأعظمت الأحزاب نيرانها مبالغة في تخويف المسلمين واضعافاً لروحهم وبدأ المتحسسون من قريظة ينزلون من حصونهم وآطامهم الى المدينة ومنازلها القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها، كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء والصبيان فمر بهم يهودي فقالت صفية مخاطبة حسان : إن هذا اليهودي يطيف بالحصن فانزل إليه واقتله ، قال حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا فأخذت صفية عموداً ونزلت من الحصن

وضربت به اليهـودي حتى قتلته فلما رجعت قالت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه إلا انه رجـل ، قال حسان مالي الى سلبه من حاجة .

وظل أهل المدينة في فزعهم بينا جعل محمد صلى الله عليه وسلم يفكر في الوسيلة للخلاص ولم تكن الوسيلة مواجهة العـدو بطبيعة الحيلة فلتكن الحيلة وليكن الرأي والتدبير فبعث الى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هي ارتحلت وكانت غطفان قد بدأت تمل فأظهرت امتعاضاً من طول هذا الحصار وما لقوا من العنت أثناءه ، ولما كان الليل عصفت ريح شديدة وهطل المطر هاتناً وقصف الرعد واشتدت العاصفة فاقتلعت خيام الاحزاب وأدخلت الرعب الى نفوسهم وخيل إليهم أن المسلمين بدءوهم بشر فقـام طليحـة بن خويلة فنادى : أن محمد قد بدأكم بشر فالنجاة ، وقال أبو سفيان يا معشر قريش : إنكم والله ما أصبحتم بدار مقـام لقـد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا إني مرتحل ، فاستخف القوم ما استطاعوا من متاع وانطلقوا وتبعتهم غطفان حتى إذا كان الصبح لم يجد محمد منهم أحداً فانصرف راجعاً الى المدينة والمسلمون معه يرفعون أكف الضراعـةُ شكراً أن رفع الله الضر عنهم وأن كفى الله المؤمنين شر القتال وحين انجلى الاحزاب قال رسول الله : الآن نغزوهم ولا يغزونا والبقية في السير والمطولا ت.

٢ ـ هل يثنى المصدر ويجمع ؟

المصدر المؤكد لعامله لا يثنى و لايجمع باتفاق فلا يقال ضربت ضـربين ولا ضربت ضروباً لأنه اسم جنـس مبهم والمصـدر المبهم

لا يتأتى فيه ضمه الى شيء آخر لأنه يدل على مجرد الحقيقة والحقيقة من حيث هي حقيقة تدل على القليل والكثير فلم يبق شيء يضم اليها فتصح فيها التثنية والجمع وهذا أمر عقلي وإنما جاز تثنية المصدر المختوم بالتاء وجمعه لأنه بدخول التاء صار يدل على مرة واحدة من ذلك المصدر فيصح ضمه الى ما المرة الواحدة منه فيثنى ويجمع ، واختلف في المصدر النوعي والمشهور الجواز فيقال ضربت ضربين ضربا عنيفاً وضرباً رفيقاً وضربت ضروباً مختلفة ، وظاهر مذهب سيبويه المنع وانه لا يقال منه إلا ما سمع ، واحتج المجيز بمجيئه في الفصيح كقوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » قالوا : وانما جمع الظن لاختلاف أنواعه لأن من خلص إيمانه ظن أن ما وعدهم الله به من النصر حق ومن ضعف إيمانه اضطرب ظنه ومن كان منافقاً ظن أن الدائرة تكون على المؤمنين فأخلفت ظنونهم ، والى ذلك أشار ابن مالك بقوله في الخلاصة :

وما لتوكيد فوحد أبدا   وثنّ واجمع غيره وأفردا

٣ ــ اختلف القراء في هذه الألف في الظنونا فأثبتها وصلاً ووقفاً نافع وابن عامر وأبو بكر ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو والكسائي وتمسّكوا بخط المصحف العثماني وجميع المصاحف في جميع البلدان ، فإن الألف فيها كلها ثابتة واختار هذه القراءة أبو عبيد إلا أنه قال : لا ينبغي للقارىء أن يدرج القراءة بعدهن بل يقف عليهن ، وتمسكوا أيضاً بما في أشعار العرب من مثل هذا ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والجحدري ويعقوب بحذفها في الوصل والوقف معاً وقالوا هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما في الشعر فهو يجوز فيه للضرورة مالا يجوز في غيره ، وقرأ ابن كثير

والكسائي وابن محيص باثباتها وقفاً وحذفها وصلاً وهــذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الألف هي التي تسميها النحاة ألف الاطلاق والكلام فيها معروف وهكــذا اختلف القراء في الألف التي في قوله : الرسولا والسبيلا كما سيأتي في آخر هذه السورة .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

الاعراب :

(ولو دُخلت عليهــم من أقطارهــا ثم سئلوا الفتنة لأتوها) الواو عاطفة ودخلت فعــل ماض مبني للمجهول وعليهم متعلقان به ونائب الفاعل مستتر أي المدينة أو بيوتهم ومن أقطارها حال أي من جميــع جوانبها وثم حرف عطف وتراخ وسئلوا فعــل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعــل والفتنة مفعول به ثان لسئلوا والمــراد بالفتنة الردة والرجعة الى الكفر واللام واقعة في جواب لو وآتوها فعل

وفاعل ومفعول به والجملة لامحل لها . (وما تلبّثوا بها إلا يسيراً) الواو عاطفة وما نافية وتلبثوا فعل ماض وفاعل وبها متعلقان بتلبثوا وإلا أداة حصر ويسيراً نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً أو ظرف زمان . (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولاً) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها وجملة عاهدوا خبرها ولفظ الجلالة مفعول به ومن قبل متعلقان بعاهدوا وجملة يولون الأدبار لا محل لها لأنها جواب للقسم والأدبار مفعول به ثان ليولون والمفعول الاول محذوف أي لا يولون العدو الأدبار والواو عاطفة وكان واسمها وخبرها أي مطلوباً .

(قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً) لن حرف نفي ونصب واستقبال وينفعكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به والفرار فاعل وإن حرف شرط جازم يجزم فعلين وفررتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله ومن الموت متعلقان بفررتم وإذن حرف جواب وجزاء مهمل لوقوعه بعد عاطف كما هو الغالب عليه ولا نافية وتمتعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلا أداة حصر وقليلاً نعت لمصدر محذوف أي إلا تمتيعاً قليلاً أو صفة لظرف محذوف أي إلا زماناً قليلاً فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً أو ظرف زمان . (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) من اسم استفهام مبتدأ وذا اسم اشارة في محل رفع خبر والذي بدل وجملة يعصمكم من الله صلة وإن شرطية وأراد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه

ما قبله أي فمن ذا الذي يعصمكم وسوءاً مفعول به أو أراد بكم رحمة عطف على ما تقدم ولا بد من تقدير محذوف أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة . (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) الواو استئنافية أو حالية ولا نافية ويجدون فعل وفاعل ولهم في محل نصب مفعول ثان ليجدون ومن دون الله حال ووليا مفعول به أول ولا نصيراً عطف على ولياً .

* قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(المعوقين): المثبطين الذين كانوا يخذلون المسلمين وفي الأساس: « وعاقه واعتاقه وعوقه « قد يعلم الله المعوّقين منكم » وتقول : فلان صحبه التعويق فهجره التوفيق، ورجل عُوقة : ذو تعويق وتريبث عن الخير وتقول : يا من عن الخير يعوق، إن أحق أسمائك أن تعوق ».

(أشحة) جمع شحيح وهو البخيل والحريص وهو جمع غير مقيس لأن قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد أن تجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلاء وظنين وأظناء وقد سمع أشحاء وهو القياس •

(سلقوكم) : آذوكم أو ضروكم وفي المختار : « سلقه بالكلام آذاه وهو شدة القول باللسان قال تعالى : « سلقوكم بألسنة حداد » وسلق البقل أو البيض أغلاه بالنار إغلاءة خفيفة وباب الكل ضرب » وفي المصباح أنه من باب قتل أيضاً وعبارة الراغب : « السلق بسط بقهر إما باليد أو باللسان ويؤخذ من القاموس واللسان : سلق يسلق من باب قتل البيض أو البقل أغلاه بالنار وطبخه بالماء ، وسلقه بالكلام: آذاه ومنه سلقه بألسنة حداد ، وسلقه بالرمح طعنه وسلقه بالسوط ضربه الى أن نزع جلده ، وسلق اللحم عن العظم قشره ، ويجوز أن يكون الكلام مجازياً كما سيأتي في باب البلاغة وعلى كل حال فالعامة تستعمل هذه الكلمة استعمالاً لا غبار عليه •

الاعراب :

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا) كلام مستأنف مسوق لتصوير حال المنافقين ، وقد حرف تكثير وأصله للتقليل إذا دخل على فعل المضارع وقد تقدم بحثه ، ويعلم الله المعوقين فعل وفاعل ومفعول به ومنكم حال والقائلين عطف على المعوقين ولإخوانهم متعلقان بالقائلين وهلم اسم فعل أمر والينا متعلقان به وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة ويستعمل لازماً كما هنا ومتعدياً كما في الأنعام وقد تقدم القول فيه • (ولا يأتون البأس

إلا قليلاً) الواو حالية ولا نافية ويأتون البأس فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به أي القتال وإلا أداة حصر وقليلاً مفعول مطلق أو ظرف زمان . (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك) أشحة حال من فاعل يأتون أو منصوب على الذم بفعل محذوف تقديره أذم وعبارة الزمخشري : « أشحة عليكم : في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عندالخوف» فإذا الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء الخوف في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة رأيتهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة ينظرون اليك حال لأن الرؤية هنا بصرية واليك متعلقان بينظرون .

(تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) جملة تدور أعينهم حال من فاعل ينظرون وهو الواو وكالذي نعت لمصدر محذوف أي تدور دوراناً كدوران عين الذي ، فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين ، وجملة يغشى صلة الذي ويغشى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مصدر مختص بلام العهد أو بصفة محذوفة والمعنى ويغشى الغشيان المعهود وعليه متعلقان بيغشى ويجوز أن يكون نائب الفاعل هو الجار والمجرور وقد تقدم بحث ما ينوب عن نائب الفاعل فجدد به عهداً . (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذهب الخوف في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة سلقوكم جواب شرط غير جازم لا محل لها وبألسنة متعلقان بسلقوكم وحداد نعت لألسنة . (أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) أشحة نصب على الحال أو على الذم كما تقدم وعلى الخير

متعلقان بأشحة أي عـلى الغنيمة يطلبونها وأولئك مبتـدأ وجملة لم يؤمنوا خبر ، فأحبط عطف على لم يؤمنوا والله فاعل وأعمالهم مفعول به وكان الواو حالية أو استئنافية وكان واسمها وخبرها وعلى الله حال والاشارة للاحباط والمعنى أن أعمالهم جديرة بالاحباط لا يصرف عنه صارف وليس هو بالأمر الصعب العسير •

البلاغـة :

١ ــ فن التنديد :

في قوله « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه الموت » فن ألمـع اليه صاحب نهايـة الأرب وابن أبي الاصبع وهو فن « التنديد » وحدّه أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستطرفة وهو يقع في الجد والهزل فهو لا يدخل في نطـاق التهكم ولا في نطاق فن الهزل الذي يراد به الجد ويجوز أن يدخل في نطاق باب المبالغة وذلك واضح في مبالغته تعالى في وصف المنافقين بالخوف والجبن حيث أخبر عنهم أنهـم تدور أعينهم حالة الملاحظـة كحالة من يغشى عليه من الموت ولو اقتصر على قوله كالذي يغشى عليه من الموت لكان كافياً بالمقصود ولكنه زاد شيئاً بقوله « من الموت » إذ أن حالة المغشي عليه من الموت أشد وأنكى من حالة المغشي عليه من غير الموت ولو جاء سبحانه في موضع الموت بالخوف لكان الكلام بليغاً لامحالة غير أن ما جاء في التنزيل أبلغ وهو مع ذلك خارج مخرج الحق متنزل منزلة الصـدق فإن من كان قوي النفس شجاع القلب لا يرضى بالنفاق بل يظهر ما يبطنه الخائف لأنه لا يبالي بالموت •

٢ ـ الاستعارة المكنية :

وذلك في قوله « سلقوكم بألسنة حداد » فقد شبه اللسان بالسيف ثم حذف المشبه به واستعار شيئاً من خصائصه وهو الضرب وهذه الاستعارة تتأتى على تفسير السلق بالضرب والحامل عليه وصف الألسنة بالحداد كما تقدم في باب اللغة .

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

اللغـــة :

(بادون) : جمع باد وهو ساكن البادية يقال : لقد بدوت يا فلان أي نزلت البادية وصرت بدوياً وما لك والبداوة ؟ وتبدّى الحضري ، ويقال : أين الناس ؟ فتقول : لقد بدوا أي خرجوا الى البدو وكانت لهم غنيمات يبدون اليها .

(الأعراب) : قال في القاموس وشرحه : العُرْب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الأمصار أو عام والأعراب

منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعربة صُرَحاء ومتعربة ومستعربة دخلاء ٠

الاعراب :

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) الكلام مستأنف مسوق لتصوير خوفهم ولك أن تجعله حالاً من أحد الضمائر المتقدمة أي هم من الخوف بمثابة من لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم وتخلوا عن نصرتهم ٠ ويحسبون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والأحزاب مفعول به أول وجملة لم يذهبوا مفعول به ثان وإن الواو عاطفة وإن شرطية ويأت فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والأحزاب فاعل ويودوا جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون ولو مصدرية ، ولو وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يودوا أي يتمنون لخوفهم مما منوا به آشرتهم خارجين الى البدو ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف تقديره يودوا لو ثبت أنهم بادون، وسيأتي مزيد بحث عن لو المصدرية في باب الفوائد ، وأن واسمها وبادون خبرها وفي الأعراب متعلقان ببادون أو بمحذوف حال ٠ (يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً) جملة يسألون يجوز أن تكون مستأنفة أو أن تكون حالاً من ضمير يحسبون ، وعن أنبائكم متعلقان بيسألون والواو حالية ولو شرطية وكان واسمها وفيكم خبرها وما نافية وقاتلوا فعل وفاعل وجملة ما قاتلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ويتمشى عليها ما أوردناه في قوله « ولو أن مافي البحر من شجرة أقلام » الآية ،

وإلا أداة حصر وقليلاً نعت لمصدر محذوف أي إلا قتالاً قليلاً أو نعت لظرف محذوف أي إلا وقتاً قليلاً .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ كلام مستأنف مسوق لعتاب المتخلفين عن القتال واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم خبرها المقدم وفي رسول الله حال لأنه كان في الأصل صفة لأسوة وأسوة اسم كان المؤخر وحسنة صفة لأسوة أي قدوة حسنة بضم الهمزة وقد تكسر . (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) لمن الجار والمجرور بدل من لكم وأعيدت اللام مع البدل للفصل أو يكون بدل اشتمال ، وجملة كان صلة من واسم كان مستتر تقديره هو وجملة يرجو الله خبرها واليوم الآخر عطف على لفظ الجلالة وذكر عطف على كان ولفظ الجلالة مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف وقد تقدم نظيره قريباً . (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله) لما ظرفية حينية متعلقة بقالوا أو رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال ورأى المؤمنون الأحزاب فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة قالوا لا محل لها وهذا مبتدأ وما خبر والجملة مقول القول وجملة وعدنا الله ورسوله صلة ما . (وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) الواو عاطفة وصدق الله فعل وفاعل وفيه وضع الظاهر موضع المضمر لتعظيمه والتنويه بوعدهما الكائن ، وما زادهم عطف على صدق وإلا أداة حصر وإيماناً مفعول به ثان لزادهم وتسليماً عطف على إيماناً وفاعل زادهم ضمير الوعد أو الصدق .

البلاغــة :

في قوله : « وصدق الله ورسوله » فن تكرير الظاهر تعظيماً ، ولو أنه أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة ، فقال وصدقا ، وقد كره النبي ذلك حين رد عــلى أحد الخطباء الذين تكلموا بين يديه إذ قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي له : بئس خطيب القوم أنت قل : ومن يعص الله ورسوله ، قصدا الى تعظيم الله . وقد استشكل بعض العلمــاء قوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقال انه جمع بينهما في ضمير واحد وأجيب على هذا الاستشكال بأن النبي صــلى الله عليه وسلم أعرف بقــدر الله منّا فليس لنا أن نقول كما يقول .

الفوائــد :

لو المصدرية :

لو المصدرية ترادف أن المصدرية في المعنى والسبك إلا أنهــا لا تنصب ، وأكثر وقوعها بعــد مفهوم تمن مثل ودّ وأحب واختار وتمنى وقيل بل بعد ودّ وتمنى خاصة لأن الانسان قد يحب الشيء ولا يتمنى حصوله لعارض في طلبه ، وتقع بعد غير التمني قليلاً كقول قتيلة بالتصغير بنت النضر بن الحارث الأسدية تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل أباها النضر صبرا بعد أن انصرف من غزوة بدر :

ما كان ضــرك لو مننت وربمـــا
منّ الفـــتى وهـــو المغيــظ المحنق

أي ما كان ضرك المن وقبل هذا البيت :

أمحمـــد ولأنت فحـــل نجيبـــة
في قومهـا والفحـــل فحـــل معرق

وسبب قتل النبي أباها أنه كان يقرأ أخبار العجم عـلى العرب ويقول محمد يأتيكم بأخبار عـاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة يريد بذلك أذى النبي ، فلما سمع النبي هذا البيت وهو من أبيات أنشدتها بين يديه قال : لو سمعته قبل قتله ما قتلته ولعفوت عنه ثم قال لا يقتل قرشي صبرا .

هذا وقد استدل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لو سمعته قبل قتله ما قتلته ولعفوت عنه » بعض الأصوليين على جواز تفويض الحكم الى المجتهد فيقال له : احكم بما شئت فهو صواب ، وعلى وقوع ذلك فإن قوله قبل قتله يدل على أن القتل وعدمه مفوضان اليه ، والمانعون من الوقوع يجيبون بأن يجوز أن يكون النبي خـيّر فيهما معاً فقيل له : لك أن تأمر بقتله وأن لا تأمر ونحو ذلك ، ويجوز أن وحياً نزل بأنه لو شفع فيه ما قتله . والنجيبة الكريمة الحسنة والفحـل الذكر من كل حيوان كما في القاموس والمعرق اسم فاعل من أعرق الرجل صار عريقاً وهو الذي له عرق في الكرم ومعنى لو مننت لو أنعمت وأحسنت ، ثم يحتمل أن يكون المصـدر المؤول مـن لو ومننت أي المنّ اسم كان المؤخر وجملة ضرك خبرها المقدم ويحتمـل أن يكون المصدر فاعل لضرك والجملة خبر كان واسمها ضمير الشأن ويحتمل أن تكون ما استفهامية محلها الرفع عـلى الابتداء ، وكان يحتمل أن

تكون زائدة وأن لا تكون فعلى الأول تكون جملة ضرك خبراً عن ما الاستفهامية وعلى الثاني تكون جملة ضرك خبر كان وجملة كان خبر ما ، هذا ويحتمل أن تكون لو شرطية على بابها وما تقدم دليل الجواب ويطيح هذا كله ، والمغيظ بفتح الميم اسم مفعول من غاظه يغيظه بالغين والظاء المعجمتين الغضب أو شدته أو سورة أوله ، والمحنق بضم الميم وفتح النون اسم مفعول من أحنقه بالحاء المهملة إذا أغاظه .

ونعود الى ذكر لو المصدرية فنقول : لو المصدرية لا جواب لها وإذا وليها فعل ماض بقي على مضيه واذا وليها فعل مضارع محضته للاستقبال كما أن المصدرية كذلك .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ
نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى
ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ
تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

اللغـــة :

(قضى نحبه) : مات والنحب النذر ووقــع قولهم قضى نحبه عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره والنــذر بفتــح النون ، وقد وهم صاحب المنجد فضبطه بكسرها وهذا غريب ، وفي المصباح : « نحب نحباً من باب ضرب بكى والاسم النحيب ونحب نحباً من باب قتل : نذر وقضى نحبه مات أو قتل في سبيل الله وفي التنزيل : « فمنهم من قضى نحبه » •

(صياصيهــم) : حصونهـم جمـــع صيصية وفي القاموس : « والصيصية شوكــة الحائط يسوّي بها السدى واللحمة وشوكــة الديك التي في رجله وقرن البقر والظباء والحصن وكل ما امتنع به » •

الاعراب :

(من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الصالحين من الصحابة الذين نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وتقسيمهم الى قسمين • ومن المؤمنين خبر مقــدم ورجال مبتــدأ مؤخر وجملة صدقوا صفة لرجال وما اسم موصول مفعول به وعاهدوا الله عليه صلة ما وعليــه متعلقان بعاهدوا • (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً) الفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة قضى نحبه صلة من ومنهم من ينتظر عطف على ما سبقه والواو عاطفة وما

نافية وبدلوا فعل وفاعل والمفعول به محذوف أي العهد وتبديلاً مفعول مطلق. (ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء) اللام لام التعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما دعا الى وقوع ما حكى من الاقوال والتقدير وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين وقيل هو متعلق بما قبله ومترتب عليه فيتعلق بصدقوا على أنه تعليل له وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى ، والله فاعل والصادقين مفعول به وبصدقهم متعلقان بيجزي ويعذب المنافقين عطف على ليجزي الله الصادقين وان شرطية وشاء فعل ماض وهو فعل الشرط والجواب محذوف وكذلك مفعول شاء أي إن شاء تعذيبهم عذبهم . (أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً) أو حرف عطف ويتوب عطف على ما قبله وعليهم متعلقان بيتوب وجملة إن الله تعليل لما تقدم وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وغفوراً خبرها الأول ورحيماً خبرها الثاني .

(وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) الواو عاطفة ورد الله الذين كفروا عطف على ما تقدم وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة كفروا صلة الموصول وهم الأحزاب وبغيظهم حال أي مغيظين ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً لرد وجملة لم ينالوا خيراً حال ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة . (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) الواو عاطفة وكفى الله المؤمنين فعل وفاعل ومفعول به أول والقتال مفعول به ثان لأن كفى هنا بمعنى وقى وهي عندئذ متعدية لاثنين وقد مرّ القول مفصلاً في كفى وكان واسمها وخبراها . (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الواو عاطفة

وأنزل فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والذين مفعول به وجملة ظاهروهم صلة ومن أهل الكتاب حال ومن صياصيهم جار ومجرور متعلقان بأنزل ولك أن تجعل الكلام مستأنفاً مسوقاً للشروع في سرد قصة غزوة بني قريظة وستأتي خلاصتها في باب الفوائد . (وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً) وقذف عطف على أنزل وفي قلوبهم متعلقان بقذف والرعب مفعول به لقذف وفريقاً مفعول مقدم لتقتلون وتأسرون فريقاً فعل وفاعل ومفعول به (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً) وأورثكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وأرضهم مفعول به ثان وديارهم وأموالهم وأرضاً معطوفة على أرضهم وجملة لم تطئوها صفة لأرضاً وكان واسمها وخبرها والمراد بها البلاد التي فتحوها فيما بعد .

البلاغـة :

في قوله « ورد الذين كفروا بغيظهم ... » الآية فن المناسبة وقد تقدم الإلماع الى هذا الفن وأنه ضربان : مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ ، وما ورد في هذه الآية من الضرب الأول لأن الكلام لو اقتصر فيه على دون الفاصلة لأوهم ذلك بعض الضعفاء أن هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفار في أن الريح التي حدثت كانت سبباً في رجوعهم خائبين وكفى المؤمنين قتالهم ، والريح إنما حدثت اتفاقاً كما تحدث في بعض وقائعهم وقتال بعضهم لبعض وظنوا أن ذلك لم يكن من عند الله فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة التي أخبر فيها سبحانه أنه قوي عزيز قادر بقوته على كل شيء ممتنع وأن حزبه هو الغالب وأنه لقدرته يجعل النصر للمؤمنين أفانين متنوعة ليزيدهم إيماناً وتثبيتاً فهو ينصرهم

مرة بالقتـال كيوم بدر وتارة بالريح كيوم الأحزاب وطوراً بالرعب كبني النضير وأحياناً ينصر عليهم أولاً ويجعل العاقبة لهم أخيراً كيوم أحد وحيناً يريهم أن الكثرة لم تكن ولن تكون كل شيء في المعركة وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ليتحققوا بأن النصر إنما هو من عند الله كيوم حنين وهذا من أروع ما يتزين به الكلام •

الفوائـد :

خلاصة قصة غزوة بني قريظة :

أوحى الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب أن الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة فأذن في الناس أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير من النـاس العصر إلا بعـد العشاء الآخـرة فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال لهم النبي : أتنزلون على حكمي ؟ فأبوا ، فقال : أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فحكم فيهم فقـال : إني أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء • فقال النبي لقد حكمت بحكم الله ثم استنزلهم وخندق في سوق المـدينة خندقاً وقذمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة •

فهرس المجلد السابع

انتهى المجلد السابع ويليه المجلد الثامن بدءاً من الآية ٢٨ من سورة الاحزاب